جيرمي بلاك

مختصر تاريخ العالم

من عصور ما قبل التاريخ
حتى القرن الحادي والعشرين



ترجمة: آمال إبراهيم



دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع







جيرمي بلاك

مختصر تاريخ العالم

على مر العصور، أظهر البشر قدرة مذهلة على التكيف مع بيئاتهم. من خلال إنشاء مدن عظيمة، وإنشاء حضارات رائعة، وتطوير أساليب اتصال جديدة، محققين بذلك نجاحات رائعة. في الوقت نفسه، كشفت الحروب والتمييزات والفقر عن الجانب المظلم للطبيعة البشرية.

يغطي هذا الكتاب المصور تلك الحقائق، من حياة أروع رجال ونساء التاريخ وسير الحروب الدامية والإبادة الجماعية، إنها حيوات مجموعة مذهلة من التجارب الإنسانية على مدى آلاف السنين.

يضفي البروفيسور جيريمي بلاك بأسلوبه الشيق إلهاماً لآخر التطورات في مجال التاريخ، وهو يلقي ضوءاً جديداً على فهمنا للماضي مع التركيز بشكل خاص على البيئة والمدن والعلوم والسياسة وآليات الحياة اليومية.

هذا الكتاب مصدر مرجعي أساسي يغطي الموضوعات الرئيسية لتاريخ العالم في ثمانية فصول شاملة، فيها من الترفيه والإعلام، ما يجعلك لا تتوقف عن القراءة.

ولادة الزراعة في وادي النيل، وتطور الإمبراطوريات في بلاد ما بين النهرين، وسقوط روما، وتقدم العلم في العالم الإسلامي، وصعود التجارة الدولية على طول طرق الحرير، والأزمات الاقتصادية، واندلاع الحروب العالمية، وغيرها من العديد من موضوعات (تاريخ العالم).

مختصر
تاريخ العالم

اسم الكتاب: مختصر تاريخ العالم

اسم المؤلف: جيرمي بلاك

#908

ترجمة: آمال إبراهيم

الطبعة الأولى 1441هـ/ 2019م

عدد الصفحات: 352 صفحة

الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع. العراق - بغداد

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-601-79-3



العـراق - بغـداد - المنصـور
darmanairaq@gmail.com

دار الكتب العلمية
للطباعة | النشر والتوزيع

العـراق - بغـداد - شارع المتنبي
07819141219 | 07702931543
darktbalmya@yahoo.com

جِيْرمِي بلَاك

مكتبة | سُر مَن قرأ

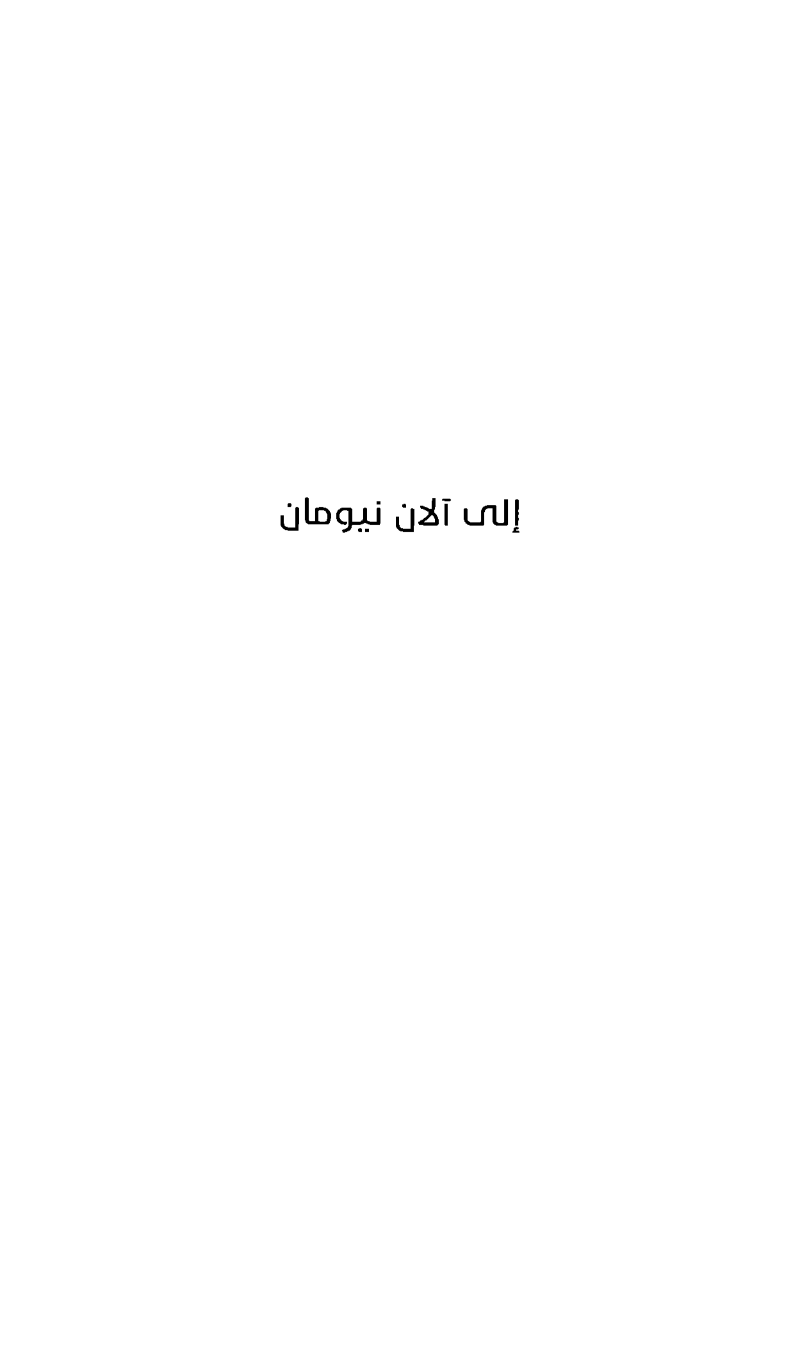
مختصر تاريخ العالم

من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الحادي والعشرين

ترجمة
آمال إبراهيم







إلى آلان نيومان

شكر وتقدير

لقد ساعدت السنوات الطويلة في إلقاء المحاضرات، في حقل تاريخ العالم، على تشكيل الأفكار، وبلورتها. وقد استفدت، أيضًا، من استضافتي للتحدث في مواضيع ذوات علاقة في كلية ستيلمان. وهنا اود تقديم شكري إلى ويليام جيبسون، وهايكو وينغ على ملاحظاتهما القيمة. وأدين بالكثير لمن ساعدني على التحرير، جون تورنينغ. اهدي هذا الكتاب إلى ألان نيومان، بعد ما يربو على خمسين عاما من صداقتنا.

المحتويات

المقدمة 17

الخط الزمني للأحداث التاريخية 23

أفريقيا 23

الأمريكتان 25

آسيا وأوقيانوسيا 27

الشرق الأوسط... 29

أوروبا 30

العلوم والثقافة 32

الفصل الأول: إنسان ما قبل التاريخ 35

10 ملايين سنة ماضية – 10 آلاف سنة قبل الميلاد 35

الإنسان الأول... 35

نظريات حول أصول الإنسان وانتشاره... 42

حياة الصيد وجمع الثمار... 44

فن الكهوف 46

الفصل الثاني: العالم القديم 12.500 – 1000ق.م... 48

ولادة الزراعة 48

ظهور الممارسات الدينية 51

تدجين الحيوانات ... 53
التنقل: الحصان ... 58
أصول التحصينات ... 59
مدن الآلهة ... 61
ظهور التجارة ... 62
مهاد الحضارات ... 63
حضارة أدنا ... 72
خارج المهاد ... 73
اكتشاف الزمن ... 75
الفصل الثالث: الحضارات الكلاسيكية 1000 – 500ق.م ... 83
ازدهار الإمبراطوريات وتطور السياسة ... 83
ولادة الدولة الصينية ... 85
الصين تقاتل سكان السهوب 210ق.م ... 87
ديانات آسيا ... 88
أفريقيا العالم القديم ... 88
إمبراطوريات جنوب غرب آسيا ... 91
معركة سالاميس 480ق.م ... 92
ماذا لو توجه الاسكندر صوب الغرب؟ ... 94
عالم الإغريق ... 95
المسرح اليوناني ... 98
روما ... 98
التنقل: العجلات والطرقات ... 100
الرومان ورسم الخرائط ... 104

ثورات العبيد ... 106
معارك العالم القديم ... 108
سقوط روما ... 109
المدن الإمبراطورية ... 113
الفصل الرابع: العصور الوسطى 500 – 1500 ... 115
الموجة الثانية من البرابرة ... 115
التحصينات ضد البرابرة ... 116
الهون البيض ... 117
توسع الفايكنغ ... 117
روس كاييف ... 120
إمبراطوريات المتوسط ... 120
معركة تور 732 ... 123
معارك الاديان ... 123
الفتوحات الإسلامية ... 124
الحروب الصليبية ... 125
الفتوحات العربية والحروب الصليبية ... 127
صلاح الدين ... 128
الحملة الصليبية الرابعة ... 129
حروب الاسترداد (سقوط الأندلس) ... 130
السيد والبطولة ... 131
فاتحو العالم ... 132
ماركو بولو: تصوراته عن الصين ... 133
المدن والتجارة ... 137

صين العصور الوسطى 138
إمبراطوريات أفريقيا في العصور الوسطى 139
خيرات غيرت العالم: البارود 142
الإمبراطوريات الأمريكية قبل كولومبوس 143
ثقافة المسيسيبي 144
المايا 145
العلوم 146
علوم العالم الإسلامي 148
حقائق حياتية 149
النظام الإقطاعي 152
القلاع 152
انتشار اقتصاد السوق 153
الموت الأسود والمجتمع 153
الفكر الاستراآسيوي 156
رحالة بولينيسيا 157
الفصل الخامس: عصر النهضة والتنوير 1500 – 1750 159
استكشاف البحار 159
القرصنة 162
التنقل: البحر 164
فتح الأمريكتين 165
شكسبير والأميركتان 173
خيرات غيرت العالم: السكر 176
الإمبراطورية العثمانية 177

أفريقيا ... 180
عصر النهضة ... 182
اليابان ... 186
غزو المانتشو للصين ... 189
مدن: آسيا على رأس الهرم ... 192
مغول الهند ... 195
الإصلاح ... 196
آلة الحرب الأوروبية ... 198
الحرب في أوروبا 1560 – 1648 ... 199
النظام الملكي المطلق ... 202
الثورة العلمية ... 203
التنوير ... 204
تحسين وسائل الاتصال ... 205
الصين واليسوعيون ... 207
الاقتصاد العالمي في القرن الثامن عشر ... 208
الفصل السادس: الثورة والحركات القومية 1750 – 1914 ... 211
حرب السبعة أعوام 1756 – 1763 ... 211
ثورات وحركات تمرد ... 213
حرب الاستقلال الأمريكية ... 213
الثورات العلمية ... 216
الحركة الرومانسية ... 217
أزمة عقد 1790 ... 217
توحيد هاواي ... 218

الثورة الفرنسية ونابليون ... 220
المستوطنات الاستعمارية ... 223
المستعمرات العقابية ... 224
معركة التحرير في أمريكا اللاتينية ... 224
سيمون بوليفار ... 225
إنهاء العبودية في العالم الجديد ... 226
العمل بالسخرة ... 227
الحرب الأهلية في أمريكا 1861 – 1865 ... 228
القدر المتجلي والتوسع الأمريكي ... 230
شراء لويزيانا ... 232
الثورة الصناعية ... 232
خيرات غيرت العالم: الفحم ... 233
قوة البخار ... 234
التنقل: السكك الحديد ... 235
تكنولوجيا الاتصالات ... 236
القومية ... 238
التاريخ يعتلي مسرح الأوبرا ... 239
الراج (الحكم في الهند) ... 240
الثورة الهندية (1857 – 1859) ... 242
سقوط تشينغ ... 243
مدن الإمبراطوريات ... 245
تمرد تايبينغ ... 247
استعراش مايبجي ... 249

الصراع منْ أَجل أفريقيا 250
الكونغو - مملكة ليوبولد الخاصة 251
تحدي الغرب 251
رسم خارطة المجتمع 252
رسم خرائط المحيطات 253
الفصل السابع: العالم خلال الحرب 1914 - 1945 254
تحويلة القرن 254
الحرب العالمية الأولى 255
الأسباب 255
هجوم الجبهة الغربية 263
الجبهات الشرقية 264
الثورة الروسية 265
الإنفلونزا الأسبانية 266
فترة ما بين الحربين 1919 - 1938 267
سلفادور دالي (1904 - 1989) الفنان كهادم للأيقونات ... 271
النساء والانتخابات 272
الصين: ولادة الجمهورية 272
حركة الرابع من أيار 273
ارباب حرب الصين 273
الكومينتانغ (الحزب القومي الصيني) 274
السينما 274
الحرب ضد الأمراض 275
التنقل: الجو 276

الكساد الكبير ... 277

الغذاء ... 279

ظهور التطرف ... 279

الحرب الأهلية الأسبانية ... 282

الحرب اليابانية الصينية ... 283

الحرب العالمية الثانية ... 283

اغتصاب نانجينغ ... 285

الحرب العالمية الثانية ... 286

النجاحات الألمانية الأولى ... 286

الحرب الخاطفة ... 287

عملية باربا روسا ... 288

حرب الأطلسي ... 290

إنزال نورماندي وسقوط ألمانيا ... 291

الحرب في المحيط الهادئ ... 292

معارك مهمة: ميدواي ... 294

محرقة اليهود ... 295

ترسانة الديمقراطية: الجبهة الداخلية الأمريكية ... 296

خيرات غيرت العالم: النفط ... 297

الجبهات الداخلية والبروباغاندا ... 298

الفصل الثامن: العالم الحديث 1945 وحتى الوقت الحاضر ... 299

الحرب الباردة ... 299

الحرب الباردة ... 301

الاتحاد الأوروبي ... 302

الحربان الكورية والفيتنامية 303
أزمة صواريخ كوبا 1962 304
ريغان 307
انهيار شيوعية الاتحاد السوفيتي 309
حركات التحرر 310
تقسيم الهند 310
الشرق الأوسط 311
مغادرة أفريقيا 313
أفريقيا خلال الاستقلال 314
نهضة الصين 317
سياسات إصلاح الأراضي 319
الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب الباردة 320
ناطحات السحاب 320
ظهور المستهلك الحديث 321
الثقافة الشعبية 323
الموسيقى 324
التلفزيون 325
إطعام العالم 326
الثورة الخضراء 328
المزارع الصناعية 329
الطعام 329
حركة المحافظة على البيئة 330
إزالة الغابات 331

السدود 332
التغير المناخي 333
التركيبة السكانية 334
مدينة المستقبل 336
العلم الحديث 337
زراعة الأعضاء 338
السيارات 338
الطرق السريعة 339
رقائق الكومبيوتر 340
الروبوتات 341
التنقل - الفضاء 342
فهم المادة 344
الخلاصة 344



المقدمة

تتعاقب مظاهر الحياة البشرية بين التغيير، والاستمرار، فما بين رسوخها المتمثل بمرور السنوات، وإيقاع المواسم، ومضيّ الأجيال، وبين الاستمرارية التي انطلقت مع التكيف الأول للإنسان، والممارسات الأصيلة، والعادات الثقافية، والطباع النفسية العائدة إلى الماضي، واعتبارها مرجعًا لها، يبين التاريخ القدرة المستمرة للإنسان على التكيف مع المحيط، والبيئة، وعرض آليات الحياة، وطبيعتها، وفي الوقت نفسه يؤشر على قوة إمكانيات المجتمع، وهيكليته اللّتيْن يتجلى من خلالهما الفكر الإنساني، وما يتعلمه عن الحياة.

ان قابلية الإنسان على التكيّف هي حاجة ملحّة، إِذ انه لا يستطيع العيش في معظم بقاع الكوكب دون الاستعانة بالتكنولوجيا. فلا يستطيع الطيران دون الاستعانة بوسيلة ما، ولا يستطيع العيش تحت الماء الذي يغطي معظم الكرة الأرضية. وعلى الرغم من ان بإمكانه الحصول على السمك، وماء المطر، وهو على ظهر القارب إلّا أنه لن يتمكن من العيش بشكل دائم

على سطح الماء. فجزء من هذا الماء منجمد، ولا يستطيع الإنسان ان يقف بوجه اتساع رقعة الجليد في الشتاء. ويصدق هذا على القارة القطبية الجنوبية خاصّةً.

كثيرة هي المساحات المستعصية على السكن بسبب تطرف الحرارة فيها بين نقصان، وزيادة، وقد تكون مساحات جرداء، أو جبلية. ان القارة القطبية الجنوبية التي تتميز بمساحتها الشاسعة وبرودتها الشديدة خلت حَتَّى وقت قريب، من السكان، وأُنشِئتْ فيها محطات علمية. فلم يصل أحد إلى القطب الجنوبي حَتَّى العام 1912 وكان أول من وطِئت قدماه القارة النرويجي روالد آموندسن بعد ثلاث سنوات من وصول الأمريكي روبيرت بيري إلى القطب الشمالي أول مرة.

مساحات كبيرة من سطح الأرض لا تسد الحاجة إلى الحياتين النباتية، والحيوانية إلّا لمجموعة محدودة من الصيادين. أما الصحراء الكبرى في أفريقيا فهي مثال على صحارى العالم بندرة تساقط الامطار فيها، أو إمكانية تربتها لتوفير متطلبات الحياة للنبات، والحيوان. هنالك صحارى ذوات مساحات كبيرة تنتشر في بقاع أخرى من العالم كصحراء جوبي في آسيا، والاتاكاما في أمريكا الجنوبية، وصحارى جيبسون وسمبسون في الجزء الداخلي من أستراليا، والصحارى المنتشرة في الجزء الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة. تُعَدّ أوروبا حالة استثنائية، فلا صحراء فيها. لقد عاش البشر في الصحراء وتكيفوا لظروفها. ان النسب السكانية المذكورة تعد صغيرة نسبيا، وتعد مشكلة

عدم توفر الماء المشكلة القائمة في كل آن، وهي تهدد وجود هذه الجماعات، مع العلم ان لوس أنجلوس، إحدى المدن الكبرى في العالم، ازداد تعدادها السكاني بما يوفره وادي اوينز من مياه.

شهد معظم التاريخ البشري قابلية محدودة للبشر في تغيير البيئة المحيطة بشكل واسع لم تتعدَ توفير المياه للري، أو قطع الأشجار. فحَتَّى أواخر القرن التاسع عشر لم تظهر المتفجرات التي مكنّت الإنسان من صنع الانفاق في قلب جبال الالب، المثال الأول لتغيير بيئي حقيقي، ومؤثر من صنع الإنسان. وقد بينت المشاريع العملاقة كقناة باناما التي بدأ العمل بها الفرنسيون في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وانتهى منها الأمريكيون العام 1914 بعد ان خسروا الكثير من الأرواح كحصاد للملاريا، والحمى الصفراء: ما أظهر افتقار الإنسان إلى الفراسة التنظيمية اللازمة حَتَّى في وقتنا الحالي. وحَتَّى مؤخرا، لم يكن بمقدور الإنسان ان يفهم الكثير عن تغيرات الطقس والمناخ، ناهيك عن محاولة تغييرهما.

من جانب آخر، طالما واجه الإنسان التحديات المرتبطة بوجوده من الناحية التنظيمية، كونه كائنا اجتماعيا. يحتاج الإنسان إلى ان يحيا ضمن مجتمع ليرزق بالأطفال، ويحميهم في خلال فترة ضعفهم الطويلة نسبيا. إضافة إلى ما يتوجب من تعاون فيما بين أفراد المجتمع كالتنافس مع الحيوانات الأخرى الأقوى جسديا، كالأسد مثلا، وتوفير الحماية اللازمة.



انتهى عمل قناة باناما العام 1914 - كنموذج لإمكانية الإنسان على أحداث تغيير جذري في العالم من حوله

أما ما يتعلق بالزراعة والحرب والتطورات اللاحقة فتتطلب، بدورها، مستوى أعلى من التعاون. ان الهيكليات الاجتماعية التي تبلورت مع الزمن تتنافس بطبيعتها مع مجاميع بشرية أخرى. وان الفكرة القديمة القائلة بأن الإنسان كائن مسالم، لم يجنح للقتال إلّا كوسيلة للتكيف الاجتماعي لم تعد مقنعة عموما. ان رأيا كهذا من الممكن ان تعكسه تطلعات الإنجيل حول جنة عدن، وأفكار اليوتوبيا التي سادت في الستينيات، والسبعينيات أكثر من تحقّقه في الواقع الملموس.

بدوره، فإن هذا التنافس والتراكيب المجتمعية المنبثقة عنه يشكل الأعراف التي توجه افتراضات الإنسان وأعماله. ما الغاية من الحياة؟ ما السبيل إلى أرضاء الالهة أو الإله؟ كيف يتم التعامل

مع الالهة المتنافسين والناس؟ ان هذه الأعراف التي يعبر عنها من خلال العقيدة الدينية، والممارسات الاجتماعية تساعد الإنسان على فهم محيطه، وتساعده على وجه الخصوص في تحديد الوسيلة الفضلى للاستجابة للجانب الاجتماعي من وجوده. لم يحصل ان تحقق في وقت ما إجماع على رأي معين بخصوص هذه التساؤلات، عليه فمن البديهي انها تؤدي إلى أفكار سياسية مختلفة ومتخالفة وما الممارسات المجتمعية إلّا تجلٍّ لذلك.

لنعد إلى مصطلح (ما قبل التاريخ) (وهو تعبير معاصر بحدّ ذاته) ان التكيف السريع مع البيئة المحيطة عززته محاولات تطويعها لتلائم المتطلبات البشرية، ومحاصيل الإنسان وحيواناته المرتبطة بحياته، وهذه العملية، بدورها، توجهت بفعل الحاجة إلى الموارد والفضاءات الملائمة. شكّلت الأيديولوجيات عمليات التطويع، وسرّعها مخزون المعلومات، وأنظمة انتقالها كالكتابة.

ان حركة الشعوب البدائية تبين بوضوح حاجتها للموارد، ومساحات العيش. ومن مظاهر ذلك صيد الحيوانات رغم المسافات الطويلة، أو اتخاذ انساق الهجرة الجماعية الموسمية. وعلى الرغم من سعي الإنسان إلى تغيير بيئته فقد كانت لها تأثيراتها فيه بالمقابل. على سبيل المثال فان الناس الذين يعيشون في مناطق تتسلّم معدلات منخفضة نسبيا من ضوء الشمس، طوروا جينات مرتبطة ببشرة اقل سمرة لامتصاص نسبة أكبر من فيتامين D. ومع مرور الوقت سادت الصبغة الفاتحة للبشرة في أوروبا قبل 7000 – 8000 سنة، ويبدو ان هذا التغيير بدأ في

شمالها. لم يكن الإنسان هو النوع الوحيد الذي يتطور ويتكيف، فالتطور الأكبر كان من نصيب مهاراته الاجتماعية خاصة في مجالي الاتصال والتنظيم اللذين مكنّاه من التكيّف الناجح. بشكل، أو بآخر فان العصر الحديث بدأ مع تفوّق الإنسان على باقي الثدييات. لقد امتازت الطيور بشَغلها نطاقا أوسع، وامتلكت القدرة على التنظيم الآني كمجموعة، أما الإنسان فقد اكتسب قوة السيطرة. ان أكبر مستعمرات مختلطي التغذية أنشأها النوع البشري. فلم يعد الإنسان محددا بصنف واحد من الطعام نباتًا كان أم لحومًا. ان اتساع حجوم تلك المستعمرات مُنذ حقب ما قبل التاريخ، وتناميها في المدن الحديثة الكبرى، وإمدادها بني جنسنا بالقوة، لنتمكن من تشكيل أقدارنا، هي إحدى أكثر المظاهر التي لم يحسن التاريخ البشري تقديرها.

فلنتأمل في التأثيرات المتصلة بالنوع وعواقبها. لن ينجح هذا الكتاب ما لم يجعلك تفكر، ليس فيما كُتِب هنا فحسب، وانما حول ما خبرته انت، والعالم من حولك. ان حصل وظهرت نقاط خلافية مع الآراء المطروحة فلنبحث في الأسباب، ولنسهم في استكمال صورة الفهم من خلال توضيح وجهات نظرنا.

الخط الزمني للأحداث التاريخية

قبل 7 مليون سنة الفصل بين أجداد سلالة الإنسان والشمبانزي.
قبل 6 مليون سنة شبيه الإنسان يبدأ المشي.
قبل 3.3 مليون سنة ظهور ما يثبت استخدام الأدوات من قبل الإنسان.
قبل 2.4 مليون سنة ظهور النوع homo habilis.
قبل 315 ألف سنة ظهور الجنس الحالي للإنسان homo sapiens.
قبل حوالي 100000 - 11700 سنة العصر الجليدي.
1918 - 1919 وباء الإنفلونزا الأسبانية.
1929 بدء الكساد العظيم.
2011 وصول تعداد سكان العالم إلى 7 مليار.

أفريقيا

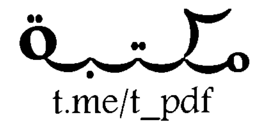
قبل حوالي 220 - 190 ألف سنة انتشار الإنسان خارج أفريقيا.
6500ق.م استئناس المواشي في شمال أفريقيا.
5000ق.م وصول زراعة المحاصيل إلى وادي النيل.
3400ق.م ظهور المدن المسورة الأولى في مصر.
2575 - 2134ق.م مملكة مصر القديمة.
2040 - 1640ق.م مملكة مصر الوسيطة.
1550 - 1070ق.م مملكة مصر الجديدة.
حوالي 800ق.م بدء أول أعمال الحديد جنوب الصحراء الأفريقية.

30ق.م مصر تصبح إحدى مقاطعات روما.
100 – 600ق.م أكسوم دولة تجارية كبرى في اريتيريا وإثيوبيا.
639 العرب يفتحون مصر.
حوالي سنة 1000 بدء العمل على الجدران الصخرية لزمبابوي العظمى.
حوالي 1100 إقامة تمبوكتو.
1250 إنهاء الحكم الأيوبي على يد المماليك في مصر.
1324 مانسا موسى، إمبراطور مالي، يحج إلى مكة.
1489 بدء تجارة البرتغال في موزنبيق.
1517 العثمانيون يفتحون مصر.
1562 سيرسي دنغل يتوج ملكا على إثيوبيا.
1578 دحر القوات البرتغالية في المغرب.
1591 إمبراطورية السونغاي تدحرها القوات المغربية في معركة تونديبي.
1869 افتتاح قناة السويس.
1885 النزاع منْ أَجل أفريقيا المنطلق من كونغرس برلين.
1954 – 1962 حرب استقلال الجزائر.
1957 غانا: المستعمرة الأفريقية الأولى التي تحقق الاستقلال.
1967 اندلاع حرب بايافران في نيجيريا.
1980 حكم الغالبية السوداء في زيمبابوي.
1994 انتهاء الابارثيد في جنوب أفريقيا.

الأمريكتان

قبل حوالي 16 ألف سنة عبور الإنسان جسر يابسة بيرينجيا إلى الأمريكتين.
قبل 14500 سنة بدء احتلال الإنسان لهيواكا بريبيتا شمال بيرو.
قبل حوالي 10 آلاف سنة ق.م وصول الإنسان أمريكا الجنوبية.
5000ق.م زراعة المحاصيل في أمريكا الوسطى.
2500ق.م ظهور روابي المعابد في وادي سوب في بيرو.
2000ق.م تأسيس حضارة الشافين في بيرو.
1150ق.م بزوغ حضارة الأولمك.
450ق.م تطور مدينة مونتي ألبان في اوكزاكا المكسيك.
حوالي 1 – 600ق.م ازدهار حضارة الموتشي في الانديز.
حوالي 200ق.م نحت خطوط نازكا على سطح الصحراء البايروفية.
حوالي 400 بدء البناء المكثف في تيوتيهواكان.
حوالي 750 تشيتشين ايتزا تصبح مدينة أولى لدى المايا.
986 إيريك الاحمر يبدأ استيطان الفايكنغ في جرينلاند.
1000 مستوطنة صغيرة للفايكنغ تؤسس في نيوفندلاند.
1050 إقامة رواب كبيرة على طول وادي الميسيسيبي.
حوالي 1200 استيطان الانكا في وادي انديان قرب كوسكو.
1224 هجر تشيتشن ايتزا.
1325 تأسيس تينوتشتيتلان.
1492 كولومبوس يصل ايندنيز الغربية.
1519 – 1521 غزو الأسبان إمبراطورية الازتيك.

1532 – 1535 غزو الأسبان إمبراطورية الاينكا.
1536 مانكو أينكا يقود تمردا ضد القوات الأسبانية ويؤسس دولة المتمردين في فيلكابامبا.
1539 – 1542 هيرناندو دي سوتو يقود بعثة استكشافية في وادي الميسيسيبي.
1572 موت آخر حكام الاينكا، توباك آمارو.
1607 بدء الاستيطان الإنكليزي الدائم لفرجينيا.
1756 – 1763 حرب السبعة أعوام.
1775 الإعلان الأمريكي للاستقلال.
1804 هايتي تضمن استقلالها عن فرنسا.
1807 بريطانيا تُجرّم تجارة العبيد.
1821 سيمون بوليفار يحقق استقلال فنزويلا عن فرنسا.
1861 – 1865 الحرب الاهلية الأمريكية.
1876 هزيمة جورج كوستير في معركة (ليتل بيغ هورن).
1888 البرازيل تنهي العبودية.
1913 بدء الثورة المكسيكية.
1941 مهاجمة ميناء اللؤلؤ (بيرل هاربور).
1962 أزمة الصواريخ الكوبية.



آسيا وأوقيانوسيا

قبل 50 ألف سنة قدوم الإنسان إلى أستراليا.
قبل 4500 سنة ظهور المدن في وادي السند.
2800ق.م المحاريث الأولى تستخدم في كاليبينغان في الهند.
2500ق.م ظهور المستوطنات الكبرى في هارابا وموهينجو دارو وكاليبانغان في وادي السند.
حوالي 1800ق.م ظهور سلالة تشانغ في الصين.
1600 – 1064ق.م صين التشانغ.
262 – 260ق.م معركة كالينغا.
حوالي 500ق.م استخدام المسكوكات البرونزية في الصين.
322ق.م تمرد تشاندراكوبتا موريا على سلالة الناندا الحاكمة.
210 – 209ق.م الاتحاد الفدرالي لشيونغنو يوحد منغوليا.
206ق.م ظهور سلالة هان الحاكمة في الصين.
حوالي 200ق.م استيطان بولو نيزيا لجزر المحيط الهادئ.
538 البوذية تصل اليابان.
حوالي 650 قاطنو الجزر الشرقية يبدأون ببناء منصات صخرية مقدسة.
700 استيطان نيوزيلاندا.
970 الحكومة الصينية تقدم العملة الورقية.
1044 باغان: الدولة البورمية الأولى.
1206 تأسيس إمبراطورية منغوليا.
1227 موت جنكيز خان.

1279 إكمال خوبيلاي خان الغزو المونغولي للصين.
1340 – 1351 الموت الأسود.
1361 يؤسس تيمور إمبراطورية في وسط آسيا.
1368 ظهور سلالة مينغ الحاكمة.
1405 – 1433 زهينغ هيي يقود اسطول الكنز الصيني خلال حملاته الاستكشافية في المحيط الهندي.
1467 – 1477 حرب اونين تبدأ فترة سينغوكو في اليابان.
1498 فاسكو دي كأما يكمل أول رحلة بحرية من أوروبا إلى الهند.
1526 المغول يسيطرون على دلهي.
1598 تأسيس نظام شوغونية توكوغاوا في اليابان.
1639 نفي البرتغاليين من اليابان.
1644 غزو المانشو للصين.
1757 القوات الإنكليزية تؤسس حكم شركة الهند الشرقية على البنغال في معركة بلأسسي.
1788 المستوطنة الإنكليزية الأولى في أستراليا.
1795 كاميهاميها الأول يوحد جزر الهاواي.
1796 – 1805 ثورة الزنبقة البيضاء.
1839 – 1842 حرب الأفيون الأولى.
1851 – 1866 ثورة التايبينغ.
1853 السفن الحربية الأمريكية تجبر اليابان على الانفتاح للتجارة مع الغرب.

1857 – 1859 تمرد الهند.
1868 استعراش مييجي – اليابان تبدأ نهضتها السريعة.
1893 نيوزيلاندا أول دولة تعترف بحق النساء في التصويت.
1911 ثورة شينغهاي تقضي على سلالة تشينغ الحاكمة.
1919 ظهور حركة الرابع من مايو في الصين.
1946 – 1949 الحرب الاهلية في الصين.
1947 تقسيم الهند.
1949 تأسيس جمهورية الصين الشعبية.
1954 – 1973 حرب فيتنام.
1979 غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان.

الشرق الأوسط

قبل 23 ألف سنة جمع محاصيل الحبوب البرية في الشرق الأوسط.
قبل 2300 سنة سرجون يؤسس إمبراطورية سومر في جنوب وادي الرافدين.
حوالي 8000ق.م ظهور الزراعة في وادي الرافدين.
3500ق.م ظهور المدن في دولة اوروك.
1700ق.م بناء معبد عين دارة.
1600 – 1178ق.م إمبراطورية الحيثيين.
1500 – 1300ق.م مملكة ميتاني.
950ق.م الإمبراطورية الآشورية الحديثة.
612ق.م العاصمة الآشورية في نينوى تُدَّمر على يد الميديين والبابليين.

550ق.م سايروس العظيم يؤسس إمبراطورية فارس.
539ق.م سايروس العظيم يغزو بابل.
331ق.م الاسكندر العظيم يهزم إمبراطور الفرس في معركة غوغميلا.
حوالي 420 – 530ق.م بناء سور جورجان العظيم في فارس.
622 محمد وتابعوه يتوجهون إلى المدينة.
750 الدولة العباسية تطيح بالاموية.
1071 هزيمة القوات البيزنطية على يد السلاجقة الاتراك في معركة ملاذكرد.
1099 حصار الصليبيين للقدس.
1258 سقوط بغداد على يد المغول.
1260 المماليك يهزمون الغزاة المغول في سوريا.
1401 تيمور ينهب بغداد.
1739 نادر شاه فارس يغزو شمالي الهند.
1948 تأسيس إسرائيل.
1967 حرب ستة الأيام.

أوروبا

قبل حوالي 65 ألف سنة ق.م وصول الإنسان الحديث لأوروبا.
4000ق.م استئناس الخيل على هضاب روسيا.
3100ق.م إنشاء مستوطنة في قلب أوركني النيوليتي.
1600ق.م موكناي تصبح قوة متوسطية.
1100ق.م انهيار يونان الموكناي.

753ق.م حسب الأسطورة، أُسِّست روما على يد الاخوين روميولوس وريموس.

432ق.م إنهاء بارثينون اثينا.

44ق.م اغتيال يوليوس قيصر.

312ق.م تحول قسطنطين الأول إلى المسيحية.

476 الإطاحة بالإمبراطور الاخير لروما الغربية.

711 الجيوش الإسلامية تغزو أسبانيا.

732 معركة بلاط الشهداء توقف المد الإسلامي.

793 الفايكنغ يهاجمون دير لينديسفارن.

843 إمبراطورية شارلمان يقسمها الاحفاد على وفق معاهدة فيردان.

855 اوتو الأول إمبراطور ألمانيا يهزم المجريين في ليتشفيلد.

1066 وليام الفاتح يغزو إنكلترا.

1085 قشتالة تغزو مدينة طليطلة.

1095 مجلس كليرمونت يدعو للحملة الصليبية الأولى.

1204 القوات الصليبية تحتل القسطنطينية.

1241 القوات المنغولية تحتل أوروبا الشرقية.

1340 - 1351 الموت الأسود.

1453 العثمانيون يحتلون القسطنطينية.

1492 القوات المسيحية تغزو غرناطة.

1529 حصار فينا.

1571 البحرية العثمانية تقاسي خسارة كبرى في معركة ليبانت.

1618 - 1648 حرب الثلاثين عاما.

1683 الحصار العثماني الثاني لفينا.
1756 – 1763 حرب سبع السنوات.
1789 اندلاع الثورة الفرنسية.
1815 هزيمة نابليون اخيرا والتأسيس لنظام جديد في كونغرس فينا.
1833 إنهاء العبودية في إمبراطورية بريطانيا.
1848 موجة من الثورات تجتاح أوروبا.
1914 – 1918 الحرب العالمية الأولى.
1933 ادولف هتلر رئيسا للحكومة الألمانية.
1936 بدء الحرب الاهلية في أسبانيا.
1939 – 1945 الحرب العالمية الثانية.
1989 سقوط جدار برلين.
1991 انهيار الاتحاد السوفيتي.

العلوم والثقافة

قبل 150 ألف – 50 سنة تطور اللغة.
حوالي 3500ق.م صناعة العجلات الأولى في بلاد ما بين النهرين.
حوالي 3100ق.م تطور الكتابة المسمارية عند الحضارة السومرية في بلاد ما بين النهرين.
حوالي 2700ق.م بناء الاهرامات في مصر القديمة.
حوالي 1700ق.م ظهور الديانة الهندوسية.
حوالي 900ق.م ظهور الديانة اليهودية.
حوالي 600ق.م تأسيس الديانة الزرادشتية.
حوالي 568ق.م ظهور الديانة البوذية.

حوالي 530 – 400ق.م ازدهار المسرح في اليونان وظهور كتاب مسرحيين عظماء مثل اسخيليوس، ويوروبيديس، وسوفوكليس.
432ق.م استكمال البارثينون في اثينا.
حوالي 322م ابتكار الرِكاب من قبل الصينيين.
حوالي 900 اختراع البارود في الصين.
حوالي 1045 اختراع الطباعة ذات الاجزاء المتحركة في الصين.
حوالي 1250 بناء المساجد الصخرية في المدن السواحيلية شرق أفريقيا.
1517 بدء الإصلاحات البروتستانتية بعد انطلاق الرسائل الخمس والتسعين لمارتن لوثر.
1519 – 1522 فردناند ماجيللان يقوم بالرحلة البحرية الأولى حول العالم.
1543 كوبيرنيكوس ينشر نظريته القائلة بمركزية الشمس للكون.
1660 تأسيس الجمعية العلمية الملكية.
1783 انطلاق أول بالون مأهول.
1825 أول سكة حديد تهيَّأ للمسافرين وتعمل بقوة البخار.
1844 الاستخدام الأول لشفرة مورس بالتلغراف.
1859 تشارلز داروين ينشر (أصل الأنواع).
1869 استكمال أول سكة حديد عابرة للقارة في الولايات المتحدة الأمريكية.
1876 اختراع التلفون.
1895 اختراع التلغراف اللاسلكي.

1903 الأخوة رايت: الرحلة الجوية الأولى لماكنة تعتمد آليةَ تشغيلٍ (أثقل من الهواء).

1922 نشر رواية يوليسيس لجيمس جويس.

1926 اختراع التلفزيون من قبل جون لويجي بارد.

1928 اكتشاف البنيسيلين.

1961 انطلاق أول رحلة فضاء مأهولة.

1969 هبوط أول إنسان على سطح القمر.

1971 تصنيع أول معالج مجهري (مايكروبروسيسر).

1978 ولادة أول طفل انابيب.

1979 القضاء على الجدري.

1989 ابتكار الشبكة العنكبوتية حول العالم.

1996 ولادة أول حيوان مستنسخ من الثدييات.



الفصل الأول

إنسان ما قبل التاريخ

10 ملايين سنة ماضية - 10 آلاف سنة قبل الميلاد

عاش شبيه الإنسان بين الرواسب الكلسية الصاعدة والنازلة في كهوف كَنت، وهي منظومة كهوف مذهلة تمتد في منطقة تورباي في ديفون، إنكلترا. فبينما كانت تحمي أشباه الإنسان من رطوبة الرياح الجنوبية الغربية، كانت تمدهم بالضوء من جهتها الشرقية. أما الآن، فقد أصبحت هذه الكهوف جاذبة للسياح وملهمة للفنانين. لكنها في النهاية تبقى ماثلة كنموذج للصراع التاريخي الطويل الذي يبين تكيف شبيه الإنسان مع بيئته ومحيطه عبر كل ما حملته الأزمنة من تحديات وفرص ومشاكل.

الإنسان الأول

تمتد جذور تاريخ الأرض، وتاريخ وجود الحياة عليها إلى حقب زمنية تسبق ظهور الإنسان بكثير. فلم تشهد الأرض وجود إنسان عندما بردت الحمم البركانية لتشكل قشرة الأرض، ولا عند ظهور البرمائيات الأولى وقد تطورت عن أسلافها في المحيطات، ولم تشهده الحقب الجيولوجية المتعاقبة كذلك. ولم يكن الإنسان من بين الثدييات الأولى التي تطورت بعد ظهور الديناصورات، وسيطرتها ثُمَّ اختفائها. فبينما ظهرت الزواحف

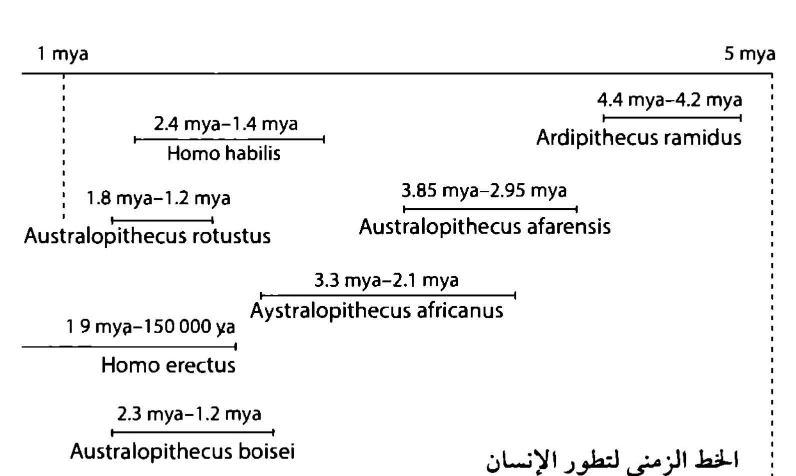
الأولى قبل حوالي 310 مليون سنة، ظهرت الثدييات الأولى قبل حوالي 220 مليون سنة بشكل جرذان، وذباب.

يقع الإنسان ضمن الصنف الثانوي (القرود) تحت الصنف الرئيسي (الثدييات) التي تجمع المخلوقات ذوات الدم الحار التي ترضع صغارها. ظهرت أولى المخلوقات الشبيهة بالقرود قبل حوالي 66 مليون سنة، وهي تقارب الفترة التي اختفت في خلالها الديناصورات. أما القرود الأولى فلم تظهر إلّا قبل 23 مليون سنة. لقد كان لحجم الدماغ الكبير، والمهارات اليدوية إضافة إلى الميزات الاجتماعية الاثر الأكبر في توفير فرص بقائه. فمُنذ ظهور ساكني الأشجار في الغابات الأولى، تكيفت القرود مع ظروف الحياة على الأرض بشكل لافت. واجهت الإنسان الأول مساحات مفتوحة من الأرض فبدأ بالمشي على قدمين بدلا من أربع. ان آلية التعرق التي صاحبت تطور الغدد العرقية مكنته من التنقل، والعيش في بيئات مناخية متغايرة حَيْثُ يبرد الجسم من خلال عملية التعرق.

يُعَدّ الإنسان من أذكى المخلوقات بسبب اتساع مساحة قشرة الدماغ التي كانت سببا أساسيا في نجاحه. أما مهاراته اليدوية فقد مكنته من ابتكار وصناعة الأدوات وتسخيرها لحاجاته أكثر من الحيوانات الأخرى.

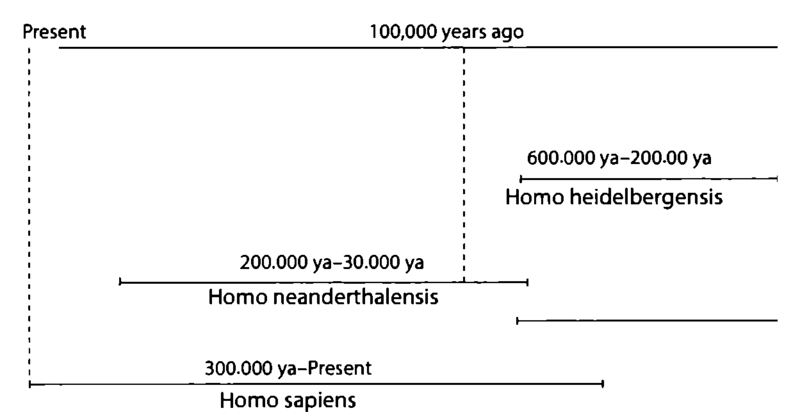
ان الانتصاب في حركة الإنسان تُعَدّ قفزة نوعية في تطوره. فقد امتازت القدم البشرية بقدرتها على حفظ توازنه ومكنته من التنقل بحرية أكبر بفضل الكاحل الطويل، والأصابع الخمس

الممتدة باستقامة إلى الامام (بدون مخالب)، وامتلاكه إبهاما ضخما. لقد تمت متابعة آثار هذا التطور في سجلات أحفورات أفريقيا: ان Ardipithecus ramidus قبل 4.4 مليون سنة في إثيوبيا يُعَدّ أول (هومينين)، أو سلف بشري تم تركيبه من الأحفورات بشكل تقريبي، وله قدم تشبه أقدام القردة. ثُمَّ تأتي آثار أقدام لايتولي التي تعود إلى 3.7 مليون سنة خلت، من تانزانيا، ويُظَنّ انها تعود لجنس Australopithecus وهو سلف بشري آخر تشبه اثار قدميه آثار أقدام الإنسان. ومن الملاحظ انه في خلال البحوث بدأت تظهر سلالات بشرية أولى خارج أفريقيا من الهومينين. وما يعزز هذا التصور تحليل اجزاء القرد الأول (برايميت) الذي يعود إلى 7.2 مليون سنة مضت، وهو من جنس Graecopithecus من اليونان وبلغاريا. لقد تطور الإنسان الحديث من هذه السلالات الأولى لتظهر فيها بعد أنواع لاحقة مثل Homo habilis وثُمَّ أنواع أكثر شبها بالإنسان الحالي مثل Homo erectus وHomo heidelbergensis وHomo neanderthalensis وأخيرا Homo sapiens.



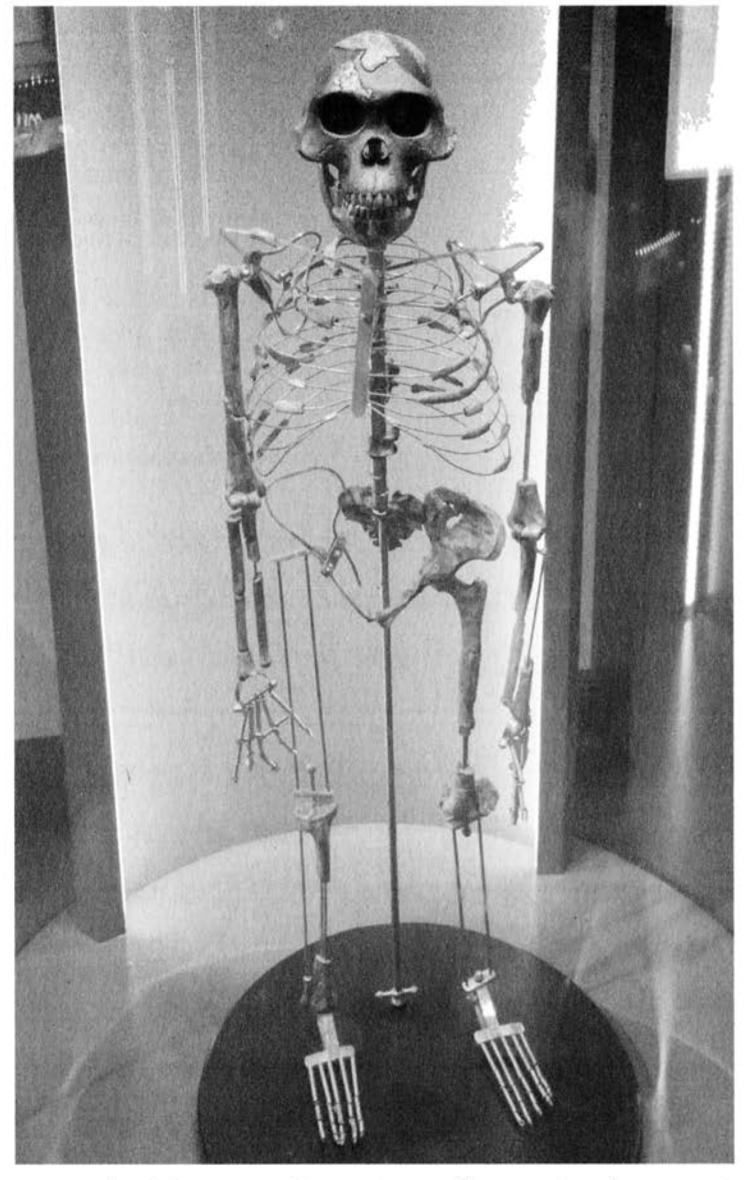
الخط الزمني لتطور الإنسان

ان نتائج الاكتشاف والتحليل في مجالي علم الاثار والجينات، فتحت الباب واسعا امام الجدل العلمي الخاص بأصل الإنسان، ومساحات انتشاره، وتغير النظريات المرتبطة بشكل كبير. على سبيل المثال فان اثار الأقدام المكتشفة مؤخرا، الشبيهة بأقدام الإنسان من جزيرة كريت (وحينها كانت جزءًا من كتلة اليابسة، ولم تكن بعد جزيرة في المتوسط) وقد بدأ تحليلها مُنذ العام 2010، عززت الشكوك في النظرية المعروفة في هذا الصدد. فمع زمن يمتد إلى قبل 5.7 مليون سنة تقريبا، فقد سبقت آثار الأقدام المكتشفة، هذه، ما كان يعتقد بانها الخطوات الأولى للإنسان في تانزانيا من لاتولي الواقعة في القارة الأفريقية، بحوالي مليوني سنة. ان هذا الاكتشاف يُضعِف الاعتقاد السائد بان الهومينين، أو أسلاف الإنسان ظهروا في شرق أفريقيا، وبقوا هناك زمنًا قبل

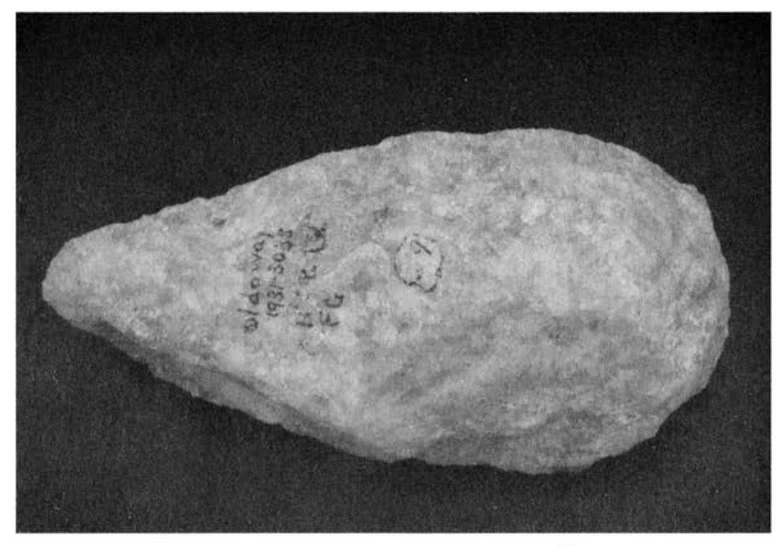


انتشارهم في أوروبا وآسيا. أو في اقل تقدير دفعَ الاكتشاف إلى إعادة قراءة تاريخ انتشار الإنسان خارج حدود أفريقيا.

قبل حوالي 4 ملايين سنة حصل تغير مناخي خسرت الأرض بسببه مساحات شاسعة من الغابات ما أدى إلى تعود الإنسان على المشي على قدمين، فأصبح ذلك صفة ملازمة للإنسان الأول. ان الحاجة إلى المشي على قدمين بشكل منتصب أدى إلى تقوية الساقين لتكونا اسرع، والخطوة أكبر، وتسهيل متطلبات الحركة المختلفة، مع حمل وزن الجسم بكفاءة أكبر. وبالاعتماد على الساقين فحسب كوسيلة للتنقل والحركة اقتصر دور اليدين على تصنيع الأدوات، واستخدامها بمهارة تطورت مع تطور حياة الإنسان على الأرض. وتمايزت هذه الحالة قبل حوالي 3.3 مليون سنة. كانت الأدوات الأولى بسيطة يصنعها الإنسان من كل ما تقع عليه يداه من حجر، أو خشب، أو أي مواد أساسية أخرى.



لوسي هو الهيكل العظمي الأكثر اكتمالا من الجنس Australopithecus afarensis وهو أحد أسلاف الإنسان الحالي Homo sapiens



يعود استخدام الأدوات إلى ما قبل حوالي 2.6 مليون سنة. فالمطارق اليدوية كالظاهرة في الصورة كانت (أدوات أساس) تستخدم لصناعة أدوات أخرى

لقد ظهرت الأدوات المركبة بعد البسيطة وازداد الاعتماد عليها، وعكست قدرا أكبر لمقدرة الإنسان على التكيف بالمقارنة مع الأنواع الأخرى. كان الامر ملحوظا باستخدام الأدوات الأساس التي تطورت إلى أدوات أخرى. مثلا: كانت تستخدم قطعة حجر قاس كنوع من المطارق لكسر الجوز، أو ما سواه (تشبه سندان الحداد)، وتمكن الإنسان، أيضًا، من صناعة رؤوس الرماح من الحجر التي تطورت، لاحقًا، إلى أدوات معدنية. فيما تقف قابلية الشمبانزي عند حد كسر الجوزة بالحجر. وعليه اثبت الإنسان عبقريته في تطوير أدواته.

نظريات حول أصول الإنسان وانتشاره

يفترض علماء الانثروبولوجيا النظرية التقليدية القائلة بان الإنسان الحديث Homo sapiens ظهر في أفريقيا قبل حوالي 315 ألف سنة، وتطور فيها بشكل كامل قبل ان يهاجر إلى بقاع الأرض الأخرى ليستبدل الأنواع الموجودة هناك، ويتسيدها خاصة Homo erectus وإنسان النياندرتال مع وجود تزاوج محدود بين الأنواع. أما درجة التنافس والتنازع بين هذه الأنواع فليست واضحة. ومع ذلك فان تحليل الـ DNA يظهر وجود اثار الجينات الخاصة بإنسان النياندرتال في الإنسان الحديث دالا على حصول التزاوج بين النوعين.

تواجه نظرية (الخروج من أفريقيا) التشكيك من قبل الاكتشافات الأخيرة. اليوم يتجادل العلماء حول فكرة الاصل المفرد لتطور الإنسان، والأفكار الأكثر تعقيدا التي تقول بتعددية الاصل البشري مع تطوره من خلال انتقال الجينات بين الأقاليم المختلفة، والأخيرة تنطوي على أسباب التحول الكلي باتجاه النوع الحالي Homo Sapiens مع ملاحظة التغيرات المناطقية بوضوح.

ان Homo Sapiens الأوائل الذين هاجروا سواء من أفريقيا، ام من مراكز مناطق أخرى، واجهوا أراضيَ، وسواحل تختلف معالمها تماما عما هي عليه اليوم. فقد كانت اليابسة تمتد بين جنوب شرق آسيا، وما يعرف اليوم بإندونيسيا التي مكنت الإنسان من التنقل بينهما، كما مكنت من التنقل بين أرض أستراليا، وتازمانيا، بالإضافة إلى وجود امتدادات اليابسة على طول

مضيق بيرينج. في هذه الفترة، لم يمتلك الإنسان القوارب، وعندما بدأت بالظهور حوالي سنة 50 الفا ق.م، كانت محدودة الإمكانات في مواجهة الامواج والرياح.

ربما استخدم الإنسان الأول هذه القوارب قبل حوالي 50 ألف سنة للوصول إلى أستراليا. وقبل 45 ألف سنة وصل الإنسان من نوع Homo Sapiens إلى أوروبا. أما وصوله إلى الأمريكتين فما زال موضع جدل إلى اليوم. ولكن النظرية الأكثر صوابًا تُرجّح وصوله إلى الأمريكتين من آسيا قبل حوالي 36 ألف سنة بعد عبوره جسر اليابسة فوق مضيق بيرينج في خلال العصر الجليدي، مع وجود فرضيّة بديلة تقول بانتشاره شمالا من الجنوب باتجاه أمريكا الشمالية. ان النظرة العامة تفترض انتشار الناس، عادة، من الشمال إلى الجنوب حَتَّى وصولهم أمريكا الوسطى حوالي سنة 11 ألف ق.م، وأقصى الجنوب حوالي سنة 10 آلاف ق.م.

تتزايد الإثباتات التي تدفع بتاريخ انتشار الإنسان إلى زمن سابق. وفي الوقت ذاته تقترح ان التغيرات المناخية كانت الدافع الأساسي لخروج الإنسان الأول من أفريقيا مُنذ حوالي 190 – 220 ألف سنة مضت. في 2017، اكتشف علماء الحفريات بقايا Homo Sapiens بين صخور المغرب يعود تاريخها إلى ما قبل 300 ألف سنة. وهذه تسبق نقطة التحول من النوع Homo erectus بحوالي 100 ألف سنة. أما في كهف مصلايا في إسرائيل فقد وُجِد جزء من عظم Homo Sapiens يبلغ من العمر 175

ألف سنة، وقد صاحب وجوده اثار تثبت إمكانية الإنسان في السيطرة على النار، واستخدام تقنية الأحجار.

حياة الصيد وجمع الثمار

كان الإنسان الأول مختلط التغذية، ما مكّن الإنسان الصياد، وجامع الثمار، بتنوع غذائهما، ومهاراتهما من الانتشار في مختلف بقاع العالم. وقد تمكن الإنسان من تطوير قابليته في الصيد من خلال تطور اسلحته التي اصطاد بها حيوانات تفوق حجمه بكثير مثل الماموث والمستودون. فبين السنوات 10 – 9 آلاف ق.م تمكن المستوطنون الأوائل في أمريكا الشمالية المسلحون بنهايات حجر حادة، من اختراق جلد الماموث، وقتله باسلحتهم، ومِنْ ثَمَّ تقطيعه وأكله. وكان غذاء هؤلاء الأوائل يكتمل بصيد السمك، وحيوانات أخرى. في الاسكا، عُثِر على حفرة للدفن في 2010 ظهرت فيها عظام طفلة رضيعة، وطفل آخر توفيا حوالي سنة 9500ق.م وكانا مستلقيين على سرير من قرون الايائل وأسلحة، تغطيهم مغرة حمراء (تربة ذات صبغة طبيعية تعكس لون المعادن فيها كأوكسيدات الحديد الاحمر). أما في أمريكا الوسطى فشاع صيد الدب الكسلان، والمستودون، والارميديللو العملاق. في أوروبا انقرضت ثديّات عملاقة مثل الماموث، والمستودون، والسميلودون، والغزال العملاق، ووحيد القرن الصوفي في الفترة الزمنية ذاتها.

ان قابلية التواصل عبر اللغة والانتظام في جماعات كان يظهر جليا في أثناء صيد هذه الحيوانات ليصبح نسقا اجتماعيا أوسع. واسهمت النار بشكل كبير في تقدم البشر لتوفيرها الحماية، كما في الكهوف، من الحيوانات الأخرى. كما احتفظ الإنسان أيضًا باشياء قد تفيده في استخدامات مستقبلية، ومارس تقسيم المهام للأعمال. لقد تطورت تقنيات النصل الحجري تدريجيا ليعلو بنهاياته الدقيقة حوامل خشبية، أو عظمية لاستخدامها كسكاكين، أو سهام صيد.

ان مهارات الصيد التي امتلكها الإنسان منحته فرصة البقاء بعد تراجع صفائح الجليد في أواخر العصر الجليدي حوالي سنة 10 آلاف ق.م، وكانت المرحلة الأخيرة لعصور من التقدم والتراجع تحت وطأة الجليد. دائما ما كان ينجح الإنسان في مواجهة اللواحم الأخرى، فقد دفع بالتدريج الدببة، والذئاب والحيوانات المفترسة الأخرى بعيدا عن المستوطنات البشرية إلى عراء الجبال والغابات. لقد ساهم ارتفاع حرارة المناخ في عموم الكوكب في انتشار الجنس البشري، وانحسار غابات ومناطق الحياة البرية باتجاه القطبين مع استبدال أشجار الجو البارد مثل الارز، والبندق، وأشجار القضبان بأشجار السنديان، والدردار، ولسان العصفور، والزيزفون. لقد كانت هذه الغابات النفضية بغطائها النباتي بجذورها الممتدة بعيدا غنية بالغطاء النباتي والانتشار الحيواني. انتقلت الغزلان الحمر شمالا، في أوروبا، بالإضافة إلى الخنازير البرية، ما وفر مصادر غذاء اضافية لمجتمعات الصيد

وجمع الثمار. اتسع استهلاك خيرات البحار بسبب تطور رماح الصيد، وقواربه في المناطق الساحلية الممتدة على طول الجزر مثل اليابان حَيْثُ نشط صيد المحار. وبسبب تنامي قدرات الوصول إلى مصادر الغذاء المختلفة مع مرور الوقت، انتشر الإنسان في بقاع كثيرة من العالم حَتَّى إنّه تجمع في مناطق لا تلائم رفاهية العيش كاطراف الصحارى، وحافات القطبين.

وفر الصيد اللحم للإنسان الذي امتاز بانه اسرع هضما من الفاكهة، والخضار النيئة. أما استخدام النار - المنتشر قبل حوالي 80 ألف سنة - للطهي فقد زاد من حصول الإنسان على الطاقة. وعلى الرغم من هذه الإنجازات، وانتشار الإنسان على اجزاء كبيرة من الكرة الأرضية إلّا أن امتلاك التكنولوجيا يوازي إنجازات آلاف من السنين.

فن الكهوف

من الواضح ان الصيد لعب دورا كبيرا في تشكيل المجتمعات الإنسانية الأولى، فقد ظهرت صور الإنسان وهو يصارع الحيوانات في مواضع متكررة كرسوم في الكهوف الصخرية خاصة في أسبانيا. فالرسوم الموجودة في كويفا دي لا فاييخا تظهر رجالا يصطادون الايائل حاملين اقواسهم. أما في التامايرا حوالي سنة 34 ألف ق.م، فتتضمن صيد الثور والخنزير البريين. الكهوف الموجودة في كويفا دي لا بيلاتا تبين صيد الفهود والماعز وسمكة كبيرة. في هضبة طاسيلي ناجر في الصحراء الكبرى هنالك رسومات

يعود تاريخها لسنة 6000ق.م تقريبا تظهر صيد الزرافات. تظهر رسومات موقع بورزاهاما في كشمير رسومات تعود لعام 4300ق.م تبين صيادين مع ثور. ان وجود عظام الحيوانات في المستوطنات البشرية هي ادلة مضافة تؤكد استخدام الإنسان الأول للأسلحة والأدوات لمصارعة وقتل وتقطيع الحيوانات.

الفصل الثاني

العالم القديم 12.500 - 1000ق.م

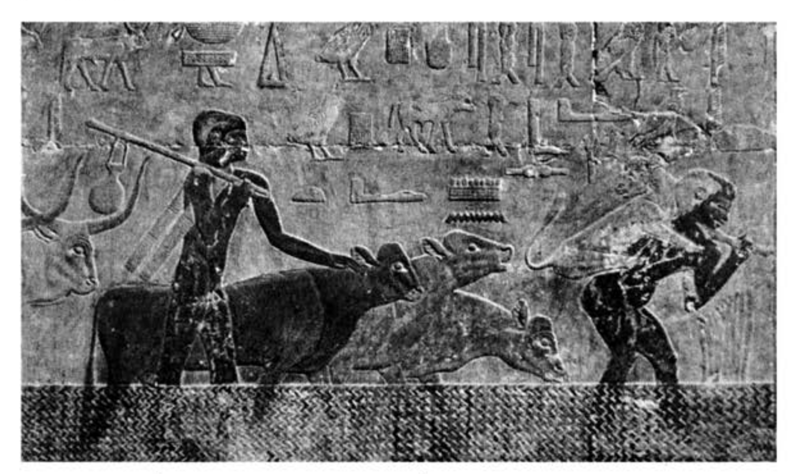
صاحب تطور المجتمعات البشرية تفاعل مماثل مع البيئة المحيطة. فقد مكنت الزراعة وفائض الغذاء المنتج من ازدهار الحضارات الأولى في وديان الأنهار. وتمكن الإنسان، أيضًا، من استئناس الحيوان لأغراض الزراعة، وكمصدر غذاء إضافة إلى التنقل. أسس الإنسان المعتقدات لتفسير ما يحيطه من ظواهر بيئية عنيفة، وغامضة عجز عن فهمها.

ولادة الزراعة

ان التمرس الطويل لبني البشر كمجتمعات تعتمد الصيد، وجمع الثمار غطت مساحة زمنية واسعة امتدت حَتَّى نهاية العصر الجليدي. امتازت المراحل الأولى من العصر النيوليثي (العصر الحجري الحديث) بمظاهر حصاد الحبوب البريّة، وطحنها، وخزنها للغذاء. لقد امتازت الكثير من المناطق، وخاصة السهول الرسوبية الدافئة، الخصبة، بوفرة هذه المحاصيل البرية. من الأمثلة على ذلك، وديان النيل، والنيجر في أفريقيا، والشرق الأوسط فقد وفرت نسبا كافية من سلة الغذاء التكميلية لسكانها. أما التحول إلى زراعة المحاصيل بشكل طوعي، ما يؤشر على انطلاق عهد الزراعة، فقد كان تحولا بطيئا. كانت أولى المحاصيل المدجنة من قبل

الإنسان هي الحبوب الكبيرة كالحنطة بنوعيها ايميت، والقفقاس، أو الايكورن في شمال سوريا حوالي سنة 9000ق.م وهنالك اثار تشير إليها أيضًا في جرش في فلسطين حوالي 8000ق.م. قرابة سنة 7000ق.م أصبحت الزراعة هي المظهر المجتمعي السائد في جنوب غرب آسيا عكس ما كانت عليه في عصور الصيد، وجمع الثمار السابقة. تطورت الزراعة في مناطق أخرى من العالم مثل شمال الصين حوالي سنة 7000ق.م، وأمريكا الوسطى حوالي سنة 5000ق.م.

في لحظة زمن كلاسيكية، انعكست قابلية الإنسان على التكيف في مختلف بقاع الأرض. خاصة فيما يتعلق بأنواع المحاصيل التي اتخذها مصدرا أساسيا لغذائه. فقد تمت زراعة الحنطة، والشعير في الشرق الأوسط، وانتقلت من هناك إلى مصر حوالي سنة 5000ق.م بينما تمت زراعة الدخن شمالي الصين، والرز في دلتا يانغيتزة، ووادي النهر الاصفر. كما تمت زراعة الذرة، والبطاطا، والمنيهوت، والفلفل الحار، والقرع والفاصولياء في أمريكا الجنوبية. وشهدت أمريكا الوسطى زراعة الذرة الصفراء، واليوكا، والبطاطا الحلوة. أما في أفريقيا فقد انتشرت زراعة الدخن وذرة السورغوم والبطاطا الحلوة. وفي غينيا الجديدة انتشرت زراعة القلقاس.



تدجين المحاصيل والحيوانات أدى إلى نشوء مجتمعات أكثر تعقيدا وانعكس ذلك من خلال الأعمال الفنية كما في رسومات القرن الحادي عشر ق.م وجدت في قبر مصري في الأقصر

تجلّت المهارة البشرية في قيادة دفة الزراعة في المعرفة التي استجابت لمتطلبات الزراعة المتنوعة، ومنها الرطوبة، والبزل، والحرارة المناسبة لكل محصول، وحامضية التربة، كل ذلك، وغيره انتشر بين المجتمعات البشرية كمصادر معرفية نابعة من أرض التجربة، ومع انتشار المعرفة خارج إطار مجتمع الأقارب، انتشرت الزراعة، وتنوعت لتغطي مناطق واسعة، فقد وصلت فاصولياء أمريكا الوسطى إلى وادي الميسيسيبي، وجنوب غرب أمريكا الشمالية.

هيأ تهجين المحاصيل فرصا هامة في مجالي الزراعة والخزن، فبينما كانت سيقان حنطة الاينكورن هشة السيقان، وصعبة الحصاد وحبتها صغيرة الحجم استطاع الإنسان التوصل إلى

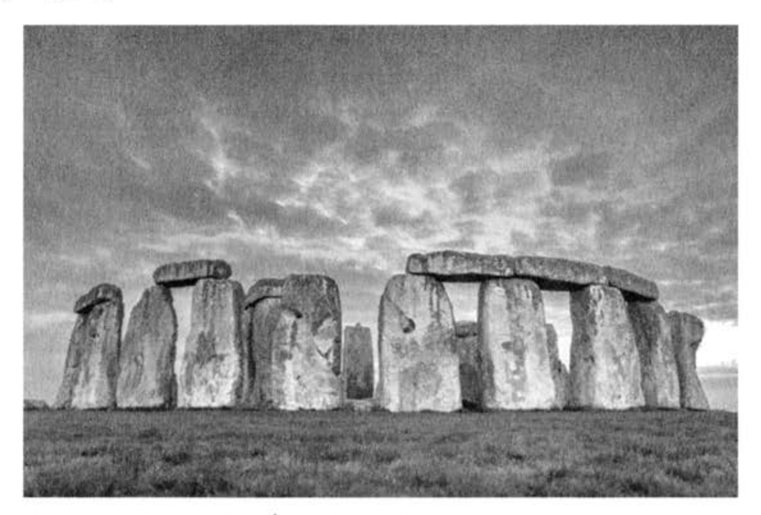
نسخة محسنة ذات ساق أكثر صلابة، وحبة أكبر. ومع التقادم توصل المزارعون إلى إنتاج أنواع ذوات إنتاجية أعلى، وأكثر استقرارا بالمقارنة مع السلالات البرية الأولى.

ان الإنتاج الزراعي المتزايد مصحوبا بتطور أدوات الزراعة شجع الإنسان على تجريد مساحات كبيرة من الغابات. وهذا ما اشارت إِليه السجلات الأحفورية بسبب التناقص الحاد بكمية الطلع للأشجار الناجية.

ان انتشار الزراعة حفز المجتمعات على إظهار مهارات أخرى. فبالإضافة إلى ما يخص، الزراعة والحصاد فهنالك ما يخص تحويل الحبوب إلى طحين، وخزنها بعيدا عن عبث المناخ والحيوانات. انتشرت الطاحونة الحجرية وحاويات الفخار للخزن والطهي مع حلول سنة 7000ق.م.

ظهور الممارسات الدينية

في المجتمعات الامية الأولى، كانت الممارسات الدينية تتسم بالغموض ولكن المعارف الفلكية كانت حاضرة بقوة. على سبيل المثال، شروق الشمس على محور دائرة صخور ستونهيدج النيوليثية. تدل هياكل معالم الممارسات الدينية على بذل الإنسان مئات الآلاف من الساعات البشرية لتكتمل وتدل على انها كانت تجمع عددا كبيرا من الناس كنشاطات مجتمعية أو تنظيمية. هذه المراكز تنتشر في اجزاء كثيرة من الأرض ومثالها المراكز المنتشرة على الساحل الانديزي لأمريكا الجنوبية حوالي سنة 2600ق.م.



احتاج ستونهنج إلى جهد بشري كبير يعكس أهمية الممارسات الدينية في المجتمعات القديمة

شهد العصر الحجري الجديد (النيوليثي) بداية ظهور المستوطنات البشرية المستقرة، وتطلب نشوء التجمعات البشرية في مناطق معينة مع ما يصاحبها من زراعة، فترات زمنية طويلة. وهذه ليست إشارة إلى التجمعات البشرية الصغيرة بل لتلك التي اظهرت تفصيلات متطورة تسترعي الانتباه. ففي أوروبا بين حوالي 4000 – 2000ق.م، تم تشييد طوق مخيمات كوزوايد، وهو شكل من الأعمال الأرضية يمثل غرفا للممارسات الدينية، والمدافن. أما مجسر برودجار في اوركني، فقد أصبح موقعا نيولوثيا مميزا، فالبنايات الكبيرة في المستوطنات البشرية التي ظهرت حوالي 3100ق.م كانت محاطة بجدران صخرية عملاقة. كان للنمو السكاني الذي عززته الزراعة تبعات أخرى، فحياة الفلاحين افتقرت إلى الظروف الصحية، والمتطلبات الغذائية

فيما لو قورنت مع أسلافهم من الصيادين وجامعي الثمار. وفي الوقت ذاته ونتيجة لتكدس السكان في المجتمعات الزراعية ظهرت أمراض مرتبطة بطبيعة هذه الحياة التي لم تستوف الشروط الصحية. لكن يجب ألّا ننسى ان المجتمعات الزراعية هي مصدر الوفرة الغذائية التي بسببها امنت ظهور تخصصات عالية مثل الحرفيين، والمحاربين، والكهنة، والارستقراطيين. فقد دخلت المجتمعات الإنسانية عصور التمايز، والطبقية.

تدجين الحيوانات

لم تقتصر عمليات التهجين على النباتات فحسب، وانما شملت الحيوانات أيضًا. كان السبب الرئيسي لذلك تأمين الطلب الغذائي من الصيد، وجمع المحاصيل، لكن في حال الحيوانات تعدّت هذه الاستخدامات. لقد كان للبيئة المادية اثر كبير في صياغة المجتمعات الأولى، بالإضافة إلى توزيع الحيوانات والطبيعة المتغيرة للناس انفسهم. ما حصل قرابة عام 5500ق.م من طفرة جينية انهت عدم احتمال اللاكتوز اكدت سبب انتشار تناول الحليب في بعض المناطق دون غيرها (حَيْثُ ما زال تحمل اللاكتوز يشكل قضية غذائية في الشرق الأقصى). وبعد ان أصبح الحليب مصدرا أساسيا للتغذية ازدادت أهمية تربية الماشية من أبقار، وأغنام، وماعز، وقد جاوزت أهمية لحومها في بعض الاحيان. ان استخدام جلود الماشية، وصوفها لصناعة الأحذية والملابس زاد من قيمتها أيضًا.

لقد اعتمد التطور البشري، بشكل أساس، على استغلاله الحيوانات. ليس كفرائس فحسب، لكن كحلفاء، أو خدم في علاقة ثنائية المنفعة. ويصدق هذا على الكلاب المدربة التي تعود في اصلها إلى سلالة الذئاب المدربة، التي استخدمت للحراسة، والصيد، لا كحيوانات أليفة. شكّل الحيوان إضافة نوعية لاختصار الطاقة العضلية للإنسان من خلال جر المحراث، وحمل الأغراض. فقد اعتمد الحيوان كمضاعف للربح العضلي. ان انتشار المحراث عوّض العمل الشاق، والبطيء للإنسان باستخدام العصا، والبلطة للحفر، فازدهرت، لاحقًا، الإنتاجية بشكل كبير. حوالي سنة 8500ق.م تم تدجين الماشية في الشرق الأوسط، وحوالي سنة 6500 في شمال أفريقيا. بينما أصبح الماعز، وهو حيوان أكثر جرأة، أوسع استخداما، وفي بيئات متنوعة أصبح هذا الحيوان الأوسع تدجينا في الشرق الأوسط مع حلول عام 7000ق.م. أما الخنزير، وهو حيوان مقاوم آخر، فقد وجد بيئته المناسبة للعيش والانتشار في الصين، في نفس الوقت تقريبا.

إمبراطوريات العالم القديم

حضارة بيرو الأولى
12500 - 4000ق.م

الإمبراطورية الاكدية
2334 - 2154ق.م

الحضارة المينونية
2600 - 1100ق.م

المملكة الوسطى (مصر)
2040 - 1640ق.م

المملكة القديمة (مصر)
2575 - 2134ق.م

حضارة شافين
2000 - 850ق.م

على الرغم من ان الأمـراض المختلفة كالسل الرئوي والإنفلونزا انتقلت من الحيوانات إلى الإنسان، إلّا أن عمليات التهجين مستمرة إلى الآن منْ أَجل تعزيز المواصفات المرغوب فيها للحيوانات المستأنسة. لقد انتشر تدجين الماشية في جميع انحاء اوراسيا خاصة الأغنام، والماعز، والخنازير. أما في الانديز، في أمريكا الجنوبية، فان اغلب ما دجنه الإنسان تضمن الالباكاس، وخنازير غينيا، واللاما. وفي أمريكا الشمالية، دُجِّنت الكلاب، ونحل العسل، والديك الرومي. في جنوب شرق آسيا انتشر البانتانغ (بقرة جاوة). في الهيميلايا، انتشر تدجين ثور لتيبيت (الياك) وفي آسيا الوسطى انتشر تدجين الجمل ذي السنامين.

لقد تطورت العربات بدورها وتخففت عجلاتها الصلدة باستخدام القضبان وكذلك زودت العربة بالعنان الذي يتحكم بسير الحيوان. لقد كان الركاب من أبرز الاختراعات التي ضاعفت من استخدام الخيل ونشأت في اواسط آسيا. ومن المحتمل ان السكوثيين استخدموا الركاب الجلدي في القرن

إمبراطورية الحيثيين
1600 - 1178ق.م

إمبراطورية ميتاني
1500 - 1300ق.م

الحضارة الموكيانية
1600 - 1100ق.م

فيدا الهند
1500 - 600ق.م

شانغ الصين
1600 - 1046ق.م

حضارة الأولمك
1250 - 400ق.م

الرابع ق.م. على الرغم من انه من المحتمل انها استخدمت لاعتلاء الفرس فحسب. ان استخدام الركاب المعدني الثابت ضاعف من مهارات القتال. ووفر الاستقرار عند الحركة حَيْثُ مكن الفارس من المباغتة وإطلاق السهام أو استخدام الأسلحة الأخرى من على ظهر الحصان. أولى التماثيل الصغيرة الصينية التي تصور استخدام الركاب قد تعود لسنة 322م.

استفاد الخيال من تكيفات أكبر بالإضافة إلى السروج والركاب ومنها الأسلحة المدببة والدروع الثقيلة التي برمتها استطاعت ان تزيد من كفاءة الكر والفر وتحمل الصدمات خلال المعارك. استمر الحصان بشغل مكانة الميسر الأكبر للإنسان حَتَّى القرن التاسع عشر وظهور المحركات البخارية ومن بعدها محركات الاحتراق الداخلي التي جاءت بها التكنولوجيا المتقدمة معلنة انحسار دور الخيل لدرجة كبيرة.

ان تدجين الثيران سهّل من عملية الحراثة، وتعود أصول الحراثة الأولى في منطقة كاليبينغان في وادي الهندوس في الهند إلى سنة 2800ق.م. وكانت عملية الحراثة سهلة مع توفّر التربة الخفيفة عكس ما هو عليه الحال مع ترب طينية، خاصة إذا ما كانت مسمدة، وقليلة الصلابة بفعل الفيضانات السنوية. استفادت الحقول من الفضلات الحيوانية، التي تعيد للتربة قوتها النتروجينية التي تفقدها بفعل الزراعة المتكررة. القط حيوان آخر تم تدجينه منْ أَجل حماية المحاصيل، ومخازن الحبوب بملاحقته القوارض.



أسود الحضارة الحوثية في عين دارة التي بنيت بين سنتي 1700 – 740ق.م عكست العلاقة بين الإنسان والحيوان

لقد انعكست أهمية الحيوانات للحياة الزراعية لدى الشعوب السابقة بشكل كبير في ثقافتها، وممارساتها الدينية فلقد شكلت الزخارف الحيوانية جزءًا أساسيا في الفن وكانت لها رمزيتها الدينية، وهي تتصل بالهة معينة. فقد اظهرت القطع الفنية التي تم إنقاذها في مصر، مصورات للتمساح، والبومة، وفرس النهر، وحيوانات أخرى. وكانت العلاقة الوثيقة بين الإنسان والحيوان حاضرة في الرموز الدينية. الحوثيون، أحد شعوب الاناضول قديما، زيّنوا المعابد كعين دارة شمال غرب سوريا، المشيد بين عامي 1700 – 740ق.م، بالأسود، وآباء الهول بنحت حجر البازلت البركاني الأسود. (اصاب المكان دمار كبير بعد تفجيرات الاتراك عام 2018).

التنقل: الحصان

يعود استئناس الحصان إلى عام 4000ق.م جنوب روسيا في وقت مقارب لاستئناس الثيران وفي تلك الفترة تم استغلال ذكور الماشية المخصية في الجر في أوروبا والشرق الأوسط. وقد اثبت الحصان مرونته العالية مقارنة بالحيوانات الأخرى مثل الثيران. فبالإضافة إلى تحملها جرّ العربات والمحاريث فانها سريعة أيضًا فاستخدمت لنقل الرجال لإيصال الرسائل وهي من الأمور المهمة للدولة في حالتي السلم والحرب.



تمثال مصغر لرامي سهام من السكوثيين بداية القرن الخامس ق.م حَيْثُ حولت الخيول حياة الإنسان المدنية والعسكرية وتمكن معها من التنقل والتواصل السريع.

الكثير من مجتمعات العالم حرمت مرونة ورشاقة الخيل بسبب بيئاتها غير الملائمة كما في الأمريكيتين واوقيانوسيا واسترالاسيا. فبعكس الإنسان والطيور لم ينتشر تواجد الحصان في جميع ارجاء العالم. في الانديز، استبدلت الخيل جزئيا باللاما لكنها لن ترقى

إلى مواصفات الخيل المتنوعة والمائزة. فلم يكن بمقدورها حمل الرجال أو النساء أو جرّ المحراث. كانت محدودة التأثير. مع ذلك لم يكن بمقدور الإنسان استخدام الحصان في مناطق معينة مثل حزام بعوضة التسي تسي جنوب صحراء أفريقيا أو مناطق النرويج المتعرجة وجبال الهيمالايا مثلا. حيثما توفرت ظروف تواجده واستخدامه، اثرت الخيل بشكل مباشر على المشهد الحربي. فقد فتحت الباب امام جملة من الإمكانيات ومنها جر العربات الصغيرة كما في مصر والشرق الأوسط والصين وحمل رماة السهام إضافة إلى العتاد الثقيل.

أصول التحصينات

كقاعدة أساس، يستمر الإنسان بحماية نفسه من مخالب الحيوانات المفترسة، وانيابها. وتميز الإنسان عن سواه من الكائنات بانه كان يجد أماكن محصنة (مستقرة)، أو ما توصف (بالدائمية) يتخذها مأوى له.

في هذا السياق، تشكلت أوائل الملاجئ البشرية من مظاهر طبيعية مثل الكهوف، والحواف الطبيعية، والادغال الكثيفة، والاهوار التي، معها، يستطيع الإنسان الاحتماء من الاعداء الارشق حركة منه. فالكهوف على سبيل المثال لم توفر الحماية فحسب، وانما امنت الإنسان من أي حركة التفافية تهدف إلى تطويقه. من الملاحظ ان سلسلة كهوف جبل طارق استخدمت من قبل أجداد الإنسان الأول، النياندرتال، وحَتَّى الإنسان

الحديث الهومو سيبيانز. في أفريقيا، وشكلت الشجيرات الشوكية حواجز للحماية زمنًا طويلا.

في المناطق المنبسطة من الكرة الأرضية تم تطوير التحصينات الصناعية حَيْثُ يندر وجود ثكنات الحماية الطبيعية، أو انها لا تكفي لاستيعاب المجموعة السكانية.

لقد تعززت التحصينات الطبيعية تدريجيا بإقامة المتاريس من الصخور والتراب. أما النار فقد اعتمد عليها الإنسان للإنارة، والقتال، وابعاد الحيوانات. وتم إنشاء الحواجز الخشبية لحماية الحيوانات المستأنسة، وضمان السيرة عليها. وعند انعدام الاخشاب كان يستعاض عنها بالصخور، أو التراب. لعبت التتحصينات دورا هاما في حماية الإنسان من الحيوانات المفترسة خاصة الذئاب، والدببة، والنمور، والأسود، وحَتَّى من المجاميع البشرية الأخرى التي كانت تتصيد الماشية، أو تقاتل للحصول على الأراضي التي تناسبها للرعي. اثبتت التجربة ان إقامة حصن أو ملجأ صغير يسهّل عملية المحافظة على الحيوانات الداجنة بعيدًا عن تسريحها في مساحات واسعة كالحقول، وغيرها. فقد ساعد تشييد مخازن الحبوب، أو السايلوهات على توفير أماكن لحفظ المنتجات الزراعية من اضرار الحشرات، وتقلبات الطقس. في الوقت ذاته كانت آلية دفاع ضد أي جهة مهاجمة.

ان التحصينات الأكثر تطورا ظهرت مع ظهور ما يعرف بالدول حوالي سنة 4000ق.م، فقد تحاربت الدول منْ أَجل الحصول على الموارد، وتأمينها، ما أدى إلى ظهور نزاعات كبيرة

شجعت على تسوير المدن بجدران محصنة. مع ذلك فان ازدهار الزراعة، والتطورات الاجتماعية وما يتصل بها من تنامي دور الدولة، سمحت بتجمع فائضات الموارد التي خصص بعضها منْ أَجل تشييد تحصينات أكبر، وأوسع، ثمّ تأسيس نظام الجيش.

مدن الآلهة

ظهرت الطبقة المقاتلة كأحد مظاهر الرفاهية التي وفرتها زراعة المحاصيل. وبدأت انماط الحياة بالتباين ووفرت للإنسان وقتا أكبر للتفكير والابتكار. ومع تطور الزراعة كبرت المستوطنات البشرية من القرى إلى مدن صغيرة ثُمَّ إلى المدن الأولى مثل جرش في فلسطين وجاتال هويوك في تركيا ومِنْ ثَمَّ إلى المدن الحضرية الكبرى التي اقيمت بالاعتماد على منظومات ريّ تمكنت من سد حاجة السكان. وقد وجدت للمرة الأولى وبشكل متمايز في بلاد ما بين النهرين وأماكن أخرى احتضنت أنهارا واراضيَ منبسطة فكانت مهاد للحضارات كما في الصفحات القادمة. اعتمدت هذه الحضارات على الأنهار الجارية التي كانت تترجم دينيا إلى انها من النعم الالهية. كان الدين عنصرا أساسيا في المجتمعات المتحضرة التي نشات قرابة عام 4000ق.م فقد كان الالتزام بالممارسات الدينية جوهريا لتأسيس الهوية السياسية للبلد وتعزيز سلطة الطبقة الحاكمة. في بلاد ما بين النهرين ازدهرت المدن الحضرية الأولى حَيْثُ انتصبت الزقورات المقدسة (بناء دائري مرتفع ومصنوع من الطين) لتمثل تجمعات العبادة. كان

كهنة هذه المعابد ينشرون التعاليم الالهية والبشرية: الالهية، ليفهموا ما تريده الالهة منهم. لقد وفروا قاعدة من القداسة للطبقة الحاكمة وكانوا يديرون اجزاء كبيرة من أراضي المدينة وامتلكوا الأدبيات وتصرفوا على انهم حراس ارشيف الدولة حَيْثُ يسجلون الإنتاج ومحتويات المخازن.

كان من عادة المدن الأولى أن يكون لكل منها اله رمزي. في بلاد ما بين النهرين، تأسست دولة مدينة اوروك قرابة سنة 4500ق.م. أما مدينة نيبور القريبة فقد كانت مدينة الاله اينليل وكان الاله المقرب من بين مجموع الهة السومريين وقد بني أول معبد لحاكم اور حوالي سنة 2100ق.م.

أما في المنطقة التي تشغلها بيرو اليوم، فقد ظهرت تلال لمعابد كبيرة على طول ساحل وديان أنهار المحيط الهادئ ومنها مناطق وادي سوب التي تعود إلى حوالي سنة 2500ق.م.

ظهور التجارة

اعتمدت الكثير من الحواضر الأولى على التجارة لبناء ثروتها، وبذلك توسعت الشبكات التجارية البرية، والبحرية. ومن هذه الموانئ المطلة على البحر الابيض المتوسط، بيبلوس في لبنان التي أُسِّست حوالي سنة 3100ق.م. وأخذت المستوطنات الفينيقية الأخرى بالانتشار ومنها بيروت، وصور، وصيدا، وتدريجيا ظهرت قرطاجة. أما ديلمون البحرين، وراس الجنيز في عمان فقد ربطت البحر الابيض المتوسط بالمراكز البحرية في

الشرق. كانت هنالك أيضًا مدن تجارية، ومستعمرات في المناطق الداخلية، البعيدة عن الشاطئ جنوب آسيا مثل شورتوغاي على نهر الجيحون شمال أفغانستان حوالي سنة 2500ق.م.

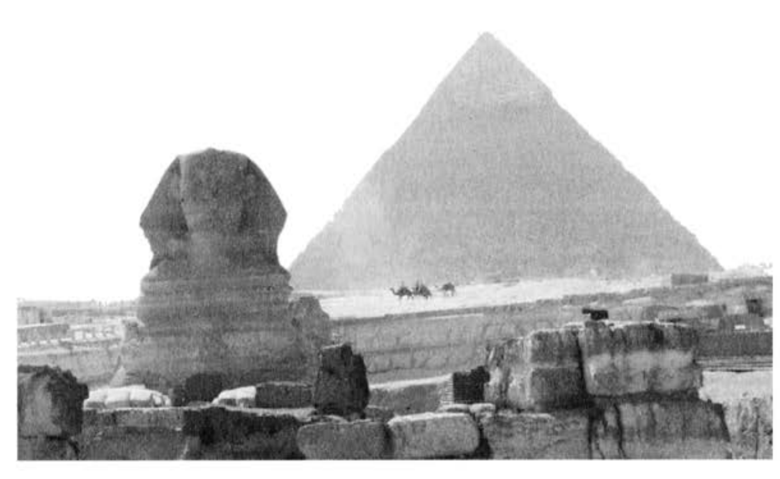
في ألفية الأولى ق.م ازدادت المسافات البحرية التجارية طولا. خاصة بين الصين، والهند، والشرق الأوسط. ومن بين اغلى البضائع المتداولة كانت البهارات التي تنقل من إندونيسيا إلى أماكن بعيدة تصل إلى الإمبراطورية الرومانية. واستمرت البضائع التي غلا ثمنها، وخف حملها بالهيمنة على مظاهر التجارة حَتَّى ظهور السفن البخارية الضخمة في القرن التاسع عشر. ومن الملاحظ ان آفاق عالم التجارة اتسعت كثيرا مع حلول ألفية الثالثة ق.م.



أ. مصر القديمة

مكنت الأرض الخصبة لوادي نهر النيل من نشوء أولى الحضارات في العالم. مع حلول عام 3300ق.م كانت المدن المسورة تمتد على طول نهر النيل في مصر، وكانت مدينة الكوم الاحمر، أو هيراكونبوليس هي الأولى، ومدينة نقادة. ان الصراعات المستمرة بين هاتين المدينتين منْ أَجل السلطة، ادت إلى ارتفاع جدران من الطابوق الطيني حولهما. اخيرا توحدت البلاد على يد حاكم مصر العليا، نعرمر حوالي سنة 3100ق.م وأصبح

أول فرعون، أو حاكم لمصر. وباعتباره الاله الحي للبلاد، أسس ممفيس، مدينة يسورها جدار طيني، لتكون عاصمة البلاد. وتقع على ضفة النيل الغربية اسفل منطقة الدلتا بالقرب مما يعرف اليوم بالقاهرة. لقد توحدت مصر واثبتت المملكة المصرية المتحدة قوتها ومقاومتها لتحديات الزمن. فقد عاشت المراحل الثلاث: القديمة (من حوالي 2575 - 2134ق.م)، والوسطى (من حوالي 2040 - 1640ق.م)، والجديدة (من حوالي 1550 - 1070ق.م).



اهرامات الجيزة من الاثار المذهلة لمصر القديمة

تُعَدّ الاهرامات الارث الاعظم للحضارة الفرعونية التي ما تزال شاخصة حَتَّى يومنا هذا. وقد بنيت كمقابر ملكية حوالي عام 2700ق.م على أيدي الآلاف من العمال. هنالك أيضًا المنحوتات المذهلة، وبقايا الجنائز كالمومياءات، ومخطوطات

بالهيروغليفية وهي منظومة الكتابة المصرية القديمة التي زينت المعابد، والمقابر، ومخطوطات البردي.

صوت الحرب

الجنرال المصري اوني ابيدوس أو الأكبر (حوالي 2375 - 2305ق.م) قاد حملة عسكرية على بلاد كنعان (إسرائيل) حوالي سنة 2350 - 2330ق.م، ذكر في قصيدة انتصاره وان جيشه مسح أرض ساكني الصحراء ...

قطع تينها، وعذوقها
واشعل النار في مساكنها كلها
وذبح عشرات الآلاف من مقاتليها ...

في ذلك الوقت تمكنت مصر من احكام قبضتها على أراضيها باستخدام الأسلحة المصنوعة من البرونز (انتشر استخدامها حوالي عام 2000ق.م)، وكذلك الاقواس المركبة، وعربات القتال. أما في القرن الخامس عشر قبل الميلاد فقد اصطدم التوسع المصري بالإمبراطورية الميتانية لبلاد ما بين النهرين، وكان تحتمس الثالث، آنذاك، في أوج انتصاراته بعد ان قضى على تحالف سوري في مجيدو حوالي 1460ق.م، في القرن 13ق.م. وفي جميع الاحوال كان على مصر التخلي عن الأراضي لصالح المملكة الحوثية المتجددة، الأخذة بالاتساع (مقرها في تركيا)، وقد أكدت وجودها في المنطقة السورية. وكانت هنالك فورة أخرى، إذ

وجد رمسيس الثاني نفسه على وشك الهزيمة في قادش حوالي سنة 1274ق.م، احتلت القوات المصرية أيضًا اراضيَ في النوبة، فيما يعرف اليوم بالسودان، على الرغم من ان تخوم مصر الجنوبية لطالما مثلت خطوط مواجهة، ونزاع. تضاءلت قوة مصر مع نهاية المملكة الجديدة، وتم غزوها من قبل جهات عدّة، من بينها الآشوريون بين 671 – 663ق.م، والفرس بقيادة قمبيز الثاني في 525ق.م، والاسكندر العظيم من مقدونيا الذي انتزعها من الفرس في 332ق.م. وبعد ان وقعت في حكم المملكة البطلمية التي أُسِّست على يد أحد جنيرالات الاسكندر المقدوني، أصبحت مقاطعة تابعة لروما حوالي عام 30ق.م، ثُمَّ فقدت استقلالها مع تعاقب الأنظمة الإمبريالية.

أصول الدبلوماسية

في العام 1887، وجدت مجموعة من الوثائق من بينها مراسلات تعود لمنتصف القرن 14ق.م بين المحكمة المصرية العائدة للمملكة الثامنة عشرة وبين دول أخرى في الشرق الادنى القديم وقد عكست الاعتماد المتبادل بين هذه القوى بالإضافة إلى وجود تشبيك دبلوماسي على مستوى واسع مع وجود منظومة متطورة من الاليات والصياغات. تضمنت الاستعارات الأساسية تبادل الهدايا والروابط العائلية والنسب والإحساب. وعلى الرغم من ان هذه السياقات كان من المفترض ان تعكس المساواة إلّا أن المنظومة كانت محكومة بالهيمنة المصرية.

ب. بلاد ما بين النهرين

شهدت بلاد ما بين النهرين قيام المدن الأولى، ونشأت فيها، كذلك، أول إمبراطورية حوالي 2300ق.م على يد سركون الذي وحّد دويلات سومر (الواقعة جنوب عراق اليوم)، واحتل المناطق المجاورة التي تعرف اليوم بسوريا، وتركيا، وإيران.



حمورابي (حكم بين حوالي 1790 - 1750ق.م). أقام مسلة للقوانين كان على الناس الالتزام بها

وبدورها، تعرضت المملكة للغزو من قبل الجوتيين حوالي 2150ق.م، لكنهم لم يستطيعوا السيطرة على الإمبراطورية

مدة طويلة. بعدها نشأت إمبراطورية عاصمتها اور في بلاد ما بين النهرين. كانت اور محاطة بجدران، وقلعة محصنة، وتتصل بنهر الفرات عن طريق قنوات عدّة. دُمّرت اور على يد إيلام (دويلة جنوب غرب إيران) حوالي سنة 2000ق.م. وبعد مدة ظهرت إمبراطورية حمورابي في بابل، وكان مشرعا قانونيا بارزا حكم بين 1790 – 1750ق.م. وكحال المدن الأخرى الرئيسية في بلاد ما بين النهرين، أصبحت بابل مدينة علم، وثقافة، وقانون قبل تدميرها على يد الحوثيين في العام 1596ق.م.

تعاقبت الحضارات على بلاد ما بين النهرين، كالإمبراطورية الآشورية الجديدة التي أُسِّست في شمال العراق (كما يعرف اليوم) العام 950ق.م، وقد تعززت قوتها تحت حكم آشور ناصربال الثاني الذي حكم بين 883 – 859ق.م، واتسعت الإمبراطورية في أيامه لتمتد من الخليج الفارسي إلى النيل. وكان هذا هو الشعب الأول الذي استخدم الحديد للتقنيات العسكرية، إِذ كان الآشوريون مقاتلين أشدّاء، وخبراء في صنعة الحصار. وكانوا أول من استفاد حقا من الخيالة. كانت الهتهم كائنات حربية، وقد اجتهد الآشوريون في نشر سيطرتهم، وديانتهم للاله الأكبر عندهم، آشور. امتاز حكمهم بالإرهاب فقد اتسم بممارسة القتل الجماعي، والتعذيب، والنفي، والتهجير. واخفقوا، أخيرًا، في الحفاظ على حكمهم بسبب انتشار العداوة وتواتر الثورات. ان محاولة الإمبراطورية اضعاف مصر والاستحواذ عليها، والثورة التي قادها البابليون، والتماع نجم الميديين

المجاورين الذين ساندوا البابليين في مسعاهم لتدمير العاصمة الآشورية، نينوى في 612ق.م، كانت كلها أسباب الانهيار السريع لإمبراطورية آشور.

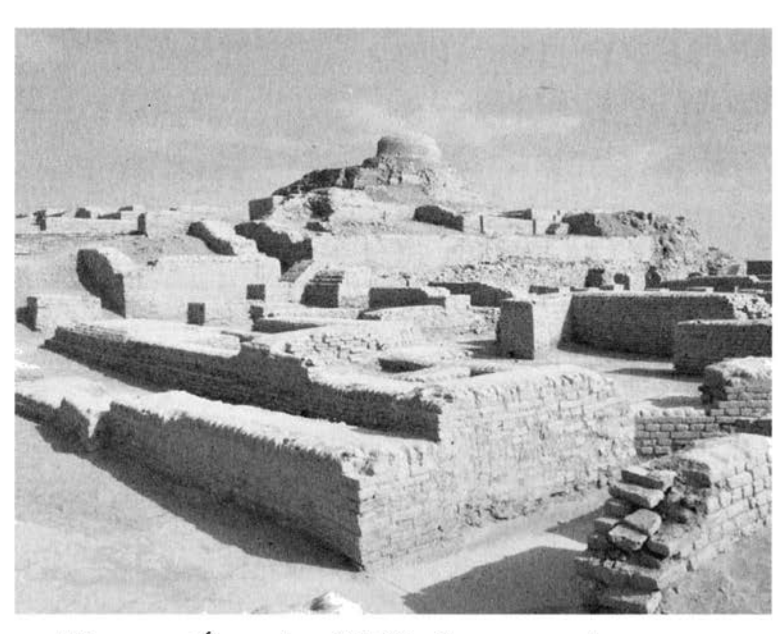
ج. وادي السند

ان تطور التجمعات الحضرية في المناطق الخصبة من وادي السند في ما يعرف اليوم بباكستان، وشال غرب الهند أدى إلى نشوء ثقافة الهاريبان، أو حضارة وادي السند (من حوالي 3300 – 1500ق.م) التي انتشرت شرقا وجنوبا. وأعقب مستوطنات وادي السند المسورة قيامُ المدن الكبرى في حوالي 2500ق.م مثل هارابا، وموهينجو – دارو، وكاليبانغان. بنيت الأخيرة على أرض بلغت مساحتها 60 هكتارا أو 148 فدانا وسكنها 50 الفا. تضمن التخطيط الحضري للمدينة شبكة مجارٍ متطورة منْ أَجل تقليل حالات الوفاة من اثر الإصابة بالأمراض. وقد تفاقمت هذه المشكلة في المدن القديمة نتيجة استمرار الهجرة من الريف إِليها.

مُنذ حوالي 1500ق.م، انتشر الفيدي – آريون حول مناطق واسعة شمالي الهند، وقد ارتبط ذلك بتضاؤل حضارة السند، مع العلم ان الظروف المناخية لعبت دورا كبيرا أيضًا في اندثار هذه الحضارة. ومع بواكير ألفية الأولى ق.م اعيد إنشاء المستوطنات المحصنة في البنجاب. وشهدت الهند انتشار تقنيات الحديد من حوالي سنة 1000ق.م. أما الديانتان الهندوسية، والبوذية فقد ظهرتا بعد ذلك بحوالي 400 سنة.

د. تشانغ الصين

النهر الاصفر أساس نشوء مملكة الشانغ، الدولة الصينية الأولى المدعمة بالدلائل الاثارية. ان طبيعة التربة الرسوبية لنهر اليانغتسي كانت سبب الخصوبة التي انطلقت منها المدن الأولى مثل ايرليتاو التي أُسِّست حوالي سنة 1900 ق.م. ويين (حاليا آنيانغ)، بالإضافة إلى نشوء ثقافات متطورة شملت الكتابة التي، غالبا، ما اتخذت شكل النبوءات المكتوبة على عظام لوح الكتف.



موهينجو – دارو بنيت حوالي 2500ق.م إحدى أكبر مستوطنات وادي السند

بينت هذه الكتابات أهمية الدين في حضارة تشانغ. ان حضارة هذا العصر البرونزي أشاعت ممارسة القرابين البشرية

بسبب اعتمادها على الزراعة، وأدى ذلك، بدوره، إلى ابتكار الالآت الموسيقية، والمشاركة بتسجيل الملاحظات الفلكية.

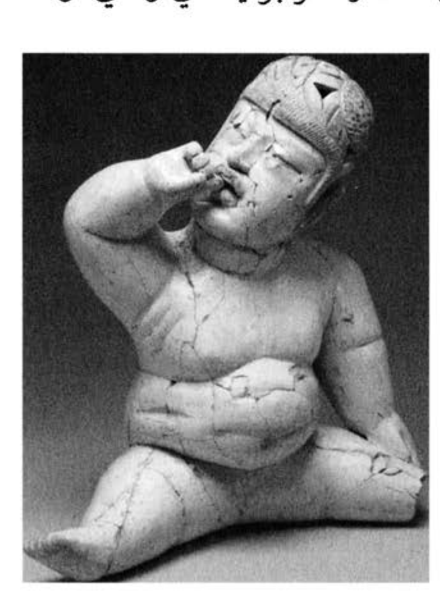
هـ. الساحل البيروفي

كما في اوراسيا، شهدت الأمريكتان ازدهار الحضارات المركبة. ففي أمريكا الجنوبية كان الساحل البيروفي ذا أهمية كبيرة. فقد اجتمعت على طوله أنواع عدّة من المحاصيل المدجنة خاصة الضرب القديم من الذرة الصفراء، ومصادر الحيوانات البحرية من المحيط الهادئ. في هاوكا بريبتا شمال البيرو، التي احتلت من حوالي 14500 إلى 4000 سنة، كانت الاطعمة البحرية هي الطبق الأساس بينما يعود تاريخ وجود عرانيص الذرة إلى 4700ق.م واكتشفت عام 2012. في حين اثبتت الاثار ان الافوكادو يعود إلى 15 ألف سنة ق.م. وتعود الاقمشة القطنية المصبوغة باللون الأزرق النيلي إلى قبل 6000 سنة واكتشفت هناك في 2016. وقد تم اكتشاف السلال المحوكة، والقرع المزخرف. لقد ظهرت تلال المعابد الكبيرة على خط ساحل وسط بيرو حوالي 2500ق.م. وقد تم بناء معظمها من قبل حضارة التشافين المزدهرة بين 900 – 200ق.م. وحضارة الموتشي التي تبعتها حوالي سنة 1 – 600.

و. أمريكا الوسطى

نشأت أولى حضارات أمريكا الجنوبية، الأولمك، على ساحل خليج المكسيك حوالي 1150ق.م واستمرت حَتَّى نهاية ألفية

الأولى ق.م. نشط الأولمك كتجار معروفين، وبنوا على اثر ذلك مستوطناتهم القوية، وأنتجوا منحوتات صخرية، وسيراميك، وقد طوروا الروزنامة، ونظام للكتابة. ومع تداعي هذه الحضارة العام 400ق.م ظهرت حضارات أخرى، واتسعت ومن بينها حضارة المايا الذين لمع نجمهم مع سنة 1000ق.م، بالإضافة إلى حضارة الزابوتيك في وادي اواكساكا.



ظهرت حضارة الأولمك الأولى، الكبرى في أمريكا الوسطى حوالي سنة 1150ق.م

حضارة أدنا

على الرغم من وجود مواقع للنشاط البشري في أمريكا الشمالية يعود تاريخها إلى حوالي العام 15 ألف ق.م وصناعة الفخار فيها يعود إلى حوالي 2500ق.م. إلّا أن الحضارات التي خلفت تلال المقابر وأعمال حفر واسعة لم تظهر إلّا بعد مثيلاتها

في أمريكا الوسطى. لقد عرفت بـ (الفترة الخشبية) ولم يعثر على اثار مهمة من هذه الحقبة لعلماء الاثار لتغنيهم في ابحاثهم. حوالي سنة 700 – 400ق.م. وجدت حضارة ادنا في الجزء الأعلى من وادي اوهايو ومنها انتشر إلى الاجزاء الشمالية الشرقية لما يعرف اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية. انتشرت في المنطقة أعمال حفر معقدة قد تكون أماكن للتجمع أو مناطق للدفن. أعقبه نظام تبادل هوبويل (سكان أمريكا الاصليون) في وادي نهر الميسيسبي حوالي سنة 100ق.م. تميزت هذه الثقافة بانتشار المنحوتات الحيوانية.

خارج المهاد

حضارات العصر البرونزي في حوض البحر الابيض المتوسط

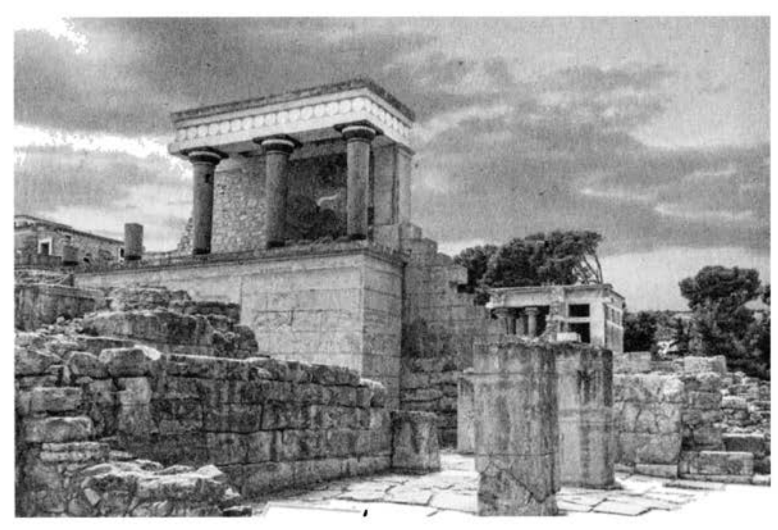
انتشرت الحضارات القديمة المعروفة، أو ولدت غيرها بشكل منفرد في مناطق مختلفة خارج مهادها اعلاه. ففي اليونان ظهرت سلسلة من المجتمعات التي تبادلت تجاريا في خلال العصر البرونزي في حوض البحر الابيض المتوسط، خاصة الحضارة المينوسية في كريت، والموكيانية التي غطت معظم أراضي اليونان. ظهرت مجتمعات محصنة في قصور كريت حوالي سنة 2000ق.م. لكنها دُمّرت تماما ربما بفعل انفجار بركاني حوالي سنة 1450ق.م. ان المخلفات الواسعة لقصر كنوسوس هي شاهد على مقدار تقدم مجتمعها انذاك. وباتت موكياني،

التي سيطرت على الطريق الرئيسي بين ميناثي آركيا، وكورينثيا، ذات أهمية كبرى حوالي عام 1550 ق.م ومع تداعي الحضارة المينوسية، سيطرت على كريت.

ان يونان الموكيانية هي مهد ملحمة الالياذة، العمل الأبرز لهوميروس، وهي تحكي حملة اليونانيين لمحاصرة مدينة طروادة قرب الدردنيل (تركيا حاليا). هذه الملحمة تبرز أهميتها كأسطورة يلعب فيها الالهة دورا كبيرا، في حين لعب فيها (آخيل) الإنسان دورا مستقلا. اكمل هوميروس القصة بالاوديسا، التي حكت الرحلات التالية لمقاتل العرش اليوناني اوديسيوس. واجه اوديسيوس وحوشا غريبة مثل العملاق ذي العين الواحدة بوليفيموس، والساحرة سيركه، وذلك يؤشر على أي مدى كان اليونان، كالشعوب القديمة الأخرى، يشغلون اكوانهم بمخلوقات خطيرة. من الأمثلة الرئيسية الأخرى طائر الهاربيز، والسفنكس الانثى التي تماثل ابا الهول صاحب اللغز المميت الذي حُلَّ على يد أوديب.

أنهارت الحضارة الموكيانية حوالي 1100ق.م ربما بسبب الغزو. وشكل هذا جزءًا من انهيار أوسع اثر في الجزء الشرقي من حوض المتوسط، حَيْثُ سقطت طروادة، والدولة الحوثية، والمدن السورية، والكنعانية. وقد بدأ الانهيار جزئيا بسبب غزاة غير معروفين أسموهم، احيانا، بشعوب البحار، وأيضًا بسبب حركات التمرد الداخلية، وما نتج عنها من أزمة بالتجارة العالمية، والهيمنة السياسية. وقد تفاقم ذلك بالأزمة البيئية، وتأثير دخول

الأسلحة الحديدية إلى المنطقة التي بدورها طوت صفحة العصر البرونزي، واعلنت بداية عصر الحديد حوالي سنة 1100ق.م.



قصر كنوسوس الذي عكس تقدم حضارة كريت المينوسية

اكتشاف الزمن

ان فكرة الفضاء والزمن تستند إلى علاقة الإنسان بالمقدس ما ساعد على تفسير العلاقات المهمة للحركة الفلكية وحفظ السجلات الفلكية وأنظمة التقويم.

ان مراحل تطور التقويم يشوبها نوع من الغموض، ولكنها ترتبط بعلاقة وثيقة مع الممارسات والمؤسسات الدينية وخاصة ما يحدد الأيام المتوقعة لإقامة الممارسات الدينية المهمة. هذه الحاجة التي اكدت أهمية الملاحظة والرصد الفلكي وحفظ

سجلات الحركة الفلكية ادت إلى ظهور الارقام والكتابة كنتاج في غاية الأهمية. ومن اهم المشاهدات ما يتعلق بنظامي الشمس والقمر. انتشرت الروزنامات في نظام الإمبراطورية وما بينها. وبرزت أهمية التقويمين الروماني (يولياني) والصيني.

لم يكن الفصل بين الماضي والحاضر مهما عند المجتمعات التي آمنت بالنظريات المدّورة للزمن، بينما ازدادت أهميتها لدى المهتمين بإيقاع المواسم واثرها في الزراعة وصيد السمك وزراعة الغابات. ان التأثير المتبادل للرياح والتيارات البحرية وذوبان الثلوج والجليد وبداية نمو الاعشاب (للرعي) كلها ساهمت بوضع البنود الزمنية للتجارة بعيدة الأمد للبر والبحر.

أما المجتمعات التي تعود إلى الماضي للتقييم مثلا فقد ركزت على الجانب المقدّس وكانت مهتمة بتشخيص مناسبات العناية الالهية وظهور الانبياء وأمور القساوسة والنذور وقراءة الطالع والوحي والعرافة وما يدور حول القوى الشيطانية ووسطائها الأرضيين كالساحرات.

الحضارات غير المعمارية

غالبا ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر حضارة ما، ما خلفته من هياكل، ومعمار مميز يعكسان فاعلية الدولة فيها. ان هذا التوقع مجحف بعض الشيء بحق الحضارات التي لم تعتمد على تشييد مبانيها باستخدام الصخور، والأحجار، خاصة تلك التي نشأت في مناطق الغابات. صحيح ان الخشب يصيبه العفن، ويندثر

مع الوقت، خاصة في المناطق الاستوائية، إلّا أن هنالك الكثير من الادلة التي أثبتت صمود الهياكل التي بُنيت من الطوب، أو الطين بوجه الزمن، بأيدي الشعوب الأولى، كما في غابات أمريكا الوسطى والجنوبية. ان العينات المعروضة في المتحف الوطني لكوستاريكا في سان خوان تعكس غزارة الحضارات المهمة التي ظهرت في المنطقة. فحَتَّى في أمريكا الجنوبية اكتشفت مواقع تبين بقاياها اشكال السيراميك الأولى في منطقة الغابات الكثيفة اسفل وادي الأمازون، وأنهار الاوريناكو، وهي تدل على تطورات هذه الصناعة لدى تلك الشعوب. وكما هو الحال في رسم خارطة انتشار الجنس البشري الأول، تتضح الحاجة إلى جهود أكبر لرسم خارطة انتشار الحضارات، وهي اعقد بكثير مما يقترحه أي نسق مبسط.

الدين المنظم

ظهرت الاديان في جميع الحضارات حول العالم في مسعى لا يهدأ منْ أَجل ان يعرف الإنسان موقعه في الوجود، وتحسين أحواله من خلال التدخلات الالهية. ارتبطت معظم الطوائف القديمة بالمدافن، وذكرى الموتى كما في مدافن اوركني النيوليثية ذوات الحجرات، التي تمتعت بأنظمة تقويم تعينها على تحديد اوقات المناسبات الدينية المهمة.

لقد حرضت الممارسات الدينية على تقديم الهدايا للالهة، وقد ساهم ذلك في نسج وحدة مجتمعية، كما هي الحال عندما قدم

الفينيقيون الاضاحي من الأطفال على يد اتباع بعل هامون. لقد كان للإغريق أيضًا تعاليمهم الدينية الخاصة كتلك التي ظهرت في دلفي اليونان، وكوماي في إيطاليا، وكلها مساعٍ لفهم امزجة الالهة، وأرضائها.

مع تعقد الحضارات برز التنوع في الديانات بظهور الهة جديدة غالبا ما كانت تنتقل من خلال الغزوات، والهيمنة على شعوب أُخَر، تؤسّس، بدورها، منظومات عقائدية، وممارسات دينية جديدة. فمع حلول القرن الخامس ق.م كان المشهد الديني متنوعا كما يأتي: البوذية جنوب آسيا، والطاوية في الصين، وظهور اتباع، وطوائف اليونان، ومصر، واليهودية في حوض البحر المتوسط، كذلك الاديان المتمحورة حول الاحتفالات الدينية في الحضارات الأمريكية مثل التشافين في أمريكا الجنوبية. وتبقى الكثير من ديانات الحقب السابقة كديانات الاتروسكان، والحيثيين، والفينيقيين غامضة بسبب عدم التوثيق الكافي لها، ما ابقاها طي المجهول.

ديانات العالم القديم

حوالي 3500ق.م تعدد الالهة في بلاد ما بين النهرين
حوالي 3000ق.م تعدد الالهة في مصر
حوالي 3000ق.م طوائف مدافن العصر الحجري الحديث
حوالي 1700ق.م الهندوسية
حوالي 1200ق.م الديانة الشامانية للأولمك
حوالي 900ق.م ديانة تشافين
حوالي 900ق.م اليهودية
حوالي 900ق.م طائفة ملقرت
حوالي 900ق.م تعدد الالهة في اليونان
حوالي 600ق.م الزرادشتية
حوالي 568ق.م البوذية
حوالي 500ق.م اليانية (جاين دارما)
حوالي 400ق.م الطاوية
551ق.م الكومفوشية

خيرات غيرت العالم - المعادن

كانت الأحجار هي المادة الأساسية لتصنيع أدوات الإنسان لملايين السنين. تغير ذلك بين 7000 – 5000ق.م ففي غرب آسيا وجنوب شرق أوروبا، اكتشفوا انه من الممكن عزل المعادن عن خاماتها عن طريق استخدام الحرارة. ولذا كانت المعادن ذوات درجات الذوبان الاوطأ هي الأكثر شيوعا والاسبق بالاستخدام مثل النحاس بدلا من الحديد وبذلك اعتمدت تقنيات التعدين على النحاس أولًا. في البداية كان هنالك تداخل بين أدوات حجر

الصوان (ومن بينها الأسلحة) والنحاس ثُمَّ النحاس مع البرونز ومِنْ ثَمَّ البرونز مع الحديد. ان جسد (اوتزي) الذي وجد مطمورا في ثلوج جبال الالب ويعود إلى حوالي سنة 3100ق.م، كان يحمل فأسا من البرونز وسكينا من حجر الصوان واسهما ذات رؤوس من حجر الصوان بالإضافة إلى القوس. وكان مصابا بجروح ان لم يكن قد قتل بسبب أسلحة مشابهة. اثبتت المعادن قوتها وديمومتها مقارنة بالأحجار وهذا ليس باقل أهمية من إمكانيتها على الاختراق الاقوى ووزنها الاخف الذي سهل الاستخدام والحمل. انتشرت أعمال المعادن في المجتمعات الأكثر تقدما لانها تحتاج إلى موارد متنوعة للعمل. تطلب العمل بالبرونز إلى توفر النحاس إضافة إلى توفير القصدير من مسافات بعيدة. بعد عصر النحاس، حوالي 3300 - 800ق.م جاء العصر البرونزي وهو سبيكة نحاس اقوى من سابقتها وأكثر فاعلية بصناعة الأدوات والأسلحة ويحافظ على شكله بالرغم من التعرض لضغط كبير. استبدل البرونز بدوره بالحديد وقد انتشرت عمليات صهره وتعدينه من غرب آسيا إلى أوروبا. أول أعمال الحديد سجلت في الصحراء الأفريقية وتعود إلى 800ق.م مع حضارة النوق في نيجيريا حَيْثُ تطورت هذه الصنعة بين القرنين 6 - 5ق.م. لقد وفر الحديد إمكانات كثيرة. ان استخدامه في الخراطيم والمسامير وسع افاق الزراعة وان استخدامه في البناء إضافة إلى اعتماده في العربات زاد من متانتها. ساعد الحديد بإنتاج أسلحة اقوى

واصلب خاصة بعد إضافة مادة الكاربون لإنتاج الفولاذ. لقد أصبح الحدادون عناصر أساسية في الاقتصاد المحلي لمجتمعاتهم.

ولادة الكتابة

مع تعقد الحضارات، ظهرت الحاجة إلى حفظ السجلات، وتنظيم القوانين، أو تمرير التعاليم الدينية، أو المعارف الأخرى. استجابت الكتابة لهذه الحاجات. فقد ظهرت باشكال مختلفة إذ تم تقديم اللغات المنطوقة بوسائل مرسومة، وقد تبلورت باتجاهات مختلفة في كل مكان في العالم. مع الفرق الكبير بين الكتابة الصورية التي تمثلت بالهيروغليفية المصرية، والاشكال الصينية، وبين الهجائية. لقد ظهرت منظومات الكتابة المتكاملة الأولى في سومر بين النهرين ومصر حوالي سنة 3100ق.م وفي الصين حوالي 1200ق.م.

العملة

مع اعتماد الحضارات القديمة على التجارة ظهرت الحاجة إلى تمثيل القيمة، والحفاظ عليها. فتمت صناعة قطع صغيرة ذوات قيمة عالية من المعادن الثمينة كالذهب، والفضة وبعد ان تم تعييرها من قبل سلطات وطنية مختلفة لتوحيد الوزن، ومعادلة قيمتها تحولت إلى عملات نقدية. اغريقيو آسيا الصغرى كانوا اصحاب المسكوكات النقدية الأولى في القرن السابع ق.م. ان الثقة الممنوحة من قبل الحكام للعملات سهلت عمليات التجارة، وجباية الضرائب، واتسعت على اثر ذلك، بشكل ملحوظ، شبكات

التجارة، وتنوعت السلع أيضًا. لم تكن الضرائب المستقطعة على المواد الغذائية ذوات فائدة فيما لو قطعت هذه مسافات بعيدة. ولذا حلت حركة العملات هذه المعضلة. استفادت جميع العملات من التطورات العلمية في الحساب وأنظمته. واعتمد معظمها على النظام العشري كوحدات أساس، لكن هذا لم يكن الحال مع غيرهم كشعب المايا الذي كانت وحدته هي 20 والبابليين الذين اعتمدوا وحدة الـ 60.

الفصل الثالث

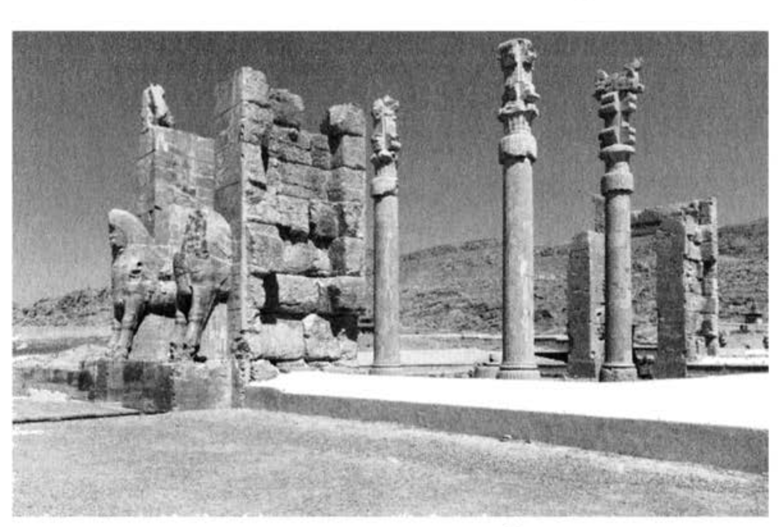
الحضارات الكلاسيكية 1000 - 500ق.م

أصبحت الدول الإمبراطورية أوسع في خلال منتصف ألفية الأولى ق.م، ويعود ذلك إلى استخدام تقنيات الحديد في الزراعة، وصناعة الأسلحة، التي تمكنت معها من الهيمنة والتمدد. من الأمور المؤثرة الأخرى وجود مناهج تنظيمية متطورة كالعملات المعدنية، والكتابة، والدين المنظم، وتبني الحكومات مناهج عمل مفيدة مثل التعاليم الكونفوشية في الصين. ان تفاعل هذه العوامل فيما بينها متغاير ما ساعد على إنتاج أنظمة متنوعة، زاد تأثيرها الجمعي من إمكانيات كل واحدة منها.

ازدهار الإمبراطوريات وتطور السياسة

من بين الدول الإمبراطورية العظيمة التي تبعتها إمبراطوريات عديدة أخرى سلالة زو الصينية (1046 - 246ق.م)، والإمبراطورية الفارسية التي أسسها قورش الكبير في 525ق.م، ثُمَّ تبعتها دول عدة في خلال 500 - 250ق.م، من بينها إمبراطورية الاسكندر الأكبر المقدوني، والإمبراطورية الماورية في الهند، وسلالة تشين الحاكمة في الصين، وقرطاج غرب المتوسط. بدورها، كانت هزيمة قرطاج والإمبراطوريات الأخرى التي تبعت الاسكندر مرحلة أساسية لظهور روما التي تميزت بان حكمها اعتمد النظام الجمهوري لا الملكي مدة طويلة.

اعتمدت الإمبراطوريات على التعاون، والفتوحات. لقد تضمن التعاون النواحي الاقتصادية، والثقافية، والسياسية، والعسكرية. بالإضافة إلى وجوب التعاون مع عناصر الإمبراطورية الداخلية، كان عليها تأمين التعاون مع الغرباء كالبرابرة الذين جاءوا من خارج المستقبل، فقد كانت السياسة حذرة منْ أَجل الحفاظ على المصالح المشتركة، وكانت بلورة الهوية انجع من التنظيمات المؤسساتية لديهم. فقد نجحت الصين في تشكيل قوة عسكرية مع جماعات البدو، واشباه البدو في السهوب من خلال إجراءات دبلوماسية متنوعة من بينها ما يعرف بـ (جيمي)، أو العنان السائب، وبموجب هذا الإجراء سمحت الإمبراطورية الصينية بضم الجماعات البربرية إلى صفوفها، ومنح قادتهم القابا رسمية صينية مع الاحتفاظ بنظامهم التقليدي في حكم شعوبهم.



(بوابة جميع الامم) في تخت جمشيد عاصمة الإمبراطورية الفارسية من حوالي 550 – 330ق.م عندما دمرت على يد الاسكندر الاعظم

ولادة الدولة الصينية

في خلال فترة احتراب دويلات الصين بين (475 - 221ق.م) استسلمت سلالة زو الحاكمة التي كانت تُعَدّ القوة الأولى التي تغلبت على سلالة التشانغ حوالي (1600 - 1050ق.م) للتشين (221 - 206ق.م)، وكانت الانجح بين عدد من اسياد الحرب في المنطقة. قامت التشين بسلسلة من الفتوحات الكبرى التي انتهت بتنصيب الإمبراطور زينغ، وقد حمل عنوانا جديدا كإمبراطور أول (وعرف بتشين شي هوانغ). كان السبب في نجاحه الجيوش الجرارة التي تمكنت الدولة من تشكيلها ببسط نفوذها على المجاميع السكانية البعيدة. واستطاع زينغ فرض قوته جنوب نهر اليانغتسي، وجنوب بحر الصين. على عكس ذلك فان التشانغ والزو اعتمدا على زعامات هشة محدودة التواجد شمال الصين. قرب ضريحه في مدينة زيان، آلاف المجسدات من جيش الطين (التيراكوتا).

عقب موت الإمبراطور زينغ نشب خلاف في العائلة المالكة مع غياب الولاء العسكري، إضافة إلى تفجّر الانتفاضات الشعبية. وادت الحرب الاهلية، لاحقًا، إلى تملك غاوزو إمبراطورية هان. امتد حكم الهان من (206 - 220ق.م)، وعزز من قوة الصين لتمتد باتجاه كوريا، وفيتنام، وآسيا الوسطى حَيْثُ اجبر الجيش سنة 101ق.م، فرغانة على الاعتراف بالهيمنة الصينية على أراضيها. في حين ارسل جيش آخر خلف جبال بامير سنة 97ق.م وارتبط هذا التوسع باتجاه الغرب بافتتاح طرق

الحرير، وهي مجموعة من المسالك التجارية توصل إلى آسيا الوسطى. أما جنوبا، فأصبحت يُنّان دولة تابعة للإمبراطورية الصينية سنة 109 ق.م.

توسع حكم الهان جنوبا لتعزيز التواجد الصيني هناك، ما امّن طريقا للهجرة باتجاه الجنوب للمستوطنين الجدد فأعاد ذلك ترسيم خارطة الصين السكانية بشكل أكبر. بذلك أصبح شعب الماو الذي يسكن الجنوب، ولا ينتمي للهان، اقلية لا اثر سياسي لها في البلاد على الرغم من انهم كانوا يشاركون في الثورات التي كانت تحدث حَتَّى القرن التاسع عشر.



زينغ، حاكم دولة امراء التشين غلب اعداءه وبسط نفوذه على الصين كلها في العام 206ق.م عندما توج إمبراطورا، واتخذ اسم تشين شي هوانغ

الصين تقاتل سكان السهوب 210ق.م

واجهت التخوم الشمالية للهان تحديات التحالف المرعب لقبائل بدو شيونغنو التي توحدت في خلال الفترة من 210 – 2019ق.م. وكانت الإمبراطورية الأولى التي بسطت نفوذها على منغوليا كلها. أما الحملات الصينية الواسعة تحت حكم هان التي حصلت في 201 – 200ق.م و133 – 87ق.م فقد باءت بالفشل. ولم تتمكن الانتصارات القليلة المتحققة من تغطية حجم الخسارات الباهظة، إذ اثبتت، تكرارا، استحالة تدمير تماسك هذا التحالف العنيد، وبذلك كانوا يتعرضون للتصفية منْ أَجل ضمان أمن إمبراطورية الهان.

أدى غياب الاستقرار في الصين تحت سلالة هان إلى استبدالها بعصر الممالك الثلاث، ومِنْ ثَمَّ حكم سلالة جين الغربية التي اتخذت من لويانغ عاصمة لها، وهذه، بدورها، اكتسحتها شيونغنو في العام 311، وعندها أصبحت العاصمة هي نانتسينغ.

مع حلول العام 500، اجتاحت الشعوب المتحدثة باللغات الاتراكية اجزاء كبيرة من شمال الصين، وأسست لسلالة وأي (439 – 534). يعود نجاح هذه الشعوب، بشكل كبير، إلى انها كسبت دعم المجموعات الأخرى، ومن بينهم الصينيون الذين سكنوا مناطقهم، وتبنيهم للممارسات الادارية الصينية. خلق الإمبراطور تسياوين الحاكم من سنة 471 – 99، نظاما هجينا تطبعت فيه الطبقة الراقية من سلالة وأي الشمالية بالصفات الصينية، وكانت هذه سياسة واعية منْ أَجل الامتثال للعادات

الصينية التي استمر العمل بها حَتَّى أواخر حكم سلالة تشينغ من منشوريا في القرن السابع عشر.

لقد قاوم الكثير من الواي، خاصة الجنود، سياسة (التصيين) هذه، ما أدى إلى قيام ثورة انفصالية للوأي الشماليين ليتحدوا من جديد على يد الجنرال يانغ جيان الذي أسس حكم سلالة سوي بين الأعوام 581 – 618.

ديانات آسيا

اتخذت الديانات المنظمة اشكالا عديدة في آسيا. وقد امتازت بارتباطها بشكل وثيق بالظروف السياسية خاصة. من بين النقاط الخلافية التي ظهرت فيها هي وجوب عبادة الحكام من عدمها، وإلى أي درجة يعبد السلف، درجة التوحيد ووجود العقائد الأرواحية وهي الايمان بوجود روح بكل شيء حَتَّى الحجر. في الصين كانت عبادة السلف مهمة خاصة لدى الطاويين. أما في بلاد فارس وإسرائيل فقد اعتنقوا التوحيد في ظل الزرادشتية واليهودية. لقد منح الدين المجتمعات بعض التفسيرات والاستمرارية ومنح الحس المجتمعي تجاه الاحياء والاموات.

أفريقيا العالم القديم

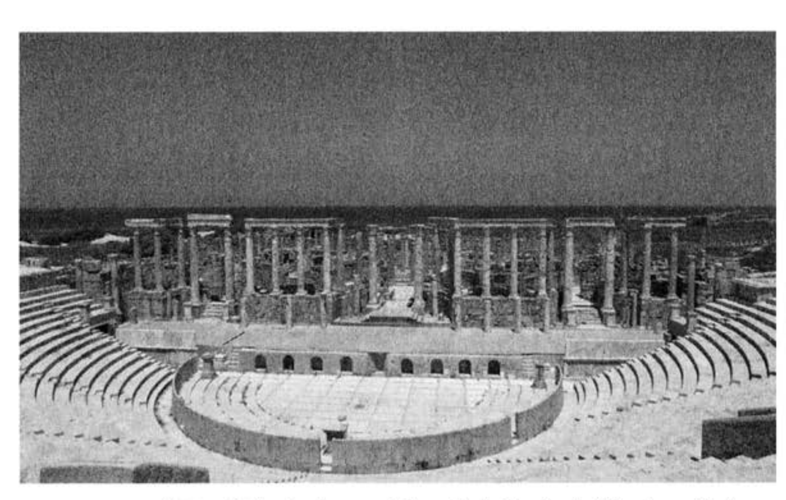
لقد واجه تشكيل الدول في أفريقيا صعوبات أكبر بكثير من تلك التي في الصين. على الرغم من وجود شبكة تجارة داخلية في القارة إلّا أن التنوع المناخي أدى إلى التفاوت في مستويات التطور في اجزائها المختلفة. كما ادت هجرة ألبانتويين جنوب

الصحراء الكبرى إلى انتشار الزراعة إذ استطاعوا من خلال أعمال الزراعة، واستخدام الحديد التفوق على الصيادين، وجامعي الثمار في المنطقة كشعوب الخوسان في مناطق نهر الاورانج. لقد شكل انتشارهم تغييرا جذريا للجغرافيا البشرية في القارة، وتقارب حركة الهان الصينية شرق آسيا. هذه تذكرة مهمة لمديات حركة المجاميع البشرية التي سبقت الهجرات العظمى التي حصلت في القرنين الاخيرين، وان الهجرة خصيصة التاريخ البشري. ان حركة الشعوب في الفترات الكلاسيكية هي لمواصلة التكيف مع البيئة والمحيط الحياتي كما لوحظ من قبل. وكما في السابق، أيضًا، تسبّب الهجرة تهجير مجاميع بشرية أخرى.

شمال البانتو وعلى تخوم الصحراء الكبرى عاشت شعوب لا يعرف عنها الكثير مثل الجاديين، والعرق النيلي. في هذه المنطقة نشأت دول متماسكة أيضًا كالبربر شمال أفريقيا. احتلت روما هذه الدول في خلال منتصف القرن الأول ق.م، وكانت تدعى نوميديا، وموريتانيا، ومصر لتكون جزءًا من التوسع الذي جعل كامل الساحل الجنوبي للبحر المتوسط تحت السيطرة الرومانية. ان مدى هذه السيطرة اثبتتها البقايا الاثارية الكثيرة التي تركها الرومان، خاصة في لبدة الكبرى في ليبيا، وثيسدروس (الملعب الروماني) في تونس.

كانت هنالك أيضًا دول مهمة جنوب مصر في وادي النيل، واريتيرا، وشمال إثيوبيا. أصبحت أكسوم قوة تجارية مميزة من 100ق.م. 600 بعد الميلاد ولها علاقة تجارية مع روما على

طول البحر الاحمر، ونظيرتها مملكة كوش الممتدة في وادي النيل، وكانت لها مكانتها التجارية أيضًا. كانت هذه المسالك التجارية تزود روما بالعبيد. تجدر الإشارة إلى براعة صانعي التماثيل الحجرية التي اقامها ملوك اكسوم. مع مرور الوقت انتشرت المسيحية في القارة، وبعدها جاء الإسلام في القرن السابع، فانتشر شمالها ما اعاد ترسيم خارطة الائتلافات والتوترات.



ترك الرومان اثارا مذهلة في لبدة الكبرى في ليبيا المدينة التي توسعت كثيرا على يدهم بين 193 – 211 ب.م

لطالما كان الشمال الأفريقي ممرا للصحراء الكبرى إلى الساحل الجنوبي، وإلى الحوض المتوسط شمالا، واستمرت هذه الخاصية مع الاحتلال الروماني، وبعدها البيزنطي (روما الشرقية). مع آلة الحرب الدينية تركت الفتوحات الإسلامية في القرن السابع أفريقيا الشمالية في ايدي المسلمين، وجنوب

أوروبا بيد المسيحيين ما حوّل حوض المتوسط إلى حاجز بعد ان كان ملتقى للحضارات، والثقافات.

إمبراطوريات جنوب غرب آسيا

ان انهيار الإمبراطورية الآشورية مع نهاية القرن السابع ق.م، واستبدالها بالإمبراطورية البابلية بحاكمها الاقوى نبوخذنصر الثاني (حكم بين 605 – 562ق.م) التي بدورها انتهت على يد الإمبراطورية الأخمينية الفارسية التي أسّسها قورش العظيم، وحكم بين (559 – 530ق.م) وقام بتوحيد ممالك الميديين، وضمها لفارس، وانطلق للتغلب على الليديين في الاناضول في 547ق.م، ووصل الغزو إلى الإمبراطورية البابلية في 539ق.م. قُتِل قورش العظيم في خلال حملته التي شنها على بدو الماساغيتي وسط آسيا، لكن ابنه قمبيز الثاني احتل مصر في 525ق.م تحت حكم دارا الأول العظيم الذي حكم بين 522 – 486ق.م. توسعت الإمبراطورية الاخمينية أكثر إذ غزت بلاد السكوثيين في العام 513ق.م ومقدونيا في العام 492ق.م.

امتازت الإمبراطورية الفارسية مترامية الاطراف بإدارة متطورة، لكن اعتمد بقاؤها ونجاحها، في النهاية، على قبضتها العسكرية.

معركة سالاميس 480ق.م

وجد اليونانيون انفسهم بمواجهة شرسة وغير عادلة مع الفرس إِذ تقابلت 800 سفينة من الاسطول الفارسي مع 300 فقط للجانب اليوناني. فقرروا مقاتلة الفرس قرب جزيرة سالاميس بدلا من الخوض في المياه المفتوحة وان سحب الاسطول الفارسي لهذه المنطقة الضيقة أضعف إمكاناتهم العددية وضاقت حركة السفن وفقدت سيطرتها بسبب موجة قوية وطويلة. هجم اليونانيون حين تيقنوا من وضع مهاجميهم واربكوا تشكيلاتهم وبذلك انسحب الفرس بعد خسارة 200 سفينة فيما فقد الإغريق أربعين سفينة صغيرة فقط.

كانت الإمبراطورية ترتبط بشبكة من الطرق التي تضمنت الطريق الملكي من ساردیس قرب بحر ايجة إلى سوسة قرب الخليج الفارسي، وساعدت هذه الشبكة على توحيد المحافظات التي انقسمت إِليها البلاد. وبنى الاخمينيون مجمع القصر الرئاسي في تخت جمشيد (وسط إيران اليوم).

استغل الفرس غزواتهم على الدول الفينيقية، والمصرية منْ أَجل بناء اسطول، وقوة بحرية لا تجارى، ما صنّفهم كقوة كبرى في منطقة بحر ايجة، وعلى الرغم من ذلك فقد باءت حملتهم للسيطرة على اليونان في 490 و480 – 479ق.م بالفشل إِذ انتهت بهزيمة في ماراثون 490ق.م، وفي سلاميس 480ق.م، وشكلت هذه المعارك إضافة لأهمية اثينا المدينة – الدولة الإغريقية. في سالاميس يدين الاثينيون كثيرا لثلاثيات المجاديف (نوع من

السفن بثلاثة مستويات من المجاديف) التي تُعَدّ من السفن الحربية الفاعلة انذاك.

استسلمت الإمبراطورية الفارسية لقوات الاسكندر المقدوني الذي غزا تركيا الحالية التي كانت جزءًا من الإمبراطورية الاخمينية حَيْثُ دحر الجيوش الفارسية بهزيمة ساحقة في إسوس 333ق.م وغوغميلا في 331ق.م. حين وقع موته المبكر في 323ق.م في بابل عن عمر 32 سنة فقط. كان الاسكندر يمتلك إمبراطورية تمتد حَتَّى نهر السند، وتضم مصر، وما يعرف اليوم بتوركمنستان. ويبقى السؤال عما كان سيحققه الاسكندر لو طالت به الحياة.



الاسكندر العظيم صنع إمبراطورية تمتد من مصر حَتَّى الهند

ان محاولته احتلال الهند كانت قد فشلت بالفعل، إِذ انه تقدم من أفغانستان إلى وادي السندفي 326ق.م، لكنه واجه

مقاومة عنيفة في كليهما بينما تمردت قواته عند نهر هيفاسيس (بياس) على خططه الرامية للتوغل أكثر شمال الهند.

ماذا لو توجه الاسكندر صوب الغرب؟

في تكهن لليفي أو تيتوس ليفيوس (حوالي 59 – 17ق.م) في مؤلفه تاريخ روما: ما الذي كان سيحصل لو ان الاسكندر، اعظم فاتح عرفه التاريخ توجه غربا لاحتلال إيطاليا؟ طمن قراءه الرومان من ان روما تتحلى بالمنعة وأخذ يشيد بنوعية القيادة العسكرية الرومانية وان سبب اندحار الاسكندر هو تشربه بالثقافة الفارسية وبدأ يقارن حد التناقض بين إنجازات رجل واحد مع الرومان كشعب خاض معاركه قرونًا طويلة.

بعد موت الاسكندر الأكبر أسس جنرالاته مجموعة من الممالك المتنافسة من إمبراطوريته السابقة، ومنها مقدونيا (تحكمها الأسرة الانتيغونية)، ومصر (المملكة البطلمية)، وسوريا، والعراق، وفارس، وجنوب تركيا (السلوقيون). امتازت هذه الفترة بالهيمنة الثقافية، والسياسية للإغريق، وعرفت بالفترة الهيلينيستية. وبينما فقدت المملكة السلوقية الكثير من أراضيها حينذاك، استمر حكم البطلميين في مصر حَتَّى الفتوحات الرومانية في 30ق.م. وشهدت المرحلة نشوء ممالك هيلينيستية مستقلة مثل باختريا في ما يعرف بآسيا الوسطى اليوم. لقد انتشرت الحضارة الهيلينستية الإغريقية كثيرا في مصر، وفي مناطق شاسعة من آسيا حَيْثُ انعكست عليها المؤثرات الاسيوية. بعد

موت الاسكندر احتلت الإمبراطورية الماورية مباشرة شبه القارة الهندية (321 – 181ق.م)، وأسس جاندرا غوبتا ماوريا الإمبراطورية بعد توجيه جيش لمحاربة مملكة الناندا في الشمال الشرقي في 322ق.م. تبعتها حروب موفقة ضد السلوقيين في (305 – 303ق.م) والكالينغا في (262 – 260ق.م). تحول آشوكا، الجنرال الشاب الذي انتصر على الكالينغا، وهو حفيد جاندرا غوبتا إلى البوذية في حوالي 260ق.م، ما انعكس على حكمه، إِذ مرر تعاليمه التي التزم بها. فقد بنى سلسلة من الستوبات (تلال العبادة) على طول الهند، ونحت المجسمات التي تعكس المعتقدات البوذية، لتكون سلسلة من الدعامات الصخرية. لقد مهد لانتشار البوذية في شبه القارة الهندية، وما يجاورها في جنوب شرق آسيا.

عالم الإغريق

بالمقارنة مع إمبراطوريات الآشوريين، والفرس، كان الإغريق ومن بعدهم الرومان من القوى الصغرى في البداية، ثُمَّ تطوروا على يد الحضارة الغربية إلى قوى مؤثرة. فكلاهما كان عليهما صد الهجوم الخارجي، إِذ تغلب الإغريق على محاولات فارس لاحتلالهم في 490ق.م و480 – 479ق.م. وقد قاومت المدن الكبرى للإغريق باعتمادها مليشيات المواطنين، أو الهوبليت الذين يجوبون المدينة بالرماح، والدروع، ويشكلون كتائب قتالية. بذلك شكلوا قوة عالية التنظيم، صعبت مجاراتها من قبل اعدائهم.

مع مرور الوقت شكلت المدن القوية مثل اسبارتا، واثينا تجمعات للمدن، لكنها بقيت عاجزة عن تحويلها إلى إمبراطوريات حقيقية. ان استقلالية المدن في الدول الإغريقية كانت سببا في وقوعها فريسة القوة الإمبراطورية الزاحفة من مقدونيا بقيادة والد الاسكندر فيليب الثاني. مع ذلك فقد قدمت اليونان نماذج مهمة للتنظيم السياسي.

كالنظام الديمقراطي لاثينا الذي نتج عن الإصلاحات الحاصلة في 508ق.م التي اعطت الشعب كلمة عليا لاتخاذ القرارات المهمة.

لم يكن ليسمح بان يشارك جميع اليونانيين بتشكيل حياة المدينة. في اسبارتا، المدينة الخصم لاثينا لفترات طويلة، التي خاضت الحرب البيلوبونيسية الطاحنة معها من 431 - 404ق.م وانتهت بتفكيك النظام الديمقراطي بعد هزيمة كبيرة، كانت تحكم الاقلية المرفهة. بشكل عام لم يكن للنساء حق يذكر في عالم السياسة إلى درجة التجاهل. وقد استخدم الإغريقيون كذلك اعدادا كبيرة من العبيد خاصة في التعدين. ضمت مناجم الفضة الكبيرة في لوريام قرب اثينا حوالي 35 الفا من العبيد عملوا في انفاق ضيقة تحت الأرض اضطرتهم للزحف والانحناء.

ارسطو (384 - 322ق.م)، أحد اهم فلاسفة الإغريق، جادل، في كتابه السياسة، بأن العبودية امر طبيعي كاستخدام الخيل. وأوضح انه في القرى الفقيرة كان الثور هو الخادم، أو العبد، بينما في المدن الكبرى في اليونان ازدهرت الثقافة

والفضيلة، بسبب العبيد الذين سمحوا للطبقات الارقى والأعلى في الهيكلية الاجتماعية من تحقيقهما.



اعتمدت المدينة الإغريقية القديمة على وجود كتائب ملشيات المواطنين، أو الهوبليتس منْ أَجل الاحتماء من الغزوات

المسرح اليوناني

نشا المسرح اليوناني في الأساس في خلال الاحتفالات الدينية للالهة. ان تطور المسرح لدى الإغريق كان من بين أبرز إنجازاتهم الثقافية فقد ظهرت أسماء لإمعة في كتابة المسرحيات مثل اسخيليوس (حوالي 525 – 456ق.م) وهو أبو التراجيديا ومن أعماله **اورستيا وسكان فارس**، وكذلك الشاعر المسرحي التراجيدي يوروبيدس (حوالي 480 – 406ق.م) ومن بين مؤلفاته **ميديا والكترا ونساء طروادة**. وسوفوكليس (حوالي 497 – 406ق.م) الذي كتب **انتيجون، أوديب ملكا، الكترا**. لقد تمكنت هذه النصوص المسرحية ان تلهم الدراما الغربية لتعقيدها في بلورة الشخصيات والابتكار الذي ميّز إنتاج النص وابعاده.

روما

الرومان هم من سيطروا على المدن الإغريقية الكبرى. فقد أُسِّست روما الأولى كمستوطنة صغيرة جنوب وادي التيبر في العام 753ق.م على أيدي روميلوس، ووريموس ابنيْ آنياس، اللاجئ الملكي الذي أفلت من مطحنة طروادة على وفق الأسطورة. أما الإثباتات الأحفورية فتدل على وجود مستوطنات قبل ذلك في قرية على تلة بالاتاين في روما في العام 850ق.م، وترجح احتمال وجود مستوطنات قبلها. لقد واجهت روما معارضة الشعوب المجاورة لتوسعها خاصة الاتينيين والاتروسكان. وكان أول حكامها من الملوك من التاركوينز من كورينثيا اليونانية

(وربما من الاتروسكان أيضًا) حَتَّى تم طرد اخرهم من قبل نبلاء اللاتينيين لتأسيس الجمهورية في العام 509ق.م. وكما هو الحال مع مدن العالم القديم، فان الجمهورية كانت تحكمها جماعة صغيرة. ازداد التوتر بين القلة الحاكمة والعوام وافسد تاريخ الإمبراطورية الرومانية.

اثبت الرومان انهم من عتاة المقاتلين. تسلحوا بسيوف قصيرة مصنوعة من الحديد بالإضافة إلى الرماح، والدروع وكانوا مدربين على أعلى المستويات من الانضباط العسكري، ويتقنون التشكيلات المختلفة. كانت الجحافل تسير بمجاميع هائلة، وتتغير تشكيلاتها حسب الحاجة، ومنها وضعية السلحفاة البرية التي تحمي الجنود بدروعهم ضد المقذوفات. كانت الجيوش الرومانية تمتلك مهارات المحاصرة، والقيام بمناورات فاعلة، ومعقدة في سوح الحرب. تمتاز الجيوش الرومانية القديمة بان لها قدرة الانتشار، والتحرك في بيئات واجواء مختلفة، وكانت تبني الحصون، وتمدّ الطرقات. ومن أبرز تقاليد الجيوش الرومانية اقامتها المعسكرات في كل منطقة تتوقف فيها منْ أَجل الحماية. وعادة ما كانت تقام تلك المعسكرات بابعاد متقاربة بعد كلّ 24 كيلومترا أو 15 ميلا. وهو معدل ما يتوقع من مسير الجحافل في اليوم الواحد. والكثير منها كما حصل مع فينا، كانت على مشارف المدن.

كان الاتروسكان هم القوة المسيطرة قرابة خمسة قرون شمال إيطاليا. وحَتَّى العام 275ق.م عندما وحدت روما شبه جزيرة

إيطاليا بعد التغلب على بيروس ملك ابيروس بمعارك باهظة في هيراكليا، واسكيولوم. لقد ساعدت الحروب المتتابعة على عسكرة الثقافة الرومانية، وذاكرتها الجمعية، ومكانتها العامة وممارساتها العبادية، وأنظمتها الاجتماعية، والسياسية بشكل واضح. فقد مجدت روما القيم العسكرية، وقدّرت حكامها وفقا لهذا المعيار.

التنقل: العجلات والطرقات

اكتشفت العجلة وتطورت اصلا في بلاد ما بين النهرين حوالي سنة 3500ق.م، وكان شكلها الأول من الفخار. أما استخدامها كعجلات للنقل والتنقل فكانت في 3200ق.م. في الصين، كانت العجلة حاضرة مُنذ 1200ق.م، فقد كان من الاسهل استخدام عربات نقل الاحمال المستندة إلى أربع عجلات وحيوان للجر من استخدام عدد أكبر من الحيوانات التي تتطلب الرعاية ولا تحتمل إلّا كمية محدودة من الاحمال. بالتالي قلت المادة العلفية المطلوبة أيضًا للعمل.

اعتمد التنقل باستخدام العجلات على وجود الطرق المهدة لها. وقد مدّ الرومان شبكة مذهلة من طرق النقل. كطريق ابيان في إيطاليا ووالتن ستريت في بريطانيا وساعدت في ربط ارجاء الإمبراطورية واستكمال الطرق البحرية مثل الطريق بين الاسكندرية واوستيا، ميناء روما. لقد بنيت على وفق نمط نظامي ومقاوم للمطر والتجمد، كانت الطرق الرئيسة مكسوة بمهارة

وتتمتع بتصريف عال للمياه. وقد تحقق الاخير من خلال حفر التصريف وغريفات صغيرة تمتد على طولها. وان المسح الدقيق اكد بان هذه الطرق كانت مستوية ولعبت المجسرات دورا كبيرا في المنظومة. سهلت شبكة طرق النقل هذه من حركة القوات البرية إضافة إلى إنعاش التجارة. لقد بقيت الكثير من الطرقات بعد سقوط روما لفترة طويلة.

انتصر الرومان في النهاية في الحروب البونية الثلاث ضد قرطاج، وهي إمبراطورية بحرية مقرها قرب ما يعرف اليوم بتونس، وحكمت ساردينيا، وصقلية واجزاءً من أسبانيا، وجزءًا كبيرا من تونس اليوم. كانت هذه الصراعات واسعة وتضمنت معارك على أراضي إيطاليا، وصقلية، وأسبانيا، وشمال أفريقيا. ففي الحرب البونية الأولى (264 - 241ق.م) التي كان محورها صراع روما مع قرطاج منْ أَجل السيطرة على صقلية كسب الرومان الحرب بعد معارك مريرة تعلموا فيها إدارة العمليات الحربية البحرية.

بعد ذلك تنافست روما وقرطاج على احتلال شرق أسبانيا، وجنوبها، وهذا النزاع أدى إلى اندلاع الحرب البونية الثانية (218 - 201ق.م) التي عكست طموحات روما التوسعية. عبر هانيبال (247 - 183ق.م) الجنرال الأول في قرطاج، جنوب فرنسا وتكبد عبور الالب في 218ق.م، وهاجم الرومان في إيطاليا. ان عبور هانيبال الالب بفيلته الحربية (على الرغم من بقاء واحد منها فقط على قيد الحياة، ثُمَّ مات بعد المعركة بقليل)

صوره كمقاتل أسطوري للأجيال اللاحقة، وان المعركة كانت اقرب إلى الأسطورة. ان وصول هانيبال إلى إيطاليا ولّد أزمة حقيقية للرومان. فقد كان قائدا مقتدرا لجيش عالي المهارة، وبذلك تمكن من إدارة حملته بكفاءة عالية. فقد هزم هانيبال الجيوش الرومانية الكبرى عند نهر تريبيا في 218ق.م، وبحيرة تراسيمين في 217ق.م، وكاناي في 216ق.م وهيردونا في 210ق.م.

بعد هذه الأحداث فشل هانيبال ليس بسبب خسارة لحقته في إيطاليا، وانما بسبب قصوره عن ترجمة انتصاره إلى هدفه المنشود: انهيار روما، ونظامها الإقليمي. كان جيش هانيبال صغيرا، ولا خبرة له في تحقيق حصار المدن، وما شابه، بالإضافة إلى الوقفة المقاومة التي ابداها حلفاء روما. لقد أنهار نظام قرطاج عندما انتقل مسرح الحرب إلى شمال أفريقيا في 204ق.م حين هُزِم هانيبال على يد سيبيو افريكانوس في زاما في 202ق.م.



يوليوس قيصر الجنرال الطموح الذي استثمر النجاح العسكري للهيمنة السياسية

ان الحجم الكبير لجيش الجمهورية الرومانية الذي مكنها من هزيمة هانيبال يعود بالدرجة الأساس إلى الوضع التنظيمي لطبقات الشعب الذي يتطلب منها جميعا أداء الخدمة العسكرية. وكما هو الحال مع حكام هان الصين فقد اعتقد الرومان ان وجود جيش جرار يؤسس على وجود عدد كبير من أولاد المزارعين ليمثلوا طاقة بشرية لا تضاهى. حوالي ربع مليون من سكان إيطاليا كانوا في الجيش الروماني، ومع حلول العام 31ق.م فان حوالي ربع المجموع الكلي للرجال البالغين كانوا في الجيش.

لقد استغل الرومان طاقتهم البشرية، وقوة الإرادة، والموارد والتنظيم منْ أَجل السيطرة على الساحل الشرقي لحوض المتوسط كمصر، وغول فرنسا، وأسبانيا في 19ق.م، وتبعتها السيطرة على معظم أراضي بريطانيا، ودول البلقان بحلول سنة 100 ميلادية. كان يوليوس قيصر هو الشخصية الأبرز لاحتلال جاليا بتغلبه الصعب على فيرسينجيتراكس، عدوه الأول، في العام 52ق.م.

الرومان ورسم الخرائط

ورث الرومان المعارف الإغريقية حول العالم. ان ادراكهم بان عالمهم المألوف لديهم لا يشكل إلّا جزءًا صغيرا من العالم الأكبر يعني ان الإغريق كانوا يثمنون الحاجة إلى الاكتشاف ورسم الخرائط. في 150ق.م صنع اقراطس الإغريقي من مالوس، كرة أرضية كبيرة في روما بقطر 3 امتار أو ما يعادل 9 أقدام وصورت أربع قارات متوازنة واحدة في كل ربع من العالم وكلها مفصولة

بالمياه. ان فكرة توازن الكتل الأرضية رجحت الاعتقاد بوجود قارة جنوبية كبيرة لوقت طويل. بطليموس (حوالي 90 - 168م) جغرافي إغريقي عمل في الاسكندرية تحت الحكم الروماني اعد فهرسا جغرافيا للعالم تضمن مجموعة من محاور الأحداثيات الجغرافية. كان الرومان من امهر المساحين وغزيري المعرفة في الرسم وفقا لمقاييس الرسم. في العالم الروماني كان هنالك ارتباط وثيق بين رسم الخرائط والفتوحات التوسعية للإمبراطورية وبين خرائط العالم وبين وطموحات الرومان للهيمنة على العالم.

لقد نجحت بعض الخرائط الرومانية في الوصول إِلينا، ومنها اللوحة البوينتغرية وهي نسخة تعود للقرن الثاني عشر عن الاصل الروماني للقرن الرابع والذي يمثل خارطة الطريق لشبكة طرق الإمبراطورية وليست خارطة طوبوغرافية. ومثلت المنطقة بشكل شريطي. صورت الخارطة الجبال والطرقات التي مرت بمراكز المدن مثل تارانتو. من المصادر الاقل شهرة هي كوزموغرافيا رافينا وهي لائحة لأكثر من 5000 اسم لامكنة تغطي الإمبراطورية وتم اعدادها حوالي سنة 700 من قبل معلم غير معروف في رافينا.

على أي حال، توقف التوسع الروماني. وأدت الهزيمة في ألمانيا في 9م، في غابات توتبيرغ، إلى فقدان 3 تشكيلات من جحافل الرومان، وترك الطموحات التوسعية الرامية إلى بلوغ نهر البة. وخلال السنوات التي تبعت 110ق.م كانت الهيمنة الرومانية تتضاءل أيضًا شرق الفرات في ما يعرف بالعراق

اليوم. هذا التراجع أدى إلى التحول من السياسة التوسعية إلى سياسة احكام القبضة على الأراضي الرومانية بتحصين جبهاتها، وتضمنت هذه التعزيزات إقامة الاسوار المتينة والحصون لتؤدي وظيفتي الدفاع والهجوم، بالإضافة إلى تأسيس الحاميات على طول الحدود خاصة على ضفاف نهري الراين والدانوب في آسيا. أنهارت الجمهورية الرومانية في القرن الأول ق.م، فقد أصبحت الجمهورية ساحة تصفية للنزاعات السياسية للقادة الكبار من ماريوس، وسولا، وبومبي، ويوليوس قيصر. لقد اصطفّ قيصر مع العوام على الرغم من كونه من اصل نبيل، بينما فضل معارضوه خاصة بروتس، وكاسيوس جمهورية يقودها الارستقراطيون. ان هذا الانقسام، بالإضافة إلى طموحاته الشخصية أدى إلى اغتيال القيصر في روما في ايديس مارس (15 آذار) سنة 44ق.م ثُمَّ جاءت الحرب الاهلية التي هزم فيها الحكم الثلاثي لمناصري قيصر الذين قاموا باغتياله في فيليبي 42ق.م في اليونان.

ثورات العبيد

انتفض العبيد في ثورات عديدة ضد الرومان. وكانت اشهر تلك الثورات هي التي قادها سبارتاكاس من مواليد ثراسيا وقد استعبد نتيجة فراره من الجيش وأصبح مبارزا قبل قيادته لتمرد ضخم في 73ق.م حَيْثُ أسس جيشا قوامه 90 الفا من المقاتلين الاشداء الذين تقدم بهم لاكتساح سواحل شبه الجزيرة الإيطالية مدمرا ما يعترضه من المعالم الحضرية العملاقة. تمكن من إخضاع

عدد من القوات الرومانية قبل هزيمته وقتله في 71ق.م في لوكانيا على يد ماركوس ليسينيوس كراسوس. ومنْ أَجل تحذير بقية المتمردين من العبيد، صلب كراسوس عددا كبيرا من اتباع سبارتاكوس على طول طريق ابيا. حدثت ثورات عبيد مشابهة في صقلية في 135 - 132ق.م و104 - 100ق.م ولكنها سحقت بالكامل. عندما استسلم آخر العبيد الثوار والبالغ عددهم 20 الفا في 132ق.م، ذبحوا جميعا وسط غضب عارم.

بـدوره، سقط الحكم الثلاثي. تحالف مارك انتوني مع كليوباترا حاكمة مصر لتصبح بعد ذلك حبيبته، حَتَّى تحققت الهزيمة سنة 31ق.م في خلال معركة بحرية عظيمة في اكتيوم على الساحل الغربي لليونان على يد وريث يوليوس قيصر، اوكتافيان. لقد جمع المنتصر تدريجيا جميع مقابض القوة التي وجدت في الجمهورية الرومانية لنفسه، ومنح نفسه لقب اوغوستوس، ليصبح أول إمبراطور روماني في العام 27ق.م. ومع اندفاعه للسيطرة على مصر، كان اوغوستوس يتباهى بان حكمه امتاز باستقرار لم تعرفه البلاد مُنذ أكثر من نصف قرن.

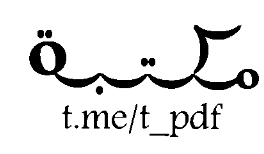
ان نجاح الإمبراطورية الرومانية استند إلى فكرة المواطنين. فقد وفرت المواطنة مجموعة من الحقوق ولكن لم يعنِ ذلك المساواة. فكان الفلاحون المستأجرون يجبرون على دفع الضرائب، والإيجار ما جعلهم في وضع صعب اقتصاديا مقارنة باصحاب الاملاك، والمالك بأمر الملك. كانت المواطنة بداية الامر محصورة بمجموعة محدودة لتشمل بعد ذلك جميع الإيطاليين الذكور البالغين في

القرن الأول ق.م ثُمَّ اتسعت أكثر لتشمل جميع الذكور من غير العبيد في العام 212.

تغيرت مظاهر النظام الروماني مع ظهور المسيحية وبدأ انتشارها يشكل تهديدا في القرن الأول الميلادي. فالمساواة المفروضة من قبل المسيح بن مريم دمرت هذا النظام. ونتيجة لكونه دين توحيد، ويؤمن بالاله الواحد فقد اثر ذلك في تشكيلة الهة أولمبيا المودعين في المعبد الروماني البانثيون. وكان نظامهم أيضًا يرتقي بالإمبراطور إلى الالوهية. ونتيجة لهذه الهزة لم يستغرب من ممارسة اعتقال وقتل المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية خاصة تحت حكم الإمبراطور ديوكليتيانوس (حكمه بين 284 – 305).

معارك العالم القديم

547ق.م معركة ليديا.
539ق.م حصار بابل.
490ق.م معركة ماراثون.
480ق.م معركة سالاميس.
331ق.م معركة غواغاميلا.
280ق.م معركة هيراكليا.
279ق.م معركة اسكولوم.
262ق.م معركة تشانغبينغ.
261 – 260ق.م معركة كالينغا.
216ق.م معركة نهر كاناي.



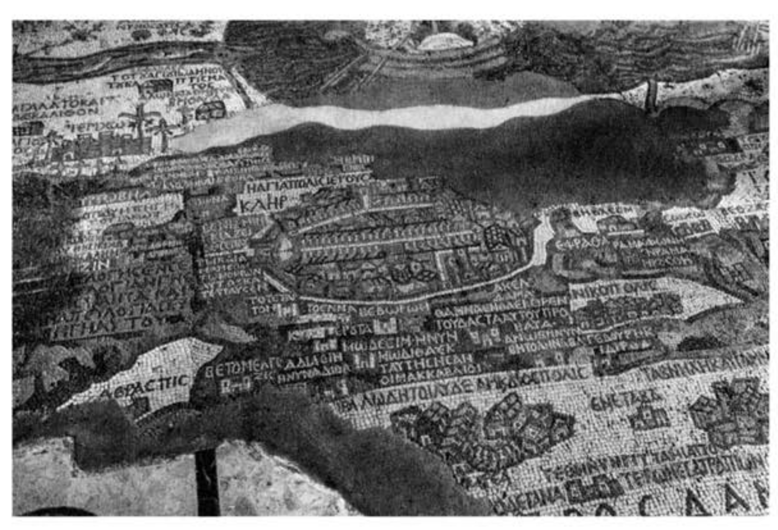
202ق.م معركة زاما.
52ق.م معركة اليسيا.
9 ميلادية معركة غابة تيتوبرغ.
410 القضاء على روما على يد الاريك من الهون.

لقد برع الرومان بإنتاج نسخ من بناهم التحتية في الدول التي فتحت على ايديهم. ويتجلى ذلك من خلال شبكات طرق النقل الرصينة، والقنوات، والمدرجات العملاقة، والمنتديات، والمسارح، والحمامات العامة، إضافة إلى بقية أنواع المرافق العامة التي ما زالت اثار الكثير منها متاحة للسياح كقنوات سيكوفيا في أسبانيا. وعموما فان ما يتبقى من المدن الرومانية لا يتعدى القشور الصخرية، واجزاء متناثرة تعجز عن الإمساك بروعة الحياة والطاقة التي كانت تهيمن على المكان، وبالتاكيد فقد افلتت تصوير الإبداع الذي تحلت به الابنية لحظة تشييدها وشَغلها.

سقوط روما

ان أسباب انهيار الإمبراطورية الرومانية محط جدل مُنذ وقوعه إلى اليوم، لكن من بين الأسباب الأساسية كان هجوم البرابرة من خارج الإمبراطورية. فمُنذ نهاية القرن الثاني عندما هوجم شمال إيطاليا من قبل الماركومانيين، وقبائل الكوادي 167 ق.م. 70م، أصبحت روما مستهدفة من قبل هذه المجاميع. في خمسينيات الربع الأول الميلادي، نشبت أزمة حقيقية قسمت أراضي روما نتيجة لغزوها منْ أَجل التوصل إلى دفاعات مناسبة على المستوى

المحلي، ما أدى إلى تعميق الانفصال، وولادة الجزأين الغربي، والشرقي للإمبراطورية.



خارطة موزاييك مادابا من اواسط القرن السادس الميلادي تبين حيوية روما الشرقية مقارنة بمثيلتها الغربية التي تعرضت للانهيار

انتقل مركز القوة إلى بيزنطة العاصمة الجديدة (بعدها عرفت بالقسطنطينية)، حاليا تعرف بإسطنبول، التي أُسِّست على يد قسطنطين الأول في العام 330 الذي تحول إلى المسيحية في العام 312. أدى هذا التحول إلى تمزيق المفاهيم التي تصل النسيج الداخلي للبلاد، ما أنتج مواطن شقاق عديدة ظهرت في الفترة التي تطلبت الالتفات الموحد لمواجهة التهديدات الخارجية. أدى ذلك إلى أن تكون بيزنطة عاصمة الإمبراطورية الجديدة، وروما عاصمة القديمة.

لقد تفاقمت المشاكل الاقتصادية في الإمبراطورية الرومانية ومع حلول أواخر القرن الثاني الميلادي تراجعت الزراعة، والصناعة، والتجارة بشكل كبير. اثر ذلك في موارد الإمبراطورية، فباتت تعاني من القيمة المتدنية لعملتها على الرغم من معدنها الثمين، ما انعكس على إمكانية كسب الحلفاء على المستويين المحلي والإقليمي. ومع تفاقم تكاليف إدارة الإمبراطورية أصبحت عاجزة عن الإيفاء بالتزاماتها المالية يوما بعد آخر.

شكّل الوباء مشكلة مضافة. اكتسح الطاعون الإمبراطورية في ستينيات وسبعينيات ما بعد المئة الميلادي، إضافة إلى الحمى النزفية التي توطنت مع حلول القرن الثالث الميلادي. أما السل الرئوي وجدري الماء فكانا مشكلتيْن صحيتين مستمرتين. لقد عانت المدن الكبرى مثل روما، وميلانو، والاسكندرية، والقسطنطينية من الأمراض لازدحامها بالسكان، واعتمادها على سلسلة غذائية هشة، يقابلها شبكات الإمبراطورية الواسعة من التجارة، والنقل، والهجرة التي عرضتها لمخاطر اضافية.

لم يتمكن الجانب الغربي من صد الهجوم البربري فقد اتسم بالفقر، وبقلة السكان ناهيك عن تزايد انعدام الثقة بين الجانبين. ان الإخفاق بالحفاظ على ضفاف الدانوب والراين ولد ضغطا على إيطاليا، وكان من الصعب تلافي ذلك لصغر الجيش الذي اوكلت إليه مهمة المواجهة هناك. لم يكن الجيش بحجم أمثاله أيام جمهورية الرومان ولم يستطع صد التدفق البربري.

تزايد الضغط من الجهة الشرقية من قبل الهون ما أدى إلى سقوط روما على يد الاقوام الجرمانيية المعروفة باسم القوط الغربيين بقيادة الاريك في العام 410م وتم تجويع المدينة حَتَّى الاستسلام. اُقتُحِمت إيطاليا من قبل الغزاة، من الهون والقوط والفندال، وآخرها، القبيلة الجرمانية التي قامت بتسليب رومال في العام 455 وحاصرت صقلية في العام 468. لقد شكلت سيطرة الفندال على تونس في العام 439 نقطة تحول أساسية إِذ حرمت روما من مصدر المحاصيل الذي كان يغذيها.

وعلى مدى الغزوات المتلاحقة عانت الإمبراطورية الرومانية هزات سياسية كبيرة، منها الحروب الاهلية حين حكم 14 من الاباطرة في الجانب الغربي بين الأعوام 394 و476. لقد كانت السيطرة بيد القادة العسكريين، وكان عدد منهم مثل أودواكر من البرابرة. بالطبع شهدت المرحلة تداخلاً، وتعاونًا وحَتَّى عداءً بين روما والبرابرة. ولكن مع خسارة مناطق كاملة للاحتلال البربري، انتهت العلاقات العسكرية والسياسية والادارية. وما عادت الإمبراطورية قادرة على فرض الضرائب التي تساعدها على دفع الاضطرابات اللاحقة. اخيرا، خلع اودواكر آخر إمبراطور روماني غربي، روميولوس اوكوستولوس، في العام 476.

تمكنت الإمبراطورية الشرقية (بيزنطة كما عرفت لاحقا) من البقاء. لقد شهدت ضغوطا من جهتها الشرقية على يد الساسانيين الذين حكموا فارس في خلال القرن الثالث الميلادي، ثُمَّ حاولوا التوسع غربا. على الرغم من فقدانهم السيطرة على

تجارتهم في المحيط الهندي، والكثير من مناطق الشرق الأوسط وشمال أفريقيا على يد الغزاة العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي، بقيت الإمبراطورية البيزنطية قائمة حَتَّى العام 1453 عندما استسلمت عاصمتها بيزنطة للعثمانيين الاتراك.

بقيت روما مصدر تأثير مهم، وفاعل في الفكر، والنشاط الغربي، وتجلى ذلك بشكل واضح عبر الكنيسة الكاثوليكية. ان تشكيلات الدول اللاحقة التفتت إلى النموذج الروماني كما هو الحال في النظام الأمريكي في ما يتعلق بالدستور، ومجلس الشيوخ.

المدن الإمبراطورية

في صين الزو (1046 - 403ق.م) اعتمدت أسس التصميم الحضري على منظومة المربع المقدس المتاتي من خليط من علوم الكون والتنجيم والضرب بالرمل والاعداد.

خلال حكم سلالة تشين (221 - 206ق.م) هيمنت عاصمة الإمبراطورية شيانيانغعلى سلسلة من المراكز الادارية الاصغر. كانت هذه هي الحال أيضًا في فترة حكم الهان (206ق.م. 220) مع عاصمتيها على التوالي تشانغآن ولويانغ بالإضافة إلى المدن الساحلية المزدهرة مثل فوزهو.

تاسست الحضارة الرومانية على الثقافة الحضرية بشكل أساسي. وعلى راسها العاصمة الإمبراطورية روما، والتي بلغ عدد سكانها حوالي مليون نسمة مع حلول القرن الثاني الميلادي. لقد كانت إستراتيجية الاتامين الغذائي لهذا الحجم

السكاني إنجازا بحد ذاته من النواحي الاقتصادية والحكومية واللوجستية خاصة فيما يتعلق بشحن المحاصيل من صقلية وتونس ومصر وكانت الاسكندرية بمثابة المستودع الرئيسي للعملية. لقد دلت المخازن المشيدة على طول نهر التيبر جنوب غربي روما على أهمية التجارة لهم.

لقد نشأت وتطورت المدن كذلك في الأمريكتين، خاصة مدينة الزابوتك أعلى التلة والمعروفة بمونتيآلبانوسط اوكساكا (جنوب المكسيك) حوالي 450ق.م. ومدينة الميرادورهي أكبر مدن المايا المبكرة حوالي سنة 250ق.م. في وسط المكسيك ازدهرت تيوتيهوكان كمدينة متشابكة حَيْثُ علت معابدها رؤوس الاهرامات، وكان تعداد سكانها بين 125 الفا و200 الفا مع حلول 500م. في أمريكا الجنوبية، كان تعداد سكان تيواناكو الواقعة على ساحل بحيرة تيتيكاكا في ما يعرف اليوم ببوليفيا، حوالي 40 الفا وكانت مركز النشاط الديني.



الفصل الرابع

العصور الوسطى 500 - 1500

مُنذ القرن الخامس عشر وصاعدا عَدَّ المفسرون العصور الوسطى المبكرة فترة لا ثقلَ تاريخياً لها، وبذلك ارسوا دعائم كل ما يروى حول العصور التي تلتها. ان هذا النهج المتبع اضفى صفة السكون على أكثر من ألفية من تاريخ البشرية. لم تكن العصور الوسطى بهذا القدر من الخمول، بل على العكس تماما كانت ذات أهمية كونها حققت تطورا بشريا لا يستهان به. لقد بدأت بما يدعى (العصور المظلمة) عندما عانت أوروبا من الهجمات البربرية لتخرج من تلك الفترة بمجتمعات واحوال مغايرة تماما.

الموجة الثانية من البرابرة

اجتاحت أوروبا موجات من البرابرة في القرون الثامن، والتاسع، والعاشر. وكان أبرز المجتاحين من العرب، والفايكنغ، والماجيار. وقد سيطرت الأخيرة على مناطق هنغاريا، ولم يستطع أحد الحد من توسعها إلّا الإمبراطور اوتو الأول الذي صدّ زحفها في معركة ليجفيلد في 955، حَيْثُ كانت هذه القبائل تسعى إلى دخول ألمانيا.



المـاجيار، ضمن موجة البرابرة الثانية التي اكتسحت أوروبا في القرنين الثامن، والعاشر

التحصينات ضد البرابرة

يُعَدّ سور جرجان العظيم أو ما يعرف بالثعبان الاحمر الذي امتد على طول 195 كم (120 ميلا) اطول عمل دفاعي فارسي (إيراني). امتد من الجهة الشرقية لبحر قزوين إلى جبال البورز. يبدو انه صمم ونفذ من قبل الملوك الساسانيين منْ أَجل صد الهون البيض. اقيم السور وتكررت صيانته من القرن الخامس إلى السابع الميلادي. ولا يماثله إلّا جدار بوابات الاسكندر غرب بحر قزوين. وكما هو الحال مع الموجة الأولى هاجم البرابرة الصين: فالكيتانيون من منغوليا سيطروا على بكين في القرن العاشر، بينما سيطر التانغوت على المناطق الشمالية الغربية حول جانسو. في المقابل كانت لسلالة تانغ الأولى الحاكمة (618 - 907)

طموحاتها التوسعية هي الأخرى باتجاه قلب آسيا خاصة إلى زيانيانغ، وحوض تاريم، والحدود المحاذية للتبت.

الهون البيض

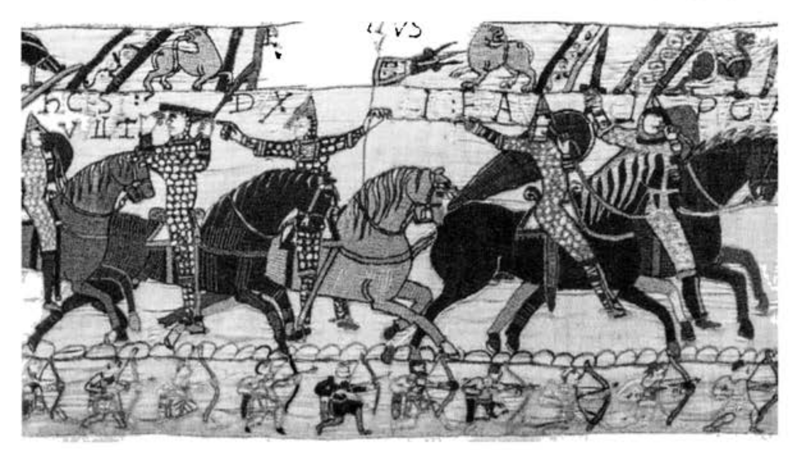
عانت الهند أيضًا من هجمات بربرية قوية. لقد وحدت مملكة جوبتا شمال، ووسط الهند في القرن الرابع، لكنها تعرضت لضغط كبير من قبل الهياطلة (الهون البيض)، وهم غزاة من وسط آسيا. لقد اوقعوا هزيمة نكراء بإمبراطورية الساسانيين ما اعاد تشكيل القوى في المنطقة بعد معركة هرات في العام 484. وكانت هجماتهم في خلال السنوات التي تلت 480 و500 و510 قد أضعفت مملكة جوبتا إلى حد كبير. وهذا ما مهد لتقسيم الهند مُنذ اواسط القرن السادس لتُنهَش من قبل عدد من القوى الإقليمية، وبقيت على هذه الحال المفككة حَتَّى القرن الثالث عشر.

توسع الفايكنغ

ان طبيعة الحياة الصعبة، وشحة الأراضي المؤاتية للاستيطان في اسكندنافيا، خاصة أرض النرويج الوعرة، أدّيا إلى انخراط الفايكينغ (سكان النرويج)، والتجار، والغزاة، والمقاتلين في عمليات الغزو مُنذ القرن الثامن. فقد سيطروا على الجزر البريطانية، وفرنسا، ووصلوا إلى روسيا شرقا. أما غربا فقد عبروا الأطلسي الشمالي بحثا عن فرص التجارة والاستيطان في مناطق أكثر رفاهية، وخصوبة. كانت طبيعة سفن الفايكنغ

الطويلة، المفتوحة للمطر، بأشرعتها، وصواريها العريضة، وعارضات القعر، ودفة القيادة الفاعلة، تجعلها ناجحة في شق البحار، والأطلسي، وكذلك تمكنت من الإبحار في المياه الساحلية، وأنهار التايمز في إنكلترا، والسين في فرنسا، وشانون في إيرلندا. وصل الفايكينغ ايسلاندا حوالي العام 860، وسكنوا جرينلاند حوالي سنة 986 وفي حوالي العام 1000 للميلاد أسسوا مستوطنة جديدة في نيوفندلاند. أما حول ما يثبت استيطانهم أمريكا فتلك مسألة فيها نظر على الرغم من حقيقة ان الأمريكان لم تعجبهم ان أمريكا اكتشفت أولاً من قبل أسبانيا، ليدعوا، فيما بعد، ان الفايكنغ وصلوا نيوانجلاند.

لم يتوسع الفايكنغ كثيرا بعد ايسلاندا، واخفقوا في تحقيق التعاون مع إسكيمو جرينلاند. لقد عانوا من الأمراض، والاستيطان بعيدا، ومن مشاكل انخفاض الحرارة في أوج العصور الوسطى، ما أتى على مستوطنات الفايكنغ في جرينلاند اواسط القرن الخامس عشر، بينما لم تدم نظيرتها في نيوفنلاند أكثر من عقدين، أو ثلاثة.



النورمان، من سلالة الفايكنغ الذين استوطنوا شمال فرنسا، وغزوا إنكلترا في 1066 تحت ويليام الفاتح

لقد كانت مستوطنات الفايكينغ في فرنسا، وإنكلترا اوفر حظا، فقد أسّسوا دوقية نورماندي شمال فرنسا في العام 911 وأصبحوا، فيما بعد، يُعرفون بالنورمان. توجهوا من نورماندي لفتح إنكلترا تحت حكم وليام الفاتح العام 1066، واجتاحوا اجزاء واسعة من ويلز وإيرلندا. فيما توجه قسم آخر من النورمانيين إلى احتلال صقلية، وجنوب إيطاليا. أما في الوطن الاصلي للفايكنغ في اسكندنافيا فقد نشأت ممالك قوية في الدنمارك، والسويد، والنرويج مع حلول القرن الحادي عشر، وقد سعت إلى بسط نفوذها على الجزر البريطانية، والاجزاء الشرقية من البلطيق. وان من أبرز سمات النورمانيين في هذه المرحلة التي ميزتهم عن الفايكنغ السابقين هو تحولهم إلى المسيحية. فقد كان الفايكنغ الأوائل يستهدفون المراكز المسيحية كالاديرة مثل لينديسفارن شمال شرق إنكلترا، موقع غزوتهم الأولى التي تعود إلى 793.

روس كاييف

في منتصف القرن التاسع أوجد تجار الفايكنغ في كاييف (اوكرانيا حاليا) دولة روس كاييف. وقد توسعت كثيرا في القرن العاشر الميلادي. ويعزى ذلك إلى نشاطها الاقتصادي الكبير وشراكتها الاقتصادية مع بيزنطة التي تعززت بسبب تحول الروس إلى الديانة المسيحية الاورثودوكسية بعد 988. لقد ساعد هذا الامر بانتقال الكثير من تراث بيزنطة إلى الروس لتعرف موسكو بسبب ذلك بروما الثالثة. انحلت دولة كاييف بعد موت فلاديمير الأول (حكم بين 980 – 1015) وقد خلفه أولاده الذين حكموا إمارات متفرقة في نوفغورود وبولوتسك وتشيرنيغوف. في بدايات القرن الثالث عشر، اجتاح الفاتحون المنغوليون المنطقة ما مهد لظهور موسكوفي (موسكو) كأبرز إمارة روسية.

إمبراطوريات المتوسط

على الرغم من كونه منقسما، ومحتلا جزئيا، بقي العالم الروماني مهيمنا في الجزء الشرقي من حوض المتوسط، كما هو حال الإمبراطورية البيزنطية التي قاومت الهجمات الإسلامية التي وصلت إلى عاصمتها القسطنطينية (إسطنبول) التي سقطت في النهاية بيد المسلمين العثمانيين الاتراك بقيادة محمد الثاني في 1453. وقد خسرت بيزنطة قبل ذلك شمال أفريقيا، وما يُعرف اليوم

بسوريا، ولبنان، وإسرائيل، وفلسطين، للقوات الإسلامية العربية في القرن السابع الميلادي.



بسط تشارلماين سلطة الفرنجة على معظم ارجاء أوروبا الغربية، لكن إمبراطوريته قسمت على أيدي احفاده

في أوروبا الغربية، أسست القبائل الجرمانية البربرية ممالك جديدة، منافسة بعد سقوط روما: ومنها مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا، والقوط الغربيين في أسبانيا. شملت المجاميع البربرية الأخرى السويبيين شمال غرب أسبانيا، والبرغنديين والانجلز، والسكسون، واليوت الذين غزوا إنكلترا. لقد كانت أبرزها مملكة الفرنجة التي احكمت سيطرتها على فرنسا اليوم وفي العام 732، سيطرت على تور، وهزمت الغزاة المسلمين الذين تحركوا شمالا بعد هزيمتهم القوط الغربيين واحتلال أسبانيا، والبرتغال.

أواخر القرن الثامن، وبداية التاسع، توسعت دولة الفرنجة بشكل كبير تحت حكم الكارلنجيين الجديد، ففي فترة حكم تشارلماين (768 - 814) تم فتح شمال إيطاليا حين هزم اللومبارديين، وابتلع اجزاء واسعة مما يُعرف اليوم بألمانيا والنمسا. إِذ هزم الساكسونيين في ألمانيا. في العام 1800، تُوّج كإمبراطور روماني مقدس من قبل البابا ليو الثالث، وقد ربط هذا الحدث الارث الإمبراطوري لروما وقوة إمبراطورية الكارولنجيين بالبابوية المتفتحة كممارسة انيقة. باتخاذه آخن عاصمةَ حكمه، استطاع تشارلماين من توحيد معظم العالم المسيحي الغربي الذي عاد، وانقسم على أيدي احفاده بسبب معاهدة فردان في العام 843. وثُمَّ مرت بمرحلة التشظي عند تعرضها لضغوطات الغزو البربري من قبل الماجيار، والفايكينغ، والعرب. أصبحت المملكة الألمانية العنصر الأساسي عندما تُوّج حاكمها اوتو الأول كإمبراطور في العام 962 حاصلا على لقب ينافس نظراءَه البيزنطينيين.

معركة تور 732

جادل المؤرخ ادوارد جيبون في أواخر القرن الثامن عشر انه لو تمكن العرب من هزيمة تشارلز مارتيل والفرنجة في تور، لاستطاعوا فتح أوروبا المسيحية. بينما يعتقد المؤرخون الحاليون بان الفتوحات كانت عبارة عن غزوات إذ كانت الجيوش الغازية قوة كبيرة وان انتصارها كان سيعزز من نسق التعاون المسيحي مع العرب وتمكن الاخير من الحفاظ على حضور قوي في فرنسا. وكما هو الحال مع معارك كثيرة، كانت تور تعني الكثير لجهة (الإفرنجة) أكثر من الأخرى العربية. ولم يتقدم العرب ثانية إلى شمال فرنسا.

معارك الاديان

مُنذ بدايات القرن السابع أصبحت معارك المسلمين ظاهرة هامة في تاريخ العالم، فقد نشب الصراع بين المسلمين، والعالم المسيحي من جهة، وبينهم وبين الهندوس شرق آسيا من جهة أخرى. وشهد القرنان السابع، والثامن موجة من الفتوحات الإسلامية التي صحبتها الانقسامات الحادة. العباسيون الذين ادعوا انهم من سلالة عم الرسول محمد انتفضوا في العام 747 في فارس وهزموا الامويين في العام 750 ليتسيدوا العالم الإسلامي متخذين من بغداد عاصمة لهم، وحكموا تحت الخلافة حَتَّى العام 1258 عندما اطيح بهم على يد المغول.

الفتوحات الإسلامية

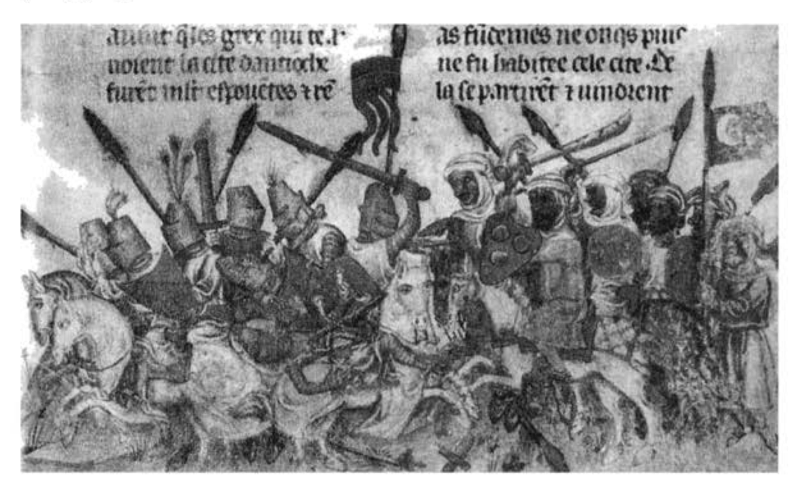
ان أبرز غزوات العالم الكلاسيكي كانت على أيدي العرب الداخلين في الإسلام كدين جديد اطلقه محمد ليتحول بسرعة إلى نزاع مع المشركين الذين انتشروا في معظم ارجاء الجزيرة العربية، وتمكنت قواته من فتح مكة في العام 630. الخلفاء الذين استمروا بالحكم من بعده وحّدوا الجزيرة العربية، وهزموا البيزنطيين، والساسانيين في فارس، وغزوا جنوب غرب آسيا، ومصر مع حلول العام 642. واستمروا بالفتوحات عبر فارس وصولا إلى أفغانستان اليوم. بالإضافة إلى شمال أفريقيا في أربعينيات الستمئة. لقد استفاد العرب من سهولة الحركة، والعقيدة الراسخة. في العام 711 فتحوا أسبانيا، وفي العام 751 هزموا جيشا صينيا قرب بحيرة بلخاش، ما مهد لأسلمة اواسط آسيا. ان الانتشار الإسلامي ساعد على تشكيل العالم الحديث. فقد كان انتشارا ثقافيا، بالإضافة إلى كونه عسكريا، ولم يرتكس هذا التقدم إلّا في مناطق قليلة.

عانى العالم الإسلامي تشظيات كثيرة بسبب الثورات، والحروب الاهلية. لقد انتهت الوحدة الإسلامية عندما قام أحد أفراد العائلة الاموية بإطاحة الحاكم العباسي في أسبانيا العام 756. بالإضافة إلى ذلك، أسس الفاطميون الشيعة (يتبعون مذهبا يؤمن بان قوة الحكم السياسي يجب أن تكون بيد أحد خلفاء علي ربيب محمد) دولة خلافة في تونس في العام 910. وفتحوا مصر في العام 969. أدت هذه الأحداث، مع جملة من الانقسامات

الأخرى إلى النزاع المستمر: ففي النصف الثاني من القرن الحادي عشر هزم الاتراك السلاجقة العباسيين، ومسيحيي بيزنطة. بينما تنافس الفاطميون الذين تركزوا في مصر مع السلاجقة على السيطرة على الأرض المقدسة.

الحروب الصليبية

ان تغلب السلاجقة على البيزنطيين، وانتصارهم المتحقق في معركة ملاذكرد في العام 1071، وما صاحبها من القلق على سلامة حجاج بيت المقدس المسيحيين، قاد الاب أوروبان الثاني في العام 1095 إلى الدعوة لحرب مقدسة ضد الإسلام، وبذلك اوجد أول حملة صليبية. وكانت تلك الأولى في سلسلة من الحروب المقدسة المسيحية التي استندت إلى عقيدة مقاتلة من يعادي المسيحيين من الداخل، أو الخارج، وبذلك سيطر الصليبيون على بيت المقدس في العام 1099، وأسسوا عددا من الدويلات في الأرض المقدسة. هذه التحركات ادت إلى قيام تنظيم رهباني بمسحة سياسية: ففرسان الهيكل، والاسبتارية هم مقاتلون اقسموا على انفسهم العهود الدينية، وكانوا يقودون قوات وقلاعا، وعهدت إِليهم مهمة الدفاع عن اجزاء واسعة من الأرض.



من مخطوطة فرنسية تعود إلأى القرن الثالث عشر تصور حصار انطاكية (1097 – 1098) حَيْثُ شهدت العصور الوسطى معارك طاحنة منْ أَجل الهيمنة بين المسيحية، والإسلام

وجد الصليبيون انفسهم في موقف حرج عندما استعاد جارهم المسلم وحدته السياسية. بحلول العام 1144 فقدوا معظم اجزاء كونتية الرها ما استدعى إلى إقامة الحملة الصليبية الثانية غير الموفقة. فقد ساءت الأمور مع انتصار صلاح الدين على الصليبيين في حطين في العام 1187، وتبعها الإمساك ببيت المقدس. فقد الصليبيون معاقلهم شيئا فشيئا حَتَّى سقطت عكّا آخر حصونهم (وقد استولوا عليها في العام 1104) على يد المماليك في 1291.

الفتوحات العربية والحروب الصليبية

633 – 651	الفتح العربي لبلاد ما بين النهرين وفارس.
634 – 641	الفتح العربي لسوريا.
634 – 718	الحرب الأولى بين بيزنطة والعرب.
639 – 642	الفتح العربي لمصر.
647 – 742	الفتح العربي للمغرب.
652	الغزو الإسلامي لصقلية.
673 – 751	الغزو العربي لما وراء النهر.
674 – 78	الحصار العربي الأول للقسطنطينية.
711	غزو أسبانيا القوط الغربيين.
711 – 14	الفتح العربي للسند والهند.
717 – 18	الحصار العربي الثاني للقسطنطينية.
732	إيقاف التقدم الإسلامي بمعركة بواتييه بقيادة تشارلز مارتيل.
736	الفتح الإسلامي لجورجيا.
846	إطاحة المسلمين بروما.
847	الفتح الإسلامي لجنوب إيطاليا.
902	الفتح الإسلامي لجميع ارجاء صقلية.
929	عبد الرحمن الثالث يعلن خلافته بقرطبة.
1085	فتح قشتالة لطليطلة.
1086	غزو المرابطون للاندلس.
1095	انعقاد مجلس كليرمونت.

1096 – 1099 الحملة الصليبية الأولى.
1144 – 1155 الحملة الصليبية الثانية.
1147 انتصار قوات البرتغال على حصار ليزبون.
1187 – 1192 الحملة الصليبية الثالثة.
1202 – 1204 الحملة الصليبية الرابعة.
1212 حملة الأطفال الصليبية.
1217 – 1221 الحملة الصليبية الخامسة.
1228 – 1229 الحملة الصليبية السادسة.
1236 قادس تستسلم لقشتالة.
1248 – 1254 الحملة الصليبية السابعة.
1248 قشتالة تهيمن على اشبيلية.
1270 الحملة الصليبية الثامنة.
1271 – 1272 الحملة الصليبية التاسعة.
1492 فتح غرناطة.

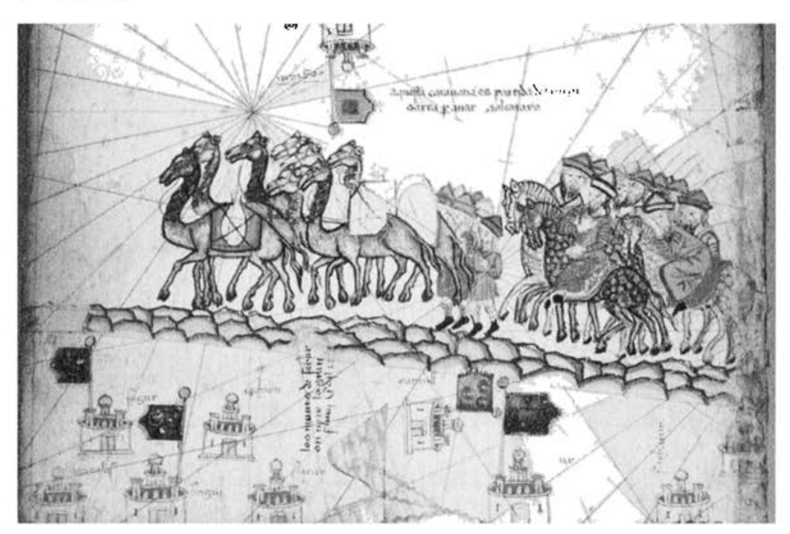
صلاح الدين

اشهر مقاتل مسلم في العصور الوسطى العليا، صلاح الدين (1138 – 1193) كان ملكا ذاع صيته أيام عمه، حاكم مصر وخلفه في العام 1169. بعد سنتين، اطاح بالسلطان المصري وأسس سلطنته الأيوبية الخاصة. بدأت قواته تتقدم غربا باتجاه تونس وجنوبا باتجاه السودان واليمن. سيطر أيضًا على سوريا وشمال العراق وظفر بدمشق في العام 1174. وكان ذلك الهدف

الذهبي للمصريين الذي طالما تمنوه وقد حققه لهم صلاح الدين بنجاح. كان مقتدرا في مزج الإستراتيجيات العسكرية والسياسية والدبلوماسية. في العام 1187، اعلن صلاح الدين الجهاد (الحرب المقدسة) وسحق المملكة المسيحية في القدس.

الحملة الصليبية الرابعة

تحت التأثير الفينيسي (البندقية) انطلقت الحملة الصليبية الرابعة (1202 - 1204) التي استهدفت قبل المسلمين، مدينة زارا التي حكمها الهنغاريون، ومِنْ ثَمَّ القسطنطينية نفسها. لقد عرض اليكسزيوس انجِلِس ابن الإمبراطور المخلوع اسحق الثاني، الأموال لمساندة الحملة الصليبية، وتوحيد الكنيسة الاورثودوكسية مع روما (المنقسمة عنها مُنذ عام 1054) فيما لو تمت الإطاحة بعمه. لقد حقق الصليبيون ذلك في العام 1203، لكن الإمبراطور الجديد اليكسزيوس الرابع لم يفِ بعهوده، فأطيح به بثورة مضادة. مهد ذلك الامر لهجوم الصليبيين على المدينة في العام 1204، وتتويج الكونت بالدوين لفلاندرز إمبراطورا، والانفصال عن باقي الإمبراطورية البيزنطية. على أي حال كان الوضع الجديدة ابعد ما يكون عن الاستقرار. في العام 1261، استعاد الإغريق القسطنطينية، وإنهاء الإمبراطورية اللاتينية المختصرة هذه.



من الأطلس الكاتالوني 1375، توضح قافلة جِمال ماركو بولو. عزز المغول علاقاتهم التجارية عبر طريق الحرير، لكنهم لم يفلحوا في إنشاء مؤسسات دولة

حروب الاسترداد (سقوط الأندلس)

نجح المسيحيون في عكس التأثير الإسلامي بشكل كبير في شبه الجزيرية الايبيرية (أسبانيا والبرتغال) حَيْثُ أطاحوا عن طريق موجة الاسترداد (ريكونكويستا) بالحكام المسلمين لتعود المنطقة إلى الحكم المسيحي بعد قرون من الاحتلال الإسلامي. سقطت طليطلة في العام 1085، وليسبون في العام 1147 وغرناطة، آخر مدن المسلمين، في العام 1492.

نجح المسيحيون في استعادة سلسلة من الجزر في حوض المتوسط من المسلمين ومنها كريت وصقلية. كان لهذه النجاحات

مع الفاعلية البحرية المتفوقة للمسيحيين الدور الأبرز في تنمية التجارة الأوروبية المتمركزة في المدن الإيطالية مثل بيسا، وجنوة، والبندقية ما ساهم برسم مملكة ما وراء البحار لتضم كريت، وقبرص، والمناطق الساحلية لما يعرف اليوم بكرواتيا.

في العام 1415، انتقلت حروب الاسترداد إلى شمال غرب أفريقيا لتحتل سبتة. قامت أسبانيا، والبرتغال بعدد من الفتوحات في المنطقة، ولم تتخلَ البرتغال عن احتلال المغرب إلّا بعد الهزيمة الماحقة التي قتل فيها ملكها سباستيان في العام 1578.

السيد والبطولة

رودريجو دياز دي فيفار، كان جنديا بقدرات متفوقة وطموح كبير عرف فيما بعد بـ (السيد) وكان أحد نبلاء قشتالة وقد خلع مع الفونسو الخامس بسقوط ليون وقشتالة ليصبح مرتزقا. جاء لقبه السيد من الأصول العربية وقد يعزوه البعض إلى كلمة (أسد) بالعربية أيضًا. وقد قاتل كلا من المسيحيين والمسلمين. وقد درت عليه المهام أموالا وفيرة وقد حكم بلنسية بنفسه من 1094 حَتَّى موته في 1099 حين كان يقاتل المرابطين البرابرة. في النهاية، سلمت ارملته بلنسية للمرابطين في 1102.

قُدم السيد فيما بعد كمثل أعلى، لكن افعاله في الحقيقة عكست ما تقدمة المجتمعات المجابهة من فرص وانتهازية. ان هذا النسق من التلاعب بالقوة واستثمارها ظهر في أماكن عدة في أسبانيا أثناء حروب الاسترداد. ففي جبال شمال غرب مالقة،

حَيْثُ كنيسة ببشتر، كل ما تبقى من معقل عمر بن حفصون (850 – 917)، قاطع طريق تحدى خلافة قرطبة بنجاح قبل التحول إلى المسيحية. اعيد احتلال ببشتر اخيرا من قبل الامويين في 927.

فاتحو العالم

ان الخيالة الخفيفة لشعوب وسط آسيا اثبتت نجاحها المرة تلو الأخرى كفاتحين منتصرين مُنذ القرن الخامس، وحَتَّى الخامس عشر، إِذ اطاحوا بالإمبراطورية الرومانية في الغرب، والأدهى فتوحات المغول بقيادة جنكيز خان (1160 – 1227) وخلفائه من الصين، وحَتَّى هنغاريا. لعبت الظروف الطبيعية دورا في الهجمات المغولية كانخفاض درجات الحرارة في السهوب التي أضعفت المنطقة بسبب الأزمة المعيشية، ما شكّل حافزا لغزواتهم. ومع ذلك استطاع المغول التحرك في ظروف بيئية مختلفة. سقطت مراكز مهمة بيد المغول كبكين في العام 1215 وبخارى في العام، 1219 وكاييف في 1240، وبغداد في العام 1258. وفي العام 1241، اجتاحوا بولندا، وهنغاريا بنجاح. لم يستطع الأوروبيون هزيمة المغول ابدا، وكان الحظ حليفا لهم عندما قرر جنكيز خان تركيز هجماته على وسط آسيا وقبلها الصين. في العام 1241 كان خبر موت الخان الأكبر اوقطاي بن جنكيز سببا في عدولهم عن التوغل في أوروبا. اماتوسع المغول في مناطق أخرى فقد اصطدم بالمماليك المصريين (في الاصل هم

جنود عبيد من وسط آسيا) الذين اوقعوا الهزيمة بالمغول عندما هاجموا سوريا في العام 1260، والهزيمة الأخرى كانت على يد اليابانيين (بمساعدة عاصفة) في العام 1281.

تُعَدّ الإمبراطورية المغولية أكبر إمبراطورية لأراضٍ متماسكة عرفت بالتاريخ. وكانت بمثابة البداية لتتابع التاريخ على مستوى عالمي. فقد خلقت دوائر اتصال للمعلومات والتكنولوجيا والأفكار، وحَتَّى في خلال فترة الموت الأسود، في القرن الرابع عشر، انتشر الوباء في جميع انحائها. خلق هذا التلاحم وسطا لمزج الثقافات.

ماركو بولو: تصوراته عن الصين

ادعى التاجر الفينيسي ماركو بولو بانه ترك فينسيا أو البندقية في 1271. ووصل القصر الصيفي للخان العظيم في شانغدو في 1275. وبقي في الأراضي المغولية حَتَّى 1292. حَتَّى كلف بمرافقة اميرة مغولية من الصين إلى هرمز في الخليج الفارسي. هنا وضعت ادعاءات بولو تحت الفحص ولكنها بالتاكيد كانت لها تأثير كبير على معارف أوروبا عن الصين حَيْثُ ساهم على خلق الانطباع الراسخ حول غنى الصين. وكانت تمثل اعترافا عمليا بالمسافات التي من الممكن قطعها برا. فقد اعتقد بولو بانه قطع 25 ألف كيلومترا (16 ألف ميلا) من فينيسيا إلى بكين، بدلا من 11 ألف كيلومترا (7 آلاف ميلا). ساعد هذا التقدير في خلق انطباع خاطئ حول المسافة من أوروبا للصين عبر الأطلسي مما حدا بكولومبوس ان

يسيء التقدير فيما يخص ما قد يصادفه عند الإبحار غربا. المختلفة خاصة في مناطق التماس. طور المغول نقاط التواصل الموجودة اصلا من خلال طرق الحرير، وتكمن أهميتها في تعزيز العلاقات بين الصين، وبلاد فارس لتمتد غربا وتصل البحر الأسود.

لم يستفد المغول من التنوع الذي بسطوا عليه نفوذهم، ولم ينشئوا مؤسسات حكومية، أو آليات عمل بيروقراطية، أو حَتَّى فكرية. فلم يكن هنالك ما يعادل المؤسسات الاكليريكية، أو التربوية التي كانت تمثلها الكنائس المسيحية، ولا ما يناظرها من المدارس الكونفوشية للإدارة الصينية التي أسّست، بسبب مبادئها، ومنظومتها، أرضًا صلبة للحكم الصيني من وقت سلالة الهان الحاكمة، وصاعدا.

في النهاية، لم تدم الإمبراطورية المغولية، وأثّر انهيارها في فرص حركة البضائع، والأفكار عبر اوراسيا. الشقاق الذي نشب بين الامراء مُنذ العام 1259 مزق الارث إلى أربع إمبراطوريات عانت، بدورها، من التقسيم، وذلك ما حصل أيضًا لإمبراطورية الاسكندر عند موته في العام 323ق.م. لم يستفد المغول من التنوع الذي بسطوا عليه نفوذهم، ولم ينشئوا مؤسسات حكومية، أو آليات عمل بيروقراطية، أو حَتَّى فكرية. فلم يكن هنالك ما يعادل المؤسسات الاكليريكية، أو التربوية التي كانت تمثلها الكنائس المسيحية، ولا ما يناظرها من المدارس الكونفوشية للإدارة الصينية التي أسّست، بسبب مبادئها، ومنظومتها، أرضًا صلبة للحكم الصيني من وقت سلالة الهان الحاكمة، وصاعدا.



جينكيز خان مؤسس أكبر إمبراطورية أرضية متصلة في تاريخ العالم

في النهاية، لم تدم الإمبراطورية المغولية، وأثّر انهيارها في فرص حركة البضائع، والأفكار عبر اوراسيا. الشقاق الذي نشب بين الامراء مُنذ العام 1259 مزق الارث إلى أربع إمبراطوريات عانت، بدورها، من التقسيم، وذلك ما حصل أيضًا لإمبراطورية الاسكندر عند موته في العام 323ق.م.

قام تيمور الاعرج (1336 – 1405) عرف بتيمورلنك فيما بعد، لاحقًا بتنصيب نفسه حاكمًا على المغول، واتخذ من سمرقند عاصمة له، وفتح آسيا الوسطى، وإيران، وشمال الهند، والشرق الأوسط، فقد سيطر على هرات في العام 1381، ودلهي في العام 1398، ودمشق في العام 1401، وبغداد في العام 1401. قبل موته، كان يخطط لمهاجمة الصين. وعندما واجه المقاومة أقام اهرامات من جماجم المذبوحين – حوالي 70 الفا من الذين خرجوا عليه في اصفهان (إيران) في العام 1387. لم تكن لدى أوروبا، والصين، ودول جنوب وجنوب غرب آسيا ما يردون به على القوة المستنفرة من قبل الإمبراطوريات البدوية كتللك التي يحكمها تيمورلنك. لقد أنهارت الإمبراطورية بعد موته على أي حال، في العام 1405. لقد ازال انهيار الإمبراطورية المغولية عقبة من امام التوسع باتجاه الغرب، لكنه لم ينهِ أهمية الروابط التي تحققت عبر آسيا الوسطى. بقيت المنطقة في معظم اجزائها عصية على سيطرة الغرب، أو تأثيراته حَتَّى أواخر القرن التاسع عشر عندما سيطرت عليها روسيا.

المدن والتجارة

لقد تاثرت المدن واقتصادياتها بشكل كبير بالهجمات البربرية التي حصلت في القرنين الخامس والسادس ولكن سرعان ما تعافت بعد ذلك خاصة في الصين. تحت حكم التانغ (618 - 970)، كان يسكن العاصمة تشانغان أو ما تعرف اليوم بـ (زيان) مليونا شخص مع حلول القرن الثامن. ان التناظر الواضح في تصميم المدينة يؤكد وجود حكومة مركزية قوية. حَيْثُ انتظمت المدينة في محلات على وفق تخصصاتها وهذه متاتية من العقيدة الصينية التي تمزج القوى الروحية بنظم الفضاءات وترتيبها وانتشرت هذه الأفكار وبدرجات متفاوتة في جميع انحاء اسياالشرقية. ان التصميم الحضري الصيني وصل إلى درجة عالية تحت حكم التانغ بحَيْثُ كانت هنالك أكثر من عشر مدن يسكنها أكثر من 300 ألف شخصبينما تحت حكم تسونغ (960 - 1279) كان مركز التجارة في هانغزوو يسكنه مليون شخص في الوقت نفسه كان سكان لندن لا يزيد عددهم على 15 الفا. بينما كان الفارق كبيرًا جدا بين واردات التجارة لكايفينغ في القرن الحادي عشر مقارنة بأي دولة أوروبية أخرى.

في آسيا، لم يقتصر التصميم الحضري المتقدم على الصين فحسب، فقد كانت انغكور وات عاصمة إمبراطورية الخمير في كومبوديا التي أسست في القرن التاسع وأصبحت مركز النشاط البوذي، تتمتع بشبكة تغذية مياه متقنة تحتوي على الخزانات وأنظمة توزيع مياه الامطار الموسمية.

لقد كانت التجارة مهمة جدا لتنمية المدن فقد تطورت مدن الموانئ لتصبح مسارات تجارة خدمية تصل الاقتصادات الكبرى ففي حوالي سنة 1000م، تضمنت عدن المطلة على المحيط الهندي ووكولام مالي جنوب الهند وكاتاحا في الطرف الشمالي لمضيق مالايكا أما بعد ذلك بنصف ألفية فقد أصبح مسار عدن ومالايكا وبروناي هو المعتمد.

في أوروبا، تطورت المدن التجارية المهمة أيضًا مع تقوية الخط البحري للبندقية وجنوة وبيسا التي مثلت شبكة مالية هيمنت على حوض المتوسط. بينما في البلطيق تفوقت المدن التابعة للرابطة الهانزية مثل لوبيك.

صين العصور الوسطى

يُعَدّ المغول تحت حكم قوبلاي خان (1260 – 1294) – الحفيد الموهوب لجنكيز خان، وأول من استطاع غزو الصين جنوب الينغتزي – من شعوب السهوب، وقد استطاعوا استكمال عملية الغزو الشاقة هذه في العام 1279 مع الإطاحة بأسرة تسونغ الحاكمة في الجنوب.

في القرن الرابع عشر ضعف حكم المغول في الصين بسبب العداوة، والبغضاء التي اتسعت بين الحاكم والمحكوم، والاثار المتزايدة للكوارث الطبيعية. وأصبحت الثورات امرا يتكرر مُنذ العام 1350، فقد ظهرت حركة تمرد العمامات الحمر، واستولت على مدينة نانيينغ الكبرى في العام 1356 واستغلت موقعها لبسط

نفوذها على وادي يانغتسي. تحرك زوو يووانزهانغ، قائد العمائم الحمر شمالا باتجاه بكين مجبرا الإمبراطور المغولي على الهرب عائدا إلى السهوب، بعد ذلك نصب نفسه إمبراطورا وأسس عائلة مينغ الحاكمة التي دامت حَتَّى العام 1644. وبالتالي اكملت الصين تحت المينغ مهمة التخلص من المغول في جنوبها الغربي، وشرقي منغوليا.

امتازت الصين بنظامها الهرمي الصارم الذي يتمركز حول الإمبراطور الذي يسعى إلى أن يكون ملكًا على العالم كأمر مقدس، بالإضافة إلى تمتعه بطموحات، وواقع عالمي التوجه (علماني). استوعب الصينيون العلاقات المتداخلة بين الجنة، والأرض، والإنسانية بشكل نظام ما ورائيّ (ميتافيزيقي) التي محورت الأفكار الدينية حول البوذية والطاوية مع اعتمادها الكبير على علمي الفلك، والكيمياء.

كانت الصين مركزا رئيسيا للتطور التكنولوجي في الطباعة، والبارود. تم توظيف الطباعة المتحركة لإنتاج النصوص المطبوعة التي انتشرت بشكل كبير مع حلول القرنين الحادي والثاني عشر.

إمبراطوريات أفريقيا في العصور الوسطى

شهدت العصور الوسطى في أفريقيا تطورات سياسية هامة صاحبها تطور حضري كان المحرك الأساسي لانتشار السلطات الروحانية، عالمية التوجه. فقد كانت مصر من اهم حواضر الخلافتين الاموية، والعباسية بعدما فتحها العرب أول مرة في

العام 639. كان للمماليك دور عسكري، وسياسي مهم تحت الحكم الإسلامي، وتحولوا مع الوقت إلى فئة مقاتلة مؤثرة مع بدايات ألفية الثانية. في العام 1250، تمرد المماليك للقضاء على المملكة الأيوبية، وفي وقت قياسي امتد نفوذهم حَتَّى سوريا. انتشر الإسلام على طول الساحلين الغربي، والشرقي لأفريقيا، وارتبط النمو التجاري بتطور المدن فيهما مثل جينيه، وتمبكتو، وجاو على نهر النيجر، وكانو شمال نيجيريا، ومقاديشو، وماليندي، ومومباسا، وكيلوا، وسوفالة المطلة على المحيط الهندي. وكانت هذه المدن مهمة في الشحن العابر للبضائع، وتمثل نقاط التقاء بيئات مختلفة.

مثلت هذه المدن نقاط التقاء نهر النيجر مع مسالك القوافل العابرة للصحراء، أو بين المحيط الهندي، والطرق المؤدية إلى وسط وشرق أفريقيا، المصدر المهم لتوفير العبيد. في بداية القرن الرابع عشر حجّ إمبراطور مالي المدجج بالذهب، (مانسا موسى)، إلى مكة في رحلة كشفت للعالم غنى أفريقيا الغربية ولفت اهتمام الحكام الطامعين في شمال أفريقيا.





كان المماليك جنودا مستعبدين وازداد نفوذهم العسكري والسياسي وتسنموا المناصب العليا وسيطروا على مصر في العام 1250 بعد ثورتهم على المملكة الأيوبية

في جنوب شرق أفريقيا، نشأت، ونمت إمبراطورية زمبابوي العظمى من تجارة الذهب، والماشية لتصبح عاصمتها التي عرفت بنفس الاسم مدينة كبرى من القرن 11 وحَتَّى القرن 15. كانت

المدينة متوجة بقصر ملكي رائع تم تشييده في القرن الحادي عشر. مع ذلك كانت معظم اجزاء أفريقيا وخاصة الجنوبية منها تسكنها مجتمعات اعتاشت على جمع الصيد والرعي للبدو الرحل، أو الزراعة التي بقيت كنمط سائد، ولم تتبلور معها أي تشكيلات مهمة كالدولة.

ان قلة اليد العاملة في أفريقيا كانت وراء أهمية تملك الناس كملكية الأرض تماما، ما ولّد ظاهرة العبودية التي سادت في ارجاء اقريقيا، وكانت تغذيها تجارة العبيد بشكل كبير، وقد زادت أهميتها مع زيادة انتقال العبيد عبر الصحراء إلى العالم الإسلامي.

خيرات غيرت العالم: البارود

اكتشف البارود المادة سريعة الاشتعال وذات القوة التدميرية الكبيرة في الصين في القرن التاسع. بعد اكتشافه تم تطويره لصناعة الأسلحة. ففي بادئ الامر صنعت منه الصواريخ وقاذفات اللهب ومِنْ ثَمَّ ومع حلول 1250 تم تصنيع المدافع. وصلت العلوم الخاصة بتصنيع البارود إلى أوروبا في حوالي 1300 ولم يستغرق الامر طويلا حَتَّى ظهرت الأسلحة النارية في سوح القتال. وقد حددت القوة التدميرية لهذه الأسلحة وقابلية اقتحام الجدران المحصنة التي طالما استعصت على المهاجمين سابقا، شكل المعركة واتجاهات الحرب الدائرة.

الإمبراطوريات الأمريكية قبل كولومبوس

لقد سبق وصـول المستكشفين الأوائـل من أسبانيا في العام 1492 وجود ثقافات، وإمبراطوريات على مدى جغرافي واسع في الأمريكيتين. كانت هذه المجتمعات تفتقر إلى الخيل، والبارود، والطباعة، ومع ذلك وبحلول العام 1400 كان حوالي 14 بالمئة من سكان العالم يقطنون الأمريكتين.

في القرن الخامس عشر أسس الازتك إمبراطورية في وسط المكسيك، بينما كانت الإمبراطورية التي تمركزت في بيرو للانكا أكبر بكثير، وشملت ما يعرف اليوم بالإكوادور، وبيرووبوليفيا، وشمال تشيلي. في أمريكا الشمالية كانت ثقافة المسيسبي مؤثرة إلى حد بعيد. فقد غطت معظم الأراضي شرقي جبال الروكي، بينما سادت مجتمعات زراعية في الجنوب الغربي، ما يعرف بالولايات المتحدة اليوم. أما الإسكيمو فقد سكنوا مناطق القارة المنجمدة الشمالية. ظهرت المستوطنات الزراعية في مناطق غابات أمريكا الوسطى، والجنوبية. سادت عبادة الأجداد أو السلف ارجاء الأمريكتين كما انتشر فن الحجارة في الكهوف كتقليد قديم، كما هو لدى التاينوس في بويرتو ريكو.

ثقافة المسيسبي

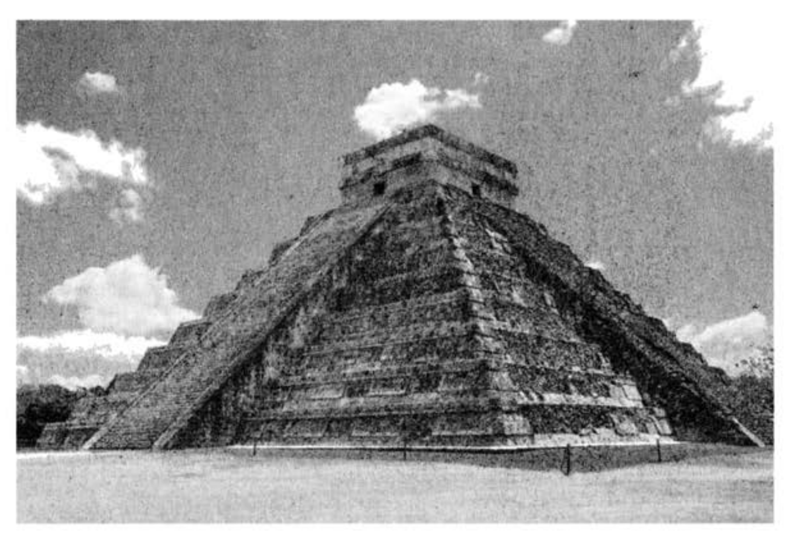
في حوالي 1000 – 1450، أصبح وادي المسيسبي مركزا لثقافات مختلفة مع عدد من الزعامات والمراكز الرئيسية خاصة كاهوكيا وماوندفيل. فقد كانت لايتاوا ذات الاثنين والعشرين هكتارًا (54 فدان) وهو موقع في جورجيا، شريط حماية كبير للمدينة. لقد اندثرت الثقافات الخاصة بالوادي قبل وصول الأسبان في القرن السادس عشر ومن أحد الأسباب المرجحة الجفاف الذي قضى على الحياة في المنطقة كما هو حال الحضارات التي سبقتها في جنوب غرب أمريكا.

كانت شعوب الانكا هي الأكثر تقدما بين القوى الإمبراطورية في الأمريكتين، حَيْثُ سخرت قوة بشرية كبيرة لإنشاء شبكة طرق معقدة تغطي الإمبراطورية في القرن الخامس عشر. وكان يعتقد ان حاكمهم هو ابن الشمس. وقد ابتكر الانكا (عقد الكلام) وهي خيوط تعرف بـ (كيبو) تحتفظ بالسجلات، وتحفظ في الاضرحة المفتوحة بإشراف المختصين، وهي ذات طابع قدسي لديهم.

أما ابراطورية الازتك التي اتسعت حول مركز تأسيسها في وادي المكسيك بعد العام 1427 فكانت تتمتع أيضًا بسلطة مقدسة، وكان الهها الأكبر هو ويتزيلوبوتشتلي اله الحرب وكانت الاضاحي البشرية تلعب دورا أساسيا في عقيدتهم. وكانوا يشبهون المايا في كونهم أنشأوا مجتمعات عسكرية، مع انهم برعوا في تأسيس التحالفات لتقوية ملكهم.

المايا

يلف الغموض معظم حضارة المايا التي ازدهرت بين حوالي 290 – 900م. ولكنها انشأت مدن دولة في كواتيمالا، وشبه جزيرة يوكاتان، حَيْثُ ما زالت اهراماتهم المدرجة، مثل ايتزا، تثير الإعجاب. على الرغم من انهم كانوا يفتقرون إلى العجلات، وحيوانات الاحمال، والأدوات المعدنية إلّا أنهم كانوا معروفين بتجارتهم الواسعة برا وبحرا للملح، وحجر السج الأسود، والأحجار الكريمة، والذهب، والنحاس. وكانت هذه التجارة كفيلة بتأمين قوتهم وثرائهم. لقد ابتكروا نظام كتابة هيروغليفية، ونظامًا متقدمًا للتقويم يستند إلى الملاحظات الفلكية، وقد اثبتت نتائج تكنولوجيا الليزر بان تعداد شعبهم ازداد من خمسة إلى خمسة عشر مليونا. واكتشف أيضًا بان هنالك شبكة من الطرق المعبدة بين مدن المايا وكواتيمالا تقترح قدرا فاعلا من التبادل التجاري بينهما. لم تتضح أسباب اندثار حضارة المايا. ولكن من المحتمل أن يكون السبب تعاظم الجدب، والجفاف الذي اهلك سكان هذه الحضارة.



الهرم المدرج في شيشين اتزا يعكس قوة مدن دولة المايا في خلال الفترة الكلاسيكية ولكن أسباب اندثارها ما تزال غامضة

العلوم

شهدت العصور الوسطى إنجازات فكرية، وتكنولوجية، وعلمية مهمة عبر مناطق كثيرة من العالم. ان ما يعرف اليوم من فصل وتمييز بين الديانات واقسامها، والثقافات، والأفكار لا يصدق على هذه المرحلة. فاللاهوت، على سبيل المثال، كان يدعى بملكة العلوم في أوروبا. فمعظم النقاشات التي سادت اوساط الفكر في أوروبا القرنين الثالث عشر، والرابع عشر كانت تتناول العلاقة بين المظهر والحقيقة بمنظور فلسفي، ورؤية دينية وكانت مسائل القيم الدينية، وطبيعة التراجم، والتفسيرات للإنجيل ذوات أهمية بالغة. ما عدا مجموعة قليلة من العلماء مثل

روجر بايكون (حوالي 1214 - 1292)، وكان راهبا كاثوليكيا إنكليزيا مطلعا على التطور الفكري في العالم العربي، ركز على الحقائق العلمية، والتجريب، والعلوم المفيدة كسند ودليل على كونٍ مخلوقٍ من قبل ربّ مسيحي.

شهدت الفترة الممتدة بين القرنين الحادي عشر، والثالث عشر ظهور الجامعات في أوروبا، ومنها باريس، وبولونيا، ونابولي، واوكسفورد التي أصبحت مراكز رئيسية للفكر الأوروبي. هناك، تأثر المعلقون بفكر توماس آكويناس (1225 - 74) الذي حلل التعاليم الفلسفية السابقة التي كانت تدرس في المدارس الأولى (انوية الجامعات)، وضمت أعمال ارسطو، وقد ترجمت عن العربية التي توفرت في أسبانيا، وصقلية، أو مباشرة من اليونانية. قام اكويناس بتنظيم المحتوى المعرفي والمعلومات، والوسائل بشكل منطقي.

عبر العالم، حدد القصور التكنولوجي إمكانيات التطور العلمي. لكنه حدث على أي حال في بعض الأماكن. وتجلى ذلك باعتماد أكبر على قوى الماء، والهواء مقارنةً بالفترة الكلاسيكية والتطور الحاصل بسبب افران الصهر لإنتاج الحديد، واختراع الطباعة في الصين.

علوم العالم الإسلامي

ان اتساع رقعة العالم الإسلامي اتاح فرصة الإفادة من المعلومات والأفكار والطرق التي جمعت من المناطق البعيدة نتيجة للفتوحات والتجارة والسفر. امتد العالم الإسلامي من الهند ووسط آسيا إلى شمال غرب أفريقيا وأسبانيا. وربطت طرق القوافل بين الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عبر آسيا الوسطى والصحراء الكبرى أيضًا. بينما استفاد التجار العرب من معرفتهم الفلكية ابحروا في المحيط الهندي والبحر المتوسط وكانوا يستفيدون من الرياح الموسمية للإبحار شرقا عبر المحيط الهندي ومع نهاية القرن الثامن، أصبحوا يقومون برحلات منتظمة إلى غوانزو أو كانتون. لقد تطور رسم الخرائط في العالم الإسلامي وبهذا الصدد كان الظن انه يمكن الاعتماد على الارث اليوناني خاصة في مصر. ان أساليب النقاش المعاد أو المدرسي والتي تطورت بداية في المدارس البوذية، وكانت الأساس لظهور الطريقة العلمية، تبناها المسلمون مع فكرة (المدرسة) التي نشأت في فيهارا البوذيين.

لم يكن العالم الإسلامي موحِدا من الناحية الثقافية، فطالما وجد التوتر بين الممارسات القائمة والمجددين المتزمتين ما ولد انقسامات عميقة. فهنالك مدى مذهل من المعتقدات والممارسات وتجلى ذلك بالاختلاف الكبير بين التيارات الدينية في المدن الحضرية الكبرى تحت الحكم الإسلامي كالاسكندرية وسمرقند مقارنة بالمدن المغلقة التي تحكمت بها التيارات المتطرفة. وتجلت الأخيرة

في مجموعة المرابطة في المغرب الذين حكموا بين (1040 – 1147) والأكثر تزمتا منهم هم خلفاؤهم (الموحدون) من 1121 – 1269. فكانوا يهاجمون كل من يلتفت إلى مذهب آخر وكانت لهم تعاليم صارمة ومنها التفسير الاورثدوكسي للقران الذي يحرم الإشارة إلى الجسم البشري وتصويره. وقد تركوا تعاليم الإسلام التي تسمح للموحدين من الاديان الأخرى بممارسة معتقداتهم بحرية بعد دفع الجزية واجبروا اليهود والمسيحيين على التحول إلى مسلمين.

حقائق حياتية

قدمت العصور الوسطى أفرادًا بخلفية بيئية عدوانية، غير متوقعة. واجهوا قوى لا يمكن الوقاية منها، أو التعامل معها فتضيع جهود سنين مضنية بموجة مجاعة، أو طاعون. كان الخيط الفاصل بين الاستقلال والابتلاء، وبين الفقر، والفاقة، يكاد لا يذكر فيقطع بسهولة، وسرعة وتكرار. وبسبب هذه المصاعب والمخاطر وجد الكثيرون ضالتهم في الحلول الدينية.

كانت مسائل الصحة الشخصية، والطعام الصحي من أكبر المشاكل للغالبية العظمى من السكان، فظروف العيش المكتظ سببت اصابات تنفسية خطرة، وأدّى الزحام، وعدم توفر الأماكن الصالحة للاستحمام، وارتداء الملابس نفسها وقتًا طويلاً إلى انتشار الاصابات بالقمل، وهي واحدة فقط من الطفيليات المزعجة، فقد لحقها بقّ الفراش، والبعوض،

والديدان الشريطية، وكانت من مظاهر عيش العصور الوسطى بغض النظر عن غنى الفرد، وحالته المعيشية.

لم يكن الاستحمام بماء نظيف عادة اهل العصور الوسطى، وان قرب الحيوانات وتلال فضلاتها من مكان المعيشة ساهم بانتشار الأمراض. وازدادت الحاجة إلى ماء الشرب النظيف خاصة في المناطق الساحلية، والأراضي المنخفضة التي تفتقر إلى الابار العميقة. وغالبا ما لوثت بقايا الحيوانات مياه الشرب. وكان انتشار التيفوس أحد الأمراض المميتة وإحدى نتائج هذا التلوث.

ساهمت التغذية الفقيرة بشكل كبير في التقليل من مقاومة المجاميع السكانية، وخفّض سوء التغذية من الرغبة الجنسية، والنشاط عموما ما عرقل الحمل الصحي، وأدى إلى ارتفاع نسب موت الرّضّع. ان ضآلة المواد الغذائية، إضافة إلى فقر الغالبية العظمى من السكان أدى إلى غياب الغذاء المتوازن عن موائد معظم الناس. حَتَّى لو تمتعوا بوجبة مشبعة. وكانت هذه من مزايا عيش اهل الحضر من الفقراء الذين وجدوا الفواكه والخضار، ناهيك عن اللحوم الحمراء، والبيضاء باهظة الثمن. فكانوا معلولين دائما، ورثي الثياب. اتسم غذاء المزارعين بتكرار الوجبة نفسها: القليل من اللحم، والسمك مع حساء، أو خلاصة الخضار.

كانت ظروف العمل قاسية، كان الناس معرضين للمواد الخطرة بشكل دائم كالرصاص، والزئبق بينما كانت أعمال

البناء غاية في الخطورة. عمل الطحانون في أجواء مغبرة تتسم بالضوضاء وكانوا يعانون من القمل بشكل متكرر، والاصابات الرئوية كالربو إضافة إلى الفتق، واصابات الظهر المزمنة.

كانت هنالك محاولات لتحسين واقع الصحة العامة فقد حرصت المؤسسات الدينية، والمدنية كالمستشفيات على عزل المصابين، وتقديم العلاج للمرضى ان امكن. صرفت أموال طائلة في البندقية لعلاج المرضى، وتحصين المدينة، وموانئ الادرياتيك بشكل عام ضد الأمراض. فقد اتخذت الإجراءات ليس منْ أَجل الوقاية من الأمراض التي قد تحملها السفن، فحسب، وانما لتحسين واقع العناية الصحية بشكل عام.

بداية القرن الخامس عشر أصبحت جامعة باداوا في إيطاليا مركزا لدراسة الطب، والتشريح كجزء من مجابهة مشكلة الأمراض المعدية. ان انتشار الطباعة سهّل انتشار المعلومة الطبية من خلال التوزيع الأوسع للمواد الطباعية. مع ذلك بقيت الوصفات الشعبية، والعلاجات الروحانية رائجة، وواسعة الانتشار. في إيطاليا، في كنيسة القديس اوغستين، في سان جيميغنانو هنالك تصوير جصي من عمل بينوزو كوزوللي يظهر فيه سان ساباستيان وهو يحمي المدينة من وباء الطاعون في العام 1464. بقيت هذه المعتقدات مهمة جدا وشكلت جزءًا أساسيا من الممارسات الخاصة ببعض المجتمعات وإحساسهم بالهوية المشتركة.

النظام الإقطاعي

كان النظام السياسي المسيطر، والنسق المجتمعي السائد على مدى القرن الحادي عشر في غرب أوروبا هو نظام الإقطاع. كانت ميزته الأساسية هي العلاقة الشخصية بين مالك الأرض والتابع الإقطاعي، تسلّم التابعون الأراضي مقابل الخدمة العسكرية، وعادة ما كانت تتخذ شكل الفرسان (الخيالة المدرعة). لم تكن الدولة بمعناها اليوم موجودة، ولا مساحة أرض محددة ومتفق عليها تحكمها قوة مستقلة ذات علاقة محددة بمواطنيها. بدلا من ذلك، كانت هنالك سلسلة من الحكام المنفردين وكل منهم مستقل في أراضيه. وعلى الرغم من ذلك فانهم يبدون الولاء والطاعة لملك، أو حاكم آخر. ان دور ملكية الأرض، والخدمة العسكرية استمرت أهميتها للتنظيم السياسي للقرون التالية، وحَتَّى عصر الصناعة، والتحضر، والتجنيد الالزامي، والتأميم التي غيرت وجه القرن التاسع عشر كليا.

القلاع

كانت القلاع الأولى عبارة عن كومة تراب مرتفعة مع الخشب فحس على الرغم من انها كانت تتطلب مدة لبنائها. فأما ان تقام بشكل مرتفع من الأرض من الخشب أو بشكل حلقي. مع مرور الوقت تم تحصين وتقوية هذه القلاع بالحجر مثل برج لندن وقلعة الحصن (حمص) وكانت عصية على النيران والاقتحام من قبل المهاجمين.

انتشار اقتصاد السوق

شهدت أوروبا العصور الوسطى زيادة النشاط التجاري، وكان ذلك بالتوازي مع انتشار العملة، وارتباطها بمعظم مظاهر الحياة، وخاصة أجور اليد العاملة، والإيجارات التي تطلبت سك كميات كبيرة من النقود. تم تطوير أدوات مالية جديدة لتسهيل الضمانات، والاقتراض، ومنها الكمبيالات التجارية التي لعبت دور الوسيلة لتسلّم التجار ضمانات عن الدفع في بلد ما، وبالإمكان تحويلها إلى نقود في بلد آخر. ومكنت في الوقت ذاته من إطلاق قيمة رؤوس الأموال التي ستُستَثمر في المستقبل.

ان ازدهار التجارة، وسوق المال اثر في الواقع، والممارسات الاجتماعية، فقد تطورت الأسواق، والخدمات، والأراضي التجارية. ويلاحظ ان المناطق الساحلية للمحيط الهندي ربطت شرق وجنوب شرق آسيا بجنوب وجنوب غرب آسيا، وصولا إلى شرق أفريقيا، ما جعلها منطقة تجارية مزدهرة، قوية.

الموت الأسود والمجتمع

حملت الطرق التجارية البضائع، لكنها أيضًا كانت مفاصل الالتقاء بالأمراض الانتقالية. ففي القرن الرابع عشر انتشر وباء الطاعون، أو الموت الأسود منذرا بخطورة التبادل البايولوجي وفاعليته. قد يكون الطاعون بدأ في يونان في الصين، ثُمَّ انتقل عبر الصين غربا باتجاه طرق الحرير إلى الشرق الأوسط، وأوروبا. لقد انتشر المرض بواسطة البراغيث الحاملة له التي تعيش على ظهور

الفئران السود، وكذلك عن طريق القمل والبراغيث على جسم الإنسان. في 1345 – 1346 وفي خلال حصار المدينة التجارية المحصنة كافا التي حاليا تعرف بتيوديسا في كريميا، كان المغول يستخدمون المجانيق لرمي الجثث المصابة إلى المدينة لنشر المرض، ما حدا بأهلها إلى الفرار، وعودة المرض إلى أوروبا من جديد.



ثورة المزارعين في العام 1381 في إنكلترا عكست الاستقلالية المتزايدة لجموع المزارعين بعد الموت الأسود

لقد سبب الوباء انخفاضا حادا في التعداد السكاني للعالم ولم يتعافَ التعداد حَتَّى القرن السادس عشر. لقد تفاقمت الأمور سوءًا مع حلول ما يعرف بالموجة الجليدية الصغرى. وارتفعت وفيات أوروبا إلى ثلث السكان، ما ولّد نقصا حادا

في اليد العاملة. أدى هذا إلى تشجيع العبودية في شرق أوروبا حَيْثُ يسري الاسترقاق على أجيال العائلة العاملة في الأرض. وامنت هذه الظاهرة الاعداد الكبيرة من العمالة للزراعة. وقد سدت الثغرة الكبيرة لليد العاملة في مجالات أُخَر في ظل عهود ما قبل انتشار العملة، وانخفاض كفاءة الاقتصاد الزراعي.

ان المحتوى القانوني للسخرة، أو الاسترقاق كان نوعا من الخدمة الشخصية تقدم إلى اللورد مقابل حق زراعة الأرض، وهو نوع من العقود المفتقرة إلى العدالة، وفي الوقت نفسه افتقرت إليها منظومة العبودية. وضعت البنود لتحاكي التعاليم المسيحية.

وفرت شحة اليد العاملة في غرب أوروبا فرصة للمزارعين للإفلات من قيود الاسترقاق. ان محاولة إنكلترا فرض قوانين عمل صارمة على الطبقات الضعيفة أدت إلى ردة فعل انعكست في ثورة المزارعين في العام 1381 (على الرغم من ان الثورة في النهاية لم تنجح). كانت هنالك محددات كثيرة في المجتمعات الريفية، وان انتشار العقل التجاري زاد من الإنتاج الزراعي لرفد الأسواق، ما حقق خطوة متقدمة في إنتاج الطعام، إلى تكثير الأغنام. ولم تكن الخطوة تستهدف توفير اللحوم بقدر ما كانت تستجيب لطلب السوق من الاصواف المهمة لصناعة الملابس التي تطورت بسرعة في شمال إيطاليا، وبلجيكا، خاصة في مدن غينت، وبيروج، وبالتدريج وصلت إلى إنكلترا. ان أزمة العصور الوسطى المتاخرة الأوروبية اثرت في الكنيسة. فنشبت النزاعات حول اختيار البابا، وأدى صراع القوى إلى

انتقال البابوية من روما إلى آفيكنون (1305 – 77)، والانشقاق العظيم (1378 – 1417) في العالم المسيحي الغربي، والمناطق التي ابدت ولاءاتها لبابوات متنافسين في روما وافكينون. هذه الأحـداث وضعت انساق السلطة المعتمدة، واطاعتها على المحك، ما عزّز من الوضع المتشظي للمنطقة.

الفكر الاسترالآسيوي

بقيت أستراليا معزولة عن اوراسيا، وتطوراتها التجارية والتكنولوجية، ومعتقداتها الدينية، وقد جسدت المصورات الخاصة بالسكان الاصليين قصص الأجداد، وعلاقاتهم التقليدية مع البيئة المحيطة على الرغم من ان الرمزية فيها تستعصي على التفسير في الكثير من الاحيان. ظهر هذا الفن في الكثير من الوسائط ومنها المدافن الترابية المزخرفة، والرسومات، والالوان على لحاء الأشجار، ورسومات الصخور، وحفرياتها. ان طبيعة المجتمعات الاصلية، وتنوع المواد البيئية شجعا على التعبير بوسائل شتى. كانت الأعمال تنتج من قبل الناس المحليين، وإليهم، لذا كانت المعاني المحلية واضحة بينهم. كانت رسومات الصخور، وأحفوراتها تصور كائنات أسطورية بحسب نوع الحجر. خلقت هذه الأحجار حساً قدسيًا ينتمي إلى طبيعة المكان، وينساب عبر الأجيال، فكانت تشكيلات الحجر، وحفر المياه ترى على انها، بالإضافة إلى وجودها الفيزياوي، كيانات خارقة للطبيعة،

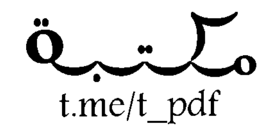
وتُرسّخ فكرةَ رحيل الأجداد، وحركتهم عبر الأحلام (كائنات سلفية)، وبذلك جمعوا الزمن بماضيه، وحاضره.

في نيوزيلندة كانت رواية القصص (الحكواتي) من اقوى التقاليد التي تمتع بها شعب الالماوري، وبنيت القصص على استيعاب الجغرافية، والمناظر الطبيعية، فكان العالم المروي يوثق الرحلات، والأسماء، والمناسبات، وكانت الحكايا المتوارثة هي السجل التوثيقي، ووسيلة التواصل، واكتساب المعلومات والتحليل لهذه الشعوب. ركزت الميثولوجيا لشعب ماوري على نصف الاله ماوي الذي كان سبب وجود جزر نيوزيلندة. أما قوارب الكانو للمستوطنين الأوائل فقد كانت ذوات دلالة أكبر عبر تعقب الأنساب (جينولوجيا) لمن وصل إليها انذاك. كان الانتساب لماوي امرًا مهمًا، إِذ كانت القبائل تتنازع نيابة عن الالهة فتتفوق إحداها على الأخرى. وبذلك يحصل إندماج روحي بين الفاتحين، والأراضي التي يستولون عليها.

رحالة بولينيسيا

شمال نيوزيلندة، وصل السلف الأول للحضارة البولينيسية جنوب المحيط الهادئ منطقة فيجي - ساموا حوالي 1000 ق.م. استوطن المستعمرون البولينيسيون جميع جزر الهادئ باستخدام مراكب الكانو ثنائية البدن حَتَّى وصلوا إلى جزيرة ايستر في العام 300، وجزر الهاواي حوالي العام 400، ونيوزيلندة حوالي العام 1200. كان هذا الإنجاز فذاً. استخدم

البحارة البولينيسيون البوصلة النجمية لتحديد الاتجاهات، واستطاعوا قراءة الانساق الموجية المتسببة عن هذه الجزر. واستخدموا أيضًا اللوائح المصنوعة من العيدان (خاصة عروق سعفات نخيل جوز الهند)، والصدف.



الفصل الخامس

عصر النهضة والتنوير 1500 - 1750

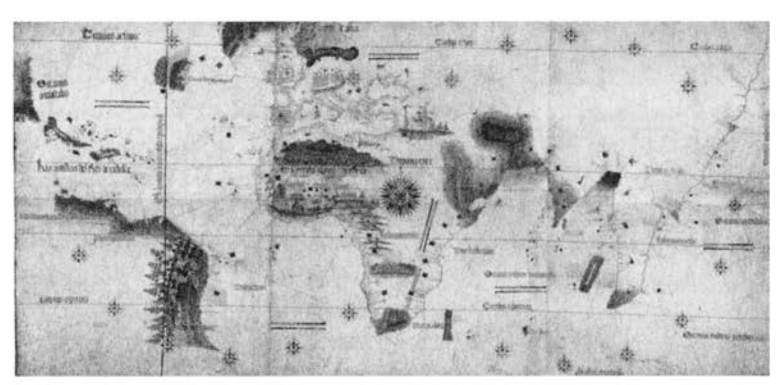
عرفت القرون الممتدة من الخامس عشر حَتَّى الثامن عشر بالعصور الحديثة المبكرة. قادت رحلات الاستكشاف العالمية والنهضة والإصلاح إلى عالم وصلت فيه قوى أوروبا الغربية إلى القارة الأوروبية كلها مع حلول 1800 إلّا أن الحروب الدائمة في موطنها خربت هذا التقدم. في أماكن أخرى أُسّست دول واسعة الأراضي كالموغال في الهند، والمانتشو في الصين بينما نهشت إمبراطوريات الأمريكتين العظيمة الأمراضُ والأسلحة الأجنبية.

استكشاف البحار

وصلت السفن الصينية إلى الجزء الشرقي من المحيط الهندي في خلال فترة حكم سلالة الهان الغربية (206 - 25ق.م). مع حلول القرن الحادي عشر كانوا يقومون بالرحلات ذهابًا وإيابًا عبر جنوبي بحر الصين إلى جنوب شرق آسيا بشكل متكرر. لقد كان للصين السبق في رسم الخرائط البحرية أواخر القرن الثالث عشر. مع مطلع القرن الخامس عشر، قاد زهينغ هي سلسلة مهمة من الرحلات البحرية لاستكشاف البحر الهندي. وكانت مشابهة لما يعرف اليوم ببرامج الفضاء من حَيْثُ المستوى والتصور فكان لها صيتُها، ويلفها الفضول. ان الإنجازات التكنولوجية المتحققة

رافقت المكتسبات العسكرية والسياسية. كان الهدف من هذا التوجه البحري توسيع نطاق الهيمنة المهم من وجهة نظر الصين لمكانتها العالمية. بالإضافة إلى إبحار زهينغ على طول السواحل الشمالية للمحيط الهندي، أبحر وصولا إلى ساحل شرقي أفريقيا.

اعتمدت الرحلات البحرية بشكل كبير على أولويات سياسية أكثر من التجارية. في ثلاثينيات القرن الخامس عشر تم إصدار الامر من قبل حكم آل مينغ لإنهاء الرحلات البحرية نتيجة تغير إستراتيجية الصين للتركيز على تحدي مسك الأرض من المغول مع التعامل مع التغيرات السياسية داخل الصين، وتفاقم المشاكل الديموغرافية والمالية.



خارطة عالم كانتينو التي تبين اكتشافات البرتغاليين في المحيطين الاطلنطي والهندي



الادمـيرال زهينغ هِـي قـاد الاساطيل العظمى لكنوز الصين في رحلات استكشاف بحرية ولأغراض دبلوماسية عبر المحيط الهندي من 1405 - 1433

لم تعد الصين ثانية لهذه الرحلات، ولم تُظهر الخرائط والكتب الصينية إلّا القليل من المعارف الخاصة بالعالم العابر للمحيط.

لعبت العوامل السياسية دورا مهما في رحلات الاستكشاف التي قامت بها البرتغال، ومِنْ ثَمَّ أسبانيا في القرن الخامس عشر. لم تكن غايتهم الرئيسية العثور على الثروات، خاصة الذهب، وانما التنافس الذي اشتدّ مع المسلمين. كان كريستوفر كولومبوس يسعى إلى جمع أموال طائلة لاستعادة الأرض المقدسة، لذا ابحر غربا في العام 1492 لاكتشاف طريق إلى آسيا. وبدلا من ذلك وجد الهند الغربية.

التف بارثولوميو دياز في العام 1488 حول رأس الرجاء الصالح ممثلا البرتغال إِذ اتبع طريقا جديدا في المحيط الهندي لتفادي الطريق الذي يسيطر عليه المسلمون في مصر، والبحر الاحمر. وصل زميله فاسكو دي كأما إلى كلكوتا في العام 1498 نهاية الرحلة البحرية الخالصة الأولى من نوعها من أوروبا إلى الهند. واستطاعت مدافع البرتغاليين الثقيلة التغلب على السفن الهندية.

القرصنة

تنشط القرصنة حيثما وجدت دولة ضعيفة كما هو الحال في المياه غير الإقليمية لجنوب شرق آسيا. فقد كان القراصنة يستوفون الضرائب على التجارة المحلية واستفادوا بشكل أكبر من نمو تجارة المسافات البعيدة. استخدمت الدول السفن الحربية للتعامل مع ابتزازهم ولمهاجمة مقراتهم البرية. أكبر قوة بحرية، بريطانيا،

وضعت حدا للقرصنة في القرن الثامن عشر في البحر الكاريبي في خمسينيات القرن الثامن عشر في المياه الهندية ضد قراصنة ماراثا وفي القرن التاسع عشر ضد قراصنة المياه غير الإقليمية في جنوب شرق وشرق آسيا خاصة مياه بورنيو. أما القرصان البارز (اللحية السوداء)، ادوارد تيتش، وهو قرصان إنكليزي حاصر تشارلستون فقد قتل في 1718 وتحول إلى رمز رومانسي.

استمر البرتغاليون بالإبحار من المحيط الهندي إلى الصين واليابان، وقد انشأوا في طريقهم عددا من القواعد مثل ملقا التي احتلت في العام 1511، وأصبحت هذه القواعد نقاطا مفتاحية في إمبراطورية التجارة البحرية الجديدة التي كان مركزها في (غوا) في الهند. أسس البرتغاليون، أيضًا، قواعد تجارية في ماكاو الصين، وناكازاكي في اليابان.

بدأت أول رحلة حول العالم من قبل فيرديناند ماجيللان 1519 - 22، وكانت أيضًا أول رحلة تدور حول رأس أمريكا الجنوبية، وأول رحلة عبور مسجلة للهادئ، على الرغم من ان البولينيسيين كانوا اصحاب رحلات بحرية طويلة عبر المحيط من قبل. استطاع الأوروبيون تدريجيا ادراك حجم العالم، وشكله، وتثبيتهما بعد التخلص من سلطة الخرائط الكلاسيكية واصحاب الجغرافية القدامى، ما وجه ضربة كبيرة للاعتماد على المصادر التقليدية للمعلومات.

ان توجيه أوروبا الغربية نفوذها إلى العالم الجديد ضمن استغلالها لخيراته الثمينة، خاصة بعد التغلب على إمبراطوريات

سكانه الاصليين، ما سيوفر السيولة، ويمول التجارة مع آسيا. على الرغم من أن أسبانيا استفادت كثيرا من الامر، إذ حصلت على فضة الكسيك، وجبل الفضة في بوتوسي في بوليفيا التي جاءت من مناجم تابعة لإمبراطورية أسبانيا، استفاد الذين يتاجرون مع أسبانيا خاصة إنكلترا، وفرنسا، بشكل كبير. مكنتهم هذه الحال من التعهد بتمويل موازنات تجارة سالبة مع آسيا لاستيراد البضائع من هناك.

التنقل: البحر

كانت السفن الخشبية الشراعية أو قوارب التجديف أو السفن التي استفادت من القوتين معا هي الوسيلة الوحيدة والاغلى والاقوى والأكثر تقدما في تلك الفترة. ان بناء السفن الضخمة كان من أكبر الصناعات حينها. ان بناء الهياكل التقنية التي سادت مُنذ أواخر القرن الخامس عشر، ساهم بشكل فاعل في تطوير أبدان اقوى للسفن الأوروبية مقارنة بنظيراتها الهندية منْ أَجل حمل المدافع الثقيلة – ان التطورات الحاصلة بمنظومة حبال السفن مكنتها من اكتساب سرعة أكبر وزادت من كفاءة المناورة ومجاراة الرياح. ازداد عدد الصواري، ما وسع الخيارات لمنظومة الحبال في السفن وأدى إلى زيادة هامش الأمان والسلامة في حال فقدان إحدى الصواري أو عطلها. بدأ استخدام الغرب للبوصلة في خلال الإبحار في القرن الثاني عشر.

تم تسخير الرياضيات لإنتاج الخرائط في عصر الاستكشافات الأوروبية خاصة مع استخدام إسقاط مركاتور الذي ظهر في 1569. توسعت الطباعة وانتشرت ليس على صعيد إنتاج الخرائط فحسب لكن تضمنت أيضًا تنظيم ونشر المعارف والتقنيات المختلفة وظهرت الاطروحات البحرية مثل (الاخطاء الأكيدة في الإبحار) لادوارد رايت في 1599 و(الإبحار الحسابي) لتوماس اديسون في 1625.

فتح الأمريكتين

لقد غيّر غزو أسبانيا شعب الازتيك في المكسيك في الأعوام 1519 – 21، وشعب الاينكا في بيرو من 1531 – 1535 شكلَ العالم الجديد، على الرغم من ان الأسبان لم يستغلوا الثروات الموجودة هناك منْ أَجل حماية مصالحهم في أوروبا. لم يكن الغزو الأسباني امرا يتعلق بالنجاح العسكري فحسب. ففي التغلب على الازتك، وعد التفوقُ العسكري للأسبان في المعركة، والذي يدين بالكثير من هذا التفوق إلى خوذ الأسبان، وسيوفهم المصنوعة من الفولاذ، الذين تحالفوا معهم بفرص كبيرة لتحقيق النصر، لكن رغبة السكان المحليين، شعب التلاكسكالان خاصّة، في التعاون مع الأسبان عكسَ، بشكل واضح، فشلَ حكم الازتك في تمثيل هذه الشعوب.

يعيد القرن الأول قبل الميلاد نفسه، حَيْثُ المعارك الدائرة بين شعوب العصر الحديدي، فكلا شعبي الازتك، والانكا

افتقر إلى الأسلحة النارية، والخيول، واعتمدا على الخشب، والصخور لا الحديد، والفولاذ. فلا تكافؤ عند التقاء قاذفات الرعاة، والمضارب الخشبية، وسكاكين حجر السج البركاني مع الأسلحة النارية. كان لهيرنان كورتيز حوالي 500 جندي أسباني و14 مدفعًا صغيرًا و16 حصانا عندما وطِئت قدماه فيرا كروز في المكسيك في العام 1519. أما فرانسيسكو بيزارو، فقد رافقه 168 أوروبيا وأربعة مدافع و67 حصانا عندما هاجم شعب الاينكا.

الأمراض التي حملها الغزاة فتكت بالشعوب الأصيلة التي لم تتعرض لمثل هذه الأمراض سابقا، ولم يتولد عندها أي شكل من أشكال المناعة، خاصة الجدري الذي حمله الأسبان. لقد أهلك المرض سكان البحر الكاريبي إضافة إلى شعب الازتيك حَيْثُ قضى على نصف تعداد الاخير. ان تكديس الأسرى والعبيد في أماكن ضيقة كالاراواكيين الذين جيء بهم من الباهاما للعمل في مناجم الذهب، فاقم من وطأة الأمراض وفتكها.

لعبت القيادة الضعيفة دورا كبيرا في هزيمة الازتيك. فقد كان مونتيزوما، القائد الازتي المضطرب، مأخوذا بكورتيز، وكان هاجس كون الاخير من سلالة الالهة أو مبعوثا من قوة ملكية، شغله الشاغل، لذا لم يتخذ أي إجراء صارم ضده. في التراث الازتي كان هنالك تداخل كبير بين البشر والالهة. وصل كورتيز عاصمة الازتيك، تينوتشتيتلان وسط المكسيك دون مواجهة أي مقاومة مُنذ نزوله الساحل. قتل مونتيزوما في نزاع لاحق في

العام 1520 أما اخوه المفعم بالحيوية، كويتلاواك، الذي خلفه فقد مات بالجدري في السنة ذاتها.



هيرنان كورتيز، مع قوة قوامها 500 جندي فقط ومساعدة الحلفاء المحليين، هزم قوات الازتك التي تفوق عددهم كثيرا كما مبين في صحيفة تلاكسكالا

في الوقت الذي وصل فيه الأسبان إلى بيرو، كانت إمبراطورية الانكا تتمزق بسبب خلاف الاخوين، الحاكم اتاهوالبا ونصف شقيقه وإسكار، على الزعامة. هذا الخلاف أضعف الإمبراطورية واثر في ردة الفعل حيال الهجوم الأسباني. فحالما تم أسر اتاهوالبا من قبل الأسبان استُخدِم ضد اخيه وإسكار قبل ان يتم قتله.

تبع الغزو الأسباني قدوم المستعمرين وماشيتهم، بقيادة المبشرين المسيحيين ما أدى إلى تدمير الأعراف الدينية المنافسة من خلال تقديمهم لهيكليات الإدارة، ومسك الأراضي. ومع وجود درجة من التقبل الأسباني للوجهاء المحليين، والممارسات الدينية المادية المحلية، ووجود نوع من التكيف المحلي مع الأسبان، نتيجة لكل ذلك، وبعد فترة من التدمير الوحشي، أعطيت بعض الطوائف الدينية مكانا داخل المسيحية.

كان الانطباع السائد حول المجتمعات الأصيلة في الأمريكتين بانها فظة، وبدائية، وغير متحضرة وهذا ما شجع ليس على الحرب الشاملة عليهم، والقسوة المتناهية من جانب الغزاة فحسب، كما حصل في المكسيك، بل أيضًا على محو المظاهر الرئيسية، المميزة لمجتمعاتهم. تم تدمير مواقع السكان الاصليين الدينية، واستئصال الممارسات التي عُدَّت غير مقبولة. بينما تضمنت العبادة المسيحية في أمريكا الأسبانية بعض عناصر التسوية لتكون المسيحية هي الدين الوحيد المقبول لديهم.

سبب الدين توترا عبر مناطق واسعة من اوراسيا. على الرغم من ان الفتوحات التي قام بها العثمانيون ومغول الهند (موغال) أو المانتشو لم تُنهِ الممارسات الدينية. في الأمريكتين لم يستطع الأسبان، ومن خلفهم أبدًا من التفوق عدديا على السكان الاصليين، أو خليط المجموعة السكانية. على الرغم من قيام الأسبان بحرب لا هوادة فيها على عبدة الالهة، والكفار، واستغلوا نفوذهم على الطبقة العاملة لاضعاف مكانة الطبقة

النبيلة للسكان الاصليين إذ تركوا مساحات واسعة من الأراضي بيد السكان الموالين لهم. وقد تكرر هذا النسق مع سيطرة المغول الهنود (الموغال) على شمالي الهند.



توباك آمارو، الذي حكم من 1571 - 2، آخر ملوك الاينكا، وهو ابن مانكو أينكا الذي قاد ثورة كبرى ضد الحكم الأسباني في البيرو في 1536

لقد عَدَّ الأسبان التبشير علامة للتفوق، وسببا عادلا لغزواتهم إضافة إلى كونه سببًا لتأمين السيطرة. نتيجة لذلك هوجمت الثقافات الأصيلة، ودمرت بشكل فاق كثيرا ما حصل في الهند على سبيل المثال، وان تفكك هذه المجتمعات مع ما رافقها من موجات الأمراض أدى إلى اندثار حضاراتها. الصورة الأخيرة في هذه الحقبة هو نسق الفتح الشامل المستوحى من حروب الاسترداد (ريكونكويستا).

ان قساوة الحكم الأسباني عززتها المظاهر الرئيسية لتاريخ الغرب، والثقافة العامة التي سادت القرن السادس عشر. وقد تجسدت سلوكيات الأسبان، ومواقفهم، من خلال الاعتداء على المناطق المسيحية من قبل التيار الإسلامي الجديد الذي اتخذ شكل الإمبراطورية العثمانية (التي تضمن نهجها استعباد المسيحيين)، وارتفاع العنف في العالم المسيحي بسبب حركات الإصلاح.

ان عدم الرضا عن القوى المحلية ادّى إلى الانهيار الاسرع من المتوقع لإمبراطوريتي الازتيك والاينكا، لكن الأسبان وجدوا ان تضامنهم مع حكمهم لم يأت بسهولة. في بيرو، اندلعت ثورة كبرى بعد الفتح بقليل. مانكو أينكا، الاخ الاصغر لوإسكار الذي عَدَّه الأسبان دمية بيدهم، افلت من سجن بيزارو، وجمع جيشا من حوالي 20 ألف مقاتل في العام 1536. عاشت دولة التمرد في ادغال ويلكابامبا حَتَّى موت خليفة مانكو، توباك ي مارو في العام 1572.

في أماكن أخرى من الأمريكينتين الجنوبية، والشمالية، واجه الأسبان معارضة من السكان الاصليين، إذ كانت هنالك اختلافات واسعة في البيئة، والتطور الاقتصادي، والانساق المجتمعية، والنظم السياسية. بعض القبائل كانت متقدمة مثل المويسكا التي اشتهرت باستخراج الزمرد واستوطنت مدخل الأراضي المرتفعة لكولومبيا، وقد احتلهم الأسبان بعد حملة ضارية في العام 1536. مع ذلك، ومع أخذ وعورة الأراضي بنظر الاعتبار، كانت المعارضة المحلية غير قابلة للتجاهل.

ان مدى الإمبراطورية الأسبانية، وطبيعتها عكسا قوة المقاومة المحلية. ففي وسط تشيلي، حَيْثُ لا وجود للولاء، أو الدعم المحلي، واجه الأسبان مخاطر كبيرة، وأُجبِروا على التقهقر إلى جنوب سنترال فِإلي في الأعوام 1598 - 1604: بعد ذلك أصبح نهر بيو بيو الحد الأقصى الذى تمتع وراءه شعب الاوروكان باستقلاليته.

شمال المكسيك، استخدم بدو التيتيميكا مهارتهم بالقوس ليحولوا منطقتهم الوعرة إلى مساحة قاتلة للخيالة الأسبان. بدورهم قام الأسبان بخلق تحالفات مع السكان المحليين، فانتقل شكل الصراع إلى مستوى النزاع بين البدو، والسكان المستقرين. لقد استحوذ السكان الاصليون على الخيل الأسبانية، واستخدموها لتوسيع نطاق حركتهم. في هذه الأثناء خفف الأسبان من سياساتهم العدوانية، ومنها غزوات الاسترقاق. فعوضا عن تلك السياسات لجأوا إلى رشوة اعدائهم بالهدايا، ورافق ذلك

التبشير بالمسيحية لتخفيف التوتر. نتيجة لهذه التوجهات وصل الطرفان إلى منطقة وسطٍ سادت فيها التسوية أكثر من الاقتتال. شمال المكسيك، اتاحت التغيرات في سياسة الأسبان الفرصة لزيادة المستوطنات، وإقامة الحصون.



حملات التنقيب لفرناندو دي سوتو في منطقة المسيسبي 1539 - 42، جاءت بالاوبئة الفتاكة إلى سكان المنطقة الأصليين

شجعت الاشاعات القائلة بوجود الذهب، والفضة شمال المكسيك الأسبانَ على إقامة حملات في أراضي وسط أمريكا كالتي قادها فرانسيسكو فاسكيز دي كورونادو التي تعرف اليوم بنيو مكسيكو ثُمَّ إلى السهل العظيم في العام 1540. لقد اثبتت الاشاعات عدم صحتها فلم تُضاهِ، أو حَتَّى تُجارِ أي منطقة أخرى خيرات المكسيك. لا يوجد ما يوثق حملات هيرناندو دي سوتو الذي نهب جنوب المسيسبي والأراضي المجاورة بين

الأعوام 1539 - 1542. في العام 1541 تغلب على التشوكتاو في موبييل (سلما والاباما) بسبب افتقارهم إلى الخيل، وكانت هذه هي نقطة الغلبة للأسبان الذين تحركوا بسهولة في الأماكن المفتوحة. بعد موت سوتو، تقدم دي موسكوزو إلى ما يعرف اليوم بشرقي تكساس بين عامي 1542 - 43. ان التعافي من الأوبئة التي رافقت هذه الحملات ازداد صعوبة في ظل سياسات المستعمرين وممارساتهم باعتمادهم على تحشيد اليد العاملة لزراعة الأراضي، والعمل في المناجم كحجر الأساس لقوتهم الاقتصادية. ولمعالجة الخسارة جراء الأوبئة كانوا يلجأون إلى حلول وحشية، كشنّ الغارات خارج أراضي الاستعمار الأسباني، واسترقاق الأجساد العفيّة من السكان الأصليين لهندوراس، ونيكاراغوا في القرن السادس عشر.

شكسبير والأميركتان

كان الإنكليز أيضًا يؤسسون المستعمرات. وكان أحد هذه الأحداث الكبرى في حياة شكسبير (1564 - 1616) هو إقامة المستعمرة الإنكليزية في العالم الجديد في فيرجينيا واسموها على اسم اليزابيث الأولى في 1607. كل من فيرجينيا وبرمودا قدمت من خلال مسرحيته العاصفة (قدمت لأول مرة في المحكمة الملكية في 1611) لقد جسد شكسبير ونقل حس نشر المعرفة كما في الليلة الثانية عشرة (1602) حين ذكرت ماريا مالفوليو المخدوع (ان ابتسامته ترسم على وجهه خطوطا أكثر من خارطة

العالم الجديد مع تضمين الانديز!) وفي مسرحيته: هنري الثامن، يعلق شكسبير الذي وصف دهشة وصول السكان الأصليين إلى لندن: «هل وصلنا هندي غريب مع اداته العظيمة (قضيبه) إلى المحكمة لتحاصرنا النساء حينئذ؟ فكان شكسبير يطرح التساؤلات اللندنية بشكل روائي. في العاصفة، يقوم ترينكيولو بعرض كاليبان، من سكان الجزر، للعامة كمصدر للتربّح في إنكلترا: لا يوجد احمق هناك إلّا ويعطي قطعة فضة: هذا الوحش سيغنيني هناك، أي ومخلوق متوحش غريب يصنع ثروة هناك في الوقت الذي لا يرفعون إصبعا تافهة لإعانة متسول سيرفعون عشرًا لرؤية هندي ميت » من مسرحية العاصفة الفصل الثاني المشهد الثاني لشيكسبير.

ان بيع العبيد سبّبَ اضطرابا في المجتمعات المحلية الميّالة إلى التنازع، وشنّ الغارات منْ أَجل الحصول على المزيد من العبيد. لقد اثرت القوانين الملكية التي تخضع لها الأراضي المسيطر عليها من قبل الأسبان، في القوة المحلية العاملة، إِذ تعاملت مع السكان الأصليين على انهم أفراد جاهزون للتحول إلى المسيحية، بدلا من استرقاقهم. في العام 1542، صدر القانون الجديد بحق الهنود الأصليين، الذي أنهي عصر عبوديتهم. هذا القانون اطلق ثورة بين الأسبان في بيرو، وتم تجاهلها مرارا من قبل المسؤولين المحليين، وأصحاب الأراضي. على الرغم من ذلك بقيت ممارسات تجسد العبودية على أرض الواقع، بينها النظام الإقطاعي الذي يربط جميع أفراد العائلة من السكان الاصليين بالعمل في أرض يملكها

المستعمرون، والهجرة الإجبارية التي يعمل بموجبها جزء من ذكور الشريحة السكانية بعيدا عن ديارهم.

على الرغم من أهمية العبيد من السكان الأصليين في المناطق المتاخمة للمستعمرات، كما هو الحال شمالي المكسيك، إلّا أن تكلفتهم، وإيجاد فرص أخرى ساهما باستبدالهم عموما بالعبيد الذين يؤتى بهم من غرب أفريقيا، الذين كانوا يُجلَبون أولاً عن طريق أسبانيا إلى أمريكا الأسبانية قبل ظهور إجازة شحنهم المباشر في العام 1518. ان تكاليف الرحلة تعني انهم أغلى ثمنا من اقرانهم الأصليين، لذا استُخدموا في البيوت كنوع من الرق المرفّه الدال على تكلفتهم.

مع انتصاف القرن السادس عشر ازدادت أهمية أفريقيا كمورد للعبيد. يعود جزء من ذلك إلى الاعتقاد بان الافارقة يتمتعون بقوة جسدية تفوق اقرانهم الأصليين، ما ضاعف اعداد الافارقة المرحّلين كعبيد في خلال القرن التالي. ونتيجة لكونهم أغلى ثمنا فقد تم استخدامهم أيضًا لتسوية الديون.

ازداد النفوذ الأسباني خارج الأميركتين. أسسوا قاعدة لهم في جزيرة سيبو في الفلبين في العام 1565. تبعتها أخرى في مانيلا. وقد سميت سلسلة الجزر بعد فيليب الثاني حاكم أسبانيا (1556 – 1598) وبذلك أصبح أول حاكم لإمبراطورية لا تغيب عنها الشمس.

خيرات غيرت العالم: السكر

بالنسبة لثقافة بلا حلويات، اثبت السكر بأنه مادة قابلة للإدمان وان زراعته شاقة تتطلب بيئة معينة من حرارة ورطوبة ولذا نشطت زراعة قصب السكر في المناطق المدارية الحارة. لقد أصبح عاملا أساسيا في تشجيع تجارة العبيد والفضل يعود إلى تأسيس الرق الزراعي على جزيرة ماديرا في الأطلسي حَيْثُ انطلقت المستعمرة البرتغالية في 1424، من هناك، انتشر اقتصاد السكر إلى البرازيل مع تأسيس مستعمرة برتغالية هناك والتي كان لها 192 طاحونة للسكر حوالي 1600 ثُمَّ انتقلت إلى غرب الانديز. أما في جامايكا التي استولى عليها الإنكليز من الأسبان، فقد كان هنالك 246 مزرعة للسكر في 1684.

كانت تجارة الرقيق في غرب أفريقيا تزود الاقتصاد أعلاه باليد العاملة المستعبدة وكانت تجارة رائجة أصلا في ظل طلب العبيد من قبل العالم الإسلامي. ان تجارة العبيد من أفريقيا غيرت من ملامح الساحل الشرقي للعالم الجديد من النواحي الديموغرافية والاقتصادية والسياسية وطبيعة المجتمعات. حوالي 12.5 مليون من العبيد نقلوا من أفريقيا إلى الأميركتين إلّا أن الأمراض فتكت بالكثير منهم فوصل حوالي 10.7 مليون فقط. في ظل ظروف عمل غاية في القسوة، عمل معظمهم في الأراضي الزراعية. كان السكر هو أبرز المنتجات الزراعية الرائجة تجاريا ونشطت زراعته ولكن مواد أخرى مثل التبغ والقهوة والشوكولا نشطت أيضًا بسبب السكر. استجاب الإنتاج سريعا للطلب المتزايد

على السكر كمادة للتحلية عوضا عن العسلمما وسع الاستثمار بهذا المجال وبالتالي انخفض سعره في القرن السابع عشر. ان إضافة السكر للمشروبات أدى إلى استساغة الفم الأوروبي لها وروج لانتشارها. تغير طعم الشوكولا وذهبت مرارته فانتشر كمشروب مفضل في أوروبا، وشجع في الوقت ذاته زيادة زراعة وإنتاج مادته الأساسية (الكاكاو). وبزيادة الطلب على مشروبات الكافايين كالشاي القادم من الصين أيضًا، ازداد الطلب على السكر. وأصبحت اباريق الشاي منتشرة في عامة البيوت. توسع استهلاك السكر أيضًا كمادة أساس لتصنيع المربيات والكيك والبسكت والأدوية.

الإمبراطورية العثمانية

في الوقت الذي انشغل فيه الأوروبيون بتأسيس إمبراطوريات بحرية، كانت إمبراطوريات البر تتسع في العالم غير الأوروبي. أسس العثمانيون، وهم من الشعب، والأسرة الحاكمة للأتراك المسلمين، محافظية حدودية في الاناضول نهاية القرن الثالث عشر، واتسعت نتيجة الحروب المتتابعة مع البيزنطيين التي ضعفت بدورها بسبب الحملات الصليبية، وسيطرتها على القسطنطينية في خلال الحملة الرابعة في العام 1204. وبعد ان أصبح للعثمانيين موطئ قدم في أوروبا في غاليبولي العام 1354، غزوا البلقان في القرنين الرابع عشر، والخامس عشر، وقد انتصروا على صرب كوسوفو في العام 1389. استفاد العثمانيون من ضعف الدول

التي غُزيَت من قبل البيزنطيين، والمسيحيين. لقد توقف توسع العثمانيين فترة وجيزة مع غزو تيمورلنك في العام 1402 لكنه سرعان ما استعاد حيويته عندما سيطر السلطان محمد الثاني على القسطنطينية في العام 1453.



سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين الاتراك أشر على انتقال جذري في قوى المتوسط

جمع العثمانيون بين تكتيك خفة حركة الخيالة، والمشاة الفاعلة، وعززتها مع إمكانية الأسلحة النارية. مع حلول بداية القرن السادس عشر، نجح العثمانيون في التحول من شعب قبلي إلى قوة إمبراطورية. في العام 1514 انتصر السلطان العثماني سليم (المروّع) (حكم بين الأعوام 1512 – 20) على الصفويين (الذين فتحوا فارس مؤخرا) وفي العامين 1516 – 1517 انتصروا على

المماليك وهيمنوا على سوريا، ولبنان، وإسرائيل، وفلسطين، ومصر، ومن هناك بسط العثمانيون نفوذهم على شمال أفريقيا، نزولا مع البحر الأحمر إلى عدن.

ركّز ابن سليم، سليمان القانوني (حكم بين الأعوام 1520 - 66)، على أوروبا مُنذ العام 1520 وصاعدا، فسيطر على بلغراد في العام 1521، وعلى رودس في العام، 1522 وهزم الهنغاريين، في العام 1526 توجه لمحاصرة فينا لكنه فشل في العام 1529. ان توجه سليمان التالي لهزيمة الصفويين، وانتزاع العراق، منهم خفّف من ضغطه على أوروبا المسيحية.

علاوة على ذلك اثبت العالم المسيحي قدرته على الدفاع عهن بعض مواقعه المهمة من هجوم العثمانيين مثل مالطة في العام 1565.

وبناءً على موقع القسطنطينية كعاصمة بحرية، طور العثمانيون قدراتهم القتالية في هذا المجال. وصلت القوات البحرية العثمانية إلى المحيط الهندي، والخليج الفارسي، لكنها بقيت مفتقرة لإمكانيات غزو الأطلسي. كانت أشهر المعارك البحرية معركة ليبانت مع تحالف أوروبي من الأسبان والبندقيين، في العام 1571 وفيها سحقت القوات العثمانية بأساطيلهم ولكن ذلك لم يعنِ ابدًا ضآلة تقنيات العثمانيين البحرية. اعتمد النظام العثماني على العبيد لاستخدام الاساطيل، وتحريكها، وفي خلق قوة المشاة النخبوية (الإنكشارية).

لم يستطع العثمانيون الحفاظ على سيطرتهم في القرن السابع عشر. فحصار فينا الثاني في العام 1683 انتهى بهزيمة كبيرة، وبعدها أُخرِجوا من هنغاريا. حرب جديدة اندلعت في العام 1717 انتهت بفقدان بلغراد، على الرغم من ان العثمانيين استعادوا عافيتهم في العام 1739، وتميزوا بالجَلَد، والمطاولة إِذ هزموا بيتر العظيم ملك روسيا عند نهر بروث في العام 1711، واستعادة جنوب اليونان من البندقيين في العام 1715. في جميع الأحوال اثبتت روسيا قوتها، وكانت تشكّل ضغطا لا يستهان به بين الأعوام 1730 – 1812. غزت روسيا السواحل الشمالية للبحر الأسود، وتقدمت جنوب الدانوب.

أفريقيا

انحسر التأثير الاستعماري الأوروبي في أفريقيا في خلال القرون 16، و17، و18. وقد عانت البرتغال، القوة الأوروبية الفاعلة، هزيمة كبرى في المغرب في العام 1578، ولم تستطع التقدم أكثر داخل أراضي الموزمبيق، وصعب عليها التوغل إلى انغولا. وعلى العكس من ذلك، كان الضغط الإسلامي طاغيا. في العام 1591، دمرت قوة مغربية عبرت الصحراء الكبرى امبراطوريةَ السونغاي في وادي النيجر في تونديبي. وبالتوجه أكثر نحو الشرق، كان العثمانيون يساندون سلطنة (عدل) في مسعاهم للسيطرة على المملكة المسيحية في إثيوبيا. على أي حال

فان الملك سيرشي دنكل الذي حكم إثيوبيا مُنذ العام 1562 وسّع ملكَه من خلال هزيمة (عدل)، والعثمانيين.

شهدت أفريقيا السوداء نزاعات مستمرة أنتجت عبيدا للمنتصرين. غالبا ما ارتبطت المعارك بحالات القحط، والمجاعة على الرغم من ان تقديم الذرة الصفراء، والمنهوت (نبات استوائي)، والفستق من الأمريكتين ساعد على زيادة عدد السكان في أفريقيا، كما فعلت البطاطا في أوروبا. في أفريقيا، كان الاستحواذ على العبيد الوسيلة الفاعلة لاضعاف الخصوم، بينما صار ارتفاع عدد العبيد عاملا في خفض قيمتهم التجارية. ما يعني ان شراءهم من قبل الأوروبيين لتغطية متطلبات الإنتاج الاقتصادي في العالم الجديد بات امرًا مناسبًا جدا لهم. ان طبيعة الزراعة الأفريقية المعتمدة على المجاريف قلّلت أكثر من تكلفة العبيد إِذ كان مستوى الزراعة متدنيًا بسبب بدائيتها لذا لم تكن مصدرا اقتصاديا ذا منفعة كبيرة.

في القرن السابع عشر، شهدت آلة الحرب الأفريقية تحولا بسبب انتشار الأسلحة النارية، وسيادتها على المواجهة الشخصية للمقاتلين. اتسعت الجيوش. ولم تعتمد فرصة الأوروبيين في اغتنام العبيد على قوتهم العسكرية المتزايدة، وانما استندت إلى تفوقهم التجاري، وإمكانياتهم الشرائية المستندة إلى الوضع الاقتصادي المتفوق للزراعة في الأمريكتين، والطبيعة المتكاملة لاقتصاد الأطلسي.

عصر النهضة

لقرون طويلة، كان التعلم والثقافة في العالم المسيحي مرتبطيْن بالأديرة ومشغوليْن بقضايا اللاهوت. كان الجزء الأكبر من الجهد العقلي ينصب حول قضايا التعاليم الدينية، وحَتَّى فنون الرسم، والمعمار، والموسيقى كانت مسخّرة للكنيسة أيضًا. النهضة، حركة فنية أدبية متجددة انطلقت في شمال إيطاليا، ووسطها في القرن الخامس عشر، بيدَ أنها لم تغير الوضع السابق كليا، لكنها شجعت التعامل مع القضايا العلمانية ورعاتها. ان تحسن الوضع الاقتصادي للطبقات الوسطى خاصة في المدن الإيطالية مُنذ القرن الثالث عشر سمح بتوفير فرص تعليم افضل لأولاد الاغنياء خاصة الذكور منهم.

ما تعرض للخطر كان أكثر من الفن بكثير. فمُنذ القرن الرابع عشر قدّم مجموعة من المعلمين الإيطاليين، بوحي من الشاعر بيترارك منهاجا تربويا جديدا يستند إلى الأدب الكلاسيكي، واسموه (الدراسات الإنسانية). لم يكن للاهوت دور يذكر، لذا أصبح الإنسانيون (المصطلح الذي اطلق على مدرسي النهج التربوي الجديد) عمادَ التعليم، وإِذ لم يتمادوا إلى حد رفض التعاليم المسيحية، فإنهم تحولوا من استنزاف الفكر في كيفية خدمة الرب إلى الإجابة عن كيف يجب ان يتصرف الإنسان المبدئي، الخلوق.

شهد عصر النهضة تحليقا فنيا رائعا. من رموزه الفنانون الإيطاليون: رافاييل، ومايكل انجلو، وليوناردو دا فنشي. لقد بنوا إنجازهم الفني على أسس رصينة لمجموعة إيطالية فنية

أوسع ممّن سبقوهم في تثبيت التقانات لإنجازات فنية ادق، بينها فهم المنظور، وتصوير الجسم البشري. ومن أبرز الأسماء في هذا المجال دوناتيللو بعمله سانت جورج (1416 - 17)، وتمثاله ديفيد (1440 - 50)، وكلاهما محفوظان في متحف بارجيلو في فلورنسا.

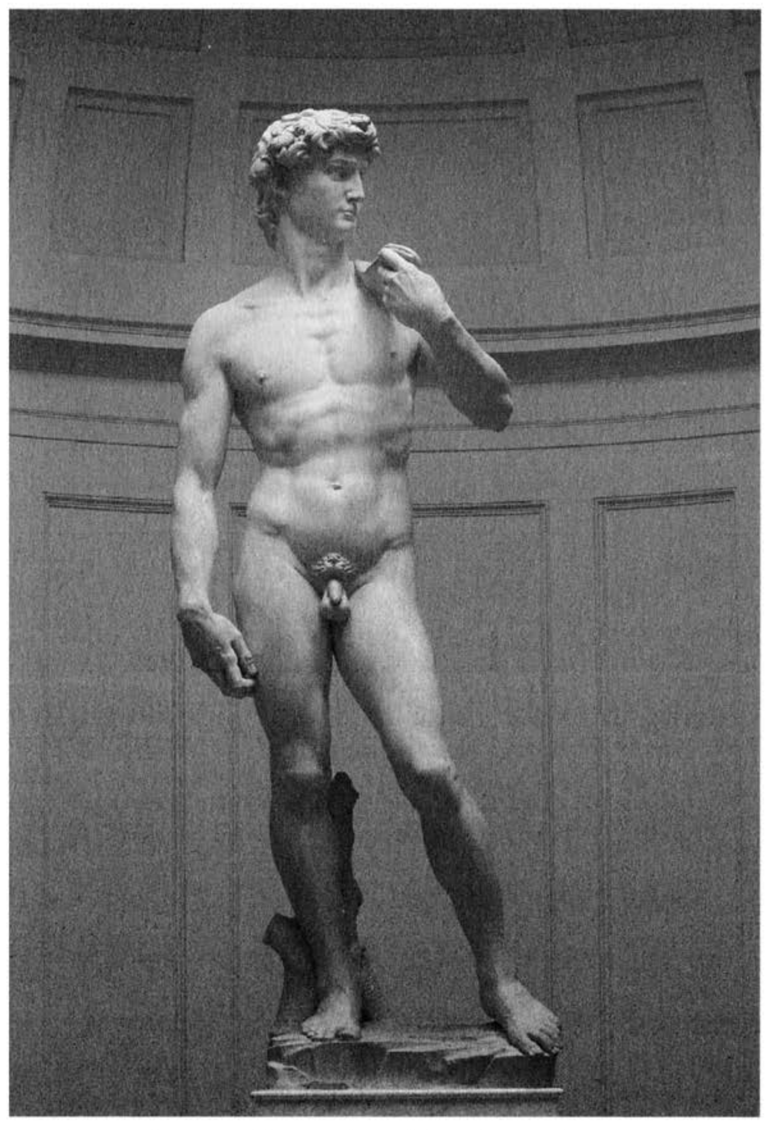
ان التنوع بحد ذاته في إيطاليا ساهم بشكل كبير في رفد النهضة بتنوعها، وطاقتها. مدن كالبندقية، وروما، وفلورنسا أصبحت مراكز الإبداع الثقافي. وقد تصدرت فلورنسا المشهد في القرن الخامس عشر، واكتسبته منها كلّ من البندقية، وروما في القرن السادس عشر مع رسومات رافاييل، ومايكل انجلو للأول، وجورجوني وتيتشيان وتينتوريتتو للثاني. ناقش المؤرخ الفلورنسي فرانتشيسكو غيتشارديني (1483 - 1540) فكرة ان التقسيمات المناطقية لإيطاليا أنتجت تنوعا، وتنافسا قادا إلى الولع بهذا الجانب الثقافي. ان الانقسام الذي وصل حد الاستقلال في بعض المدن الإيطالية اتاح، أيضًا، فرص ظهور ثقافة حضرية إيطالية متميزة.

ان فكر عصر النهضة قدّم محاولة مزج معارف الماضي بمعارف الحاضر المتجددة. وكان معظمها قد اعيد اكتشافه من الأعمال الرومانية، واليونانية، وظهرت الحاجة إلى تصنيفه، وتنظيمه منْ أَجل الخروج بفلسفة طبيعية تمكّن من فهم المعارف المختلفة، واستيعابها. افرزت النهضة نموذج الحوكمة النموذجية، على الرغم من وجود براغماتية قاسية، خاصة الدراسة السياسية

المقدمة من قبل فلورنتين نيكولو ميكافيلي بعنوان (الامير) في العام 1532 التي اسهمت كدليل إرشادي للسيطرة، وكسب القوة، ولم تخلُ من المرارة، والسخرية، واللمحات الذكية. تعايشت الأفكار القديمة، والجديدة في ظل فكر عصر النهضة كالتداخل الحاصل بين العلوم، والفلك، إذ كان معظم التركيز ينصب على دورة السموات، وتأثيرها المفترض في حياة الإنسان.

لقد سعى عصر النهضة إلى (منطقة) العالم وكان يجدّ منْ أَجل تحقيق التناغم بين دراسة الطبيعيات، والولاء المنقطع إلى المسيحية منْ أَجل الوصول إلى السلام الداخلي، وتأدية الواجبات الالهية. لقد ربط الافتراضات العقلية بالدين، ومع الكيمياء والسحر أيضًا. لقد كان المعتقد الراسخ بان التناغم، وهو نقطة التطابق مع التنظيم، هو رأس الخير، ووسيلته. كان الفن إلى حد كبير يمثل هذا التوجه. أما التوجه الأكبر فهو إظهار تفاصيل الخلق الالهي، والإنسان. لقد اتحد الفن، والعلم لتحقيق هذه الغاية كفهم، واستخدام المنظور بالاعتماد على التقدم المحرز في الرياضيات مثلا.

على الرغم من نشأتها، وازدهارها في إيطاليا، انتشرت النهضة في أماكن أُخَر. فقد عرفت النهضة الشمالية في مدن بلجيكا الكبرى خاصة بروج، وغينت. وقد توسع نطاق عمل مفكري النهضة مثل ليوناردو دا فنتشي في فرنسا، والدوق دسيديرياس ايراسموس (1466 – 1536) في بريطانيا.



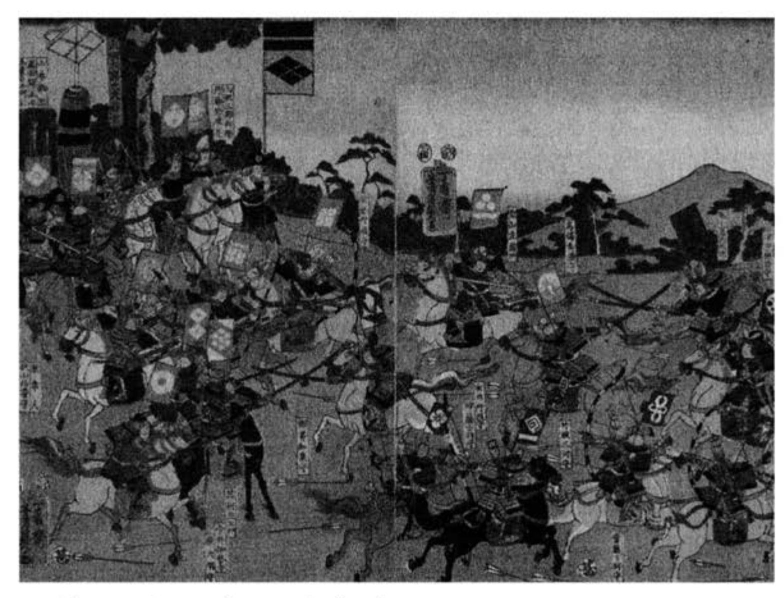
تعد منحوتات مايكل انجلو مثل (ديفيد) من مظاهر عصر النهضة المميزة

اليابان

لم تُمس معظم اجزاء اليابان في خلال توسع الإمبراطوريات الأوروبية البحرية. لقد حكم شوغون اليابان بقبضة قوية، واحسن ادارتها إِذ كان على رأس الحكومة كإمبراطور، واتخذ مدينة كايوتو مركزا له وكان يتمتع بالقداسة، مع سلطة علمانية محدودة. مع ذلك فان قوة الشوغون المؤثرة حددتها قوة المحاربين المحليين، المتنافسين بين المسؤولين العسكريين والمحافظين. حرب اونين (1467 – 77) التي اضرمتها منازعات حول الخلافة داخل عائلة الشوغون نفسها، جاءت بعصر سينغوكو (البلد في الحرب)، ظهر زعماء محاربون عرفوا باسم داي – ميو، واعتمدت مكانتهم على مدى نجاحاتهم العسكرية المتحققة. أودا نوبوناكا وهو أحد أبرز زعماء داي – ميو حقق تفوقًا على نظرائه من ارباب الحرب في العقدين 1560 و1570، لكنه أُجبِر على الانتحار على يد جنرال منافس في العام 1582. تويوتومي ايديوشي، الذي كان محميا من قبل نوبوناكا، هزم اعداءه الأساسيين في 1582 – 85، واحتل جزيرة كايوشو في 1587 – 88، وهزم الهوجو آخر من قاومه في العام 1590. توحد معظم اليابان مع نهاية العام 1591.

ايديوشي أهدر قوته بسبب محاولاته الفاشلة في السيطرة على كوريا والصين. إخفاقه في غزو كوريا في 1592 – 1593 و1597 – 1598 نتيجة التدخلات الصينية ثُمَّ موته في العام 1598 قاد إلى ارتفاع نجم توكوغاوا اياسو، وهو داي – ميو آخر. تغلب

على معظم اعدائه في العام 1600، واخيرا استطاع التغلب على ابن ايديوشي، ايديوري في 1614 - 15.



معركة كاواناكايبمان كانت إحدى المعارك العديدة في خلال مدة حكم سينغوكو التي امتدت من 1467 - 1603

أسس اياسو شوغونية توكوغاوا التي استمرت حَتَّى العام 1868. تمتعت اليابان بفترة طويلة نسبيا من السلام الخارجي، إذ لم تسعَ في خلالها إلى التوسع، أو مدّ نفوذها لجزيرة هوكايدو شمالا، والاقتتال مع شعب آينو، السكان الاصليين.

كما هو الحال في الصين، ركزت الثقافة اليابانية على نقاء السلالة، خاصة لأولئك الذين يعيشون في المناطق المهمة للدولة. عُدَّ بقية السكان من سلالات غير نقية خاصة مع ازدياد بعدهم

عن المركز. قللت هذه الثقافة فرص التعلم لهؤلاء، ولم تبذل، أو تعطِ أهمية لأي جهد في هذا الاتجاه. وبعد رفض الصين في العقد 1590 لقبول المساواة على المستوى المدني حفظت اليابان كرامتها بتوجيه الجهد الدبلوماسي مع كوريا، ومملكة ريوكيو بشكل أساس.

كان عدد التجار الذين يتعاملون مع اليابان محدودا من الأوروبيين، وازدادت المحددات مع طرد البرتغاليين في العام 1639 بعد إخماد ثورة المتحولين إلى المسيحية، وبذلك ضعفت العلاقة بالألمان كثيرا في العام 1641 حين حصر توكوغاوا اميتسو من الشوغون الحاكمة توافد الألمان على ميناء ناكازاكي فحسب. مع ذلك فمع حلول القرن الثامن عشر حصلت طفرة نوعية في النشاط الفكري والطباعي. ازداد نشاط الاقتصاديين السياسيين الذين كانوا يبحثون عن معلومات حول الصين والتركيز على أفكار المصلحة الوطنية. في الوقت ذاته ازداد التوتر على مستوى المجتمع، ويعود سبب ذلك جزئيا إلى الضغط المتزايد من تكاثر تعداد السكان على مساحة ثابتة الموارد خاصة الأرض. ولم تخلُ النداءات الرامية إلى الإصلاح من الشكوك في إمكانية التعامل مع هذه القضايا.

غزو المانتشو للصين

لا حدث في أوروبا، أو اوراسيا ضاهى، أو حَتَّى وازى حجم الإطاحة بنظام مينغ الحاكم في الصين، ومأساته، إذ أنهارت إمبراطورية تعود إلى العام 1360. حل المانتشو محلهم، من سلالة جوشين جين الذين حكموا شمال الصين مُنذ العام 1126 إلى العام 1234 عندما هاجمهم المغول، وسيطروا على الحكم هناك.

من مركز حكمهم في جبال جنوب شرق منشوريا توسع نطاق الجورشينيين بداية القرن السابع عشر تحت قيادة نورهاكي (1559 – 1626) منْ أَجل السيطرة على الأراضي الواقعة شمالي سور الصين العظيم. وقد انتهج نهج جنكيز خان باستخدام طرق منظمة للسيطرة على القبائل، والحيلولة دون توحدها، وتماسكها الذين يهددان سيطرته وجيشه.

تكرر هجوم نورهاكي على الصين مُنذ العام 1618. لكنه في الوقت ذاته كان يحاكي التقنيات السياسية، والهيكليات الإدارية للإمبراطورية، وبذلك يحقق التقرب من هذه المملكة المهزومة. ركزت السلطة على مسألة الولاء للحاكم لا على خلفيته الدينية، أو العقائدية.

مع العام 1582، بدأت الصين تعاني تحت مينغ من التفكك مع تعاقب حكام ضعفاء، وزيادة محاكمات الحكومة المركزية، وارتفاع الضرائب المتسعة، رافق ذلك الطموحات الاستقلالية المتفتحة لولاة الأقاليم. أطاح لي زيتشينغ، أحد ارباب الحرب بالإمبراطور تشونغزين الذي لم يثبت أي جدارة في خلال فترة

حكمه الممتدة من 1628 – 44، فقد انتحر عند سقوط بكين. مثّل (لي) سلالة شون، لكن جيشه افتقر إلى الانضباط بالإضافة إلى فقدانه الشرعية، والحلفاء الأقوياء، أو منظومة لإدارة دولته. نتيجة لذلك فضل قادة المينغ الرئيسيين العودة إلى المانتشو، وعلى رأسهم وو سانغاي. وبذلك فقد لي حكمه في العام 1644. استعان المانشو بالوحدات الصينية المساندة منْ أَجل فتح سريع لوسط الصين، وجنوبها سيطروا من خلاله على نانيينغ في العام 1645.

ان فتوحات المانشو فرضت إعادة تعريف الولاءات الثقافية التي قل فيها التمايز بين البرابرة والصينيين، وفقدت التعريفات السابقة حدودها الواضحة في خضم الاجتياح. لقد استطاعت دولة المانشو تحقيق بقائها بسبب قدرتها على التكيف، والإندماج في الثقافات المختلفة كما فعلت أسبانيا إلى حد ما في أمريكا الوسطى والجنوبية، وما انتهجته بريطانيا في الهند. استمر فتح الصين مع تعاقب الاباطرة حَتَّى ضمت تايوان، والتبت، وزينيانغ وأجزاء كثيرة من تركستان في خلال الفترة من 1680 – 1760 بسطت خلالها الصين نفوذها على اقوام غير صينيين.



تكرار هجوم قوات المانشو من شمالي شرقي الصين مُنذ العام 1618 حتَّى أطاحت المينغ في العام 1644

مدن: آسيا على رأس الهرم

في بداية العصر الحديث كانت المدن الكبرى تقع في آسيا حَيْثُ يعيش ثلثا سكان العالم. حصلت تغيرات مهمة في الهيكلية الحضريه في آسيا حَيْثُ كان للعوامل الاقتصادية والسياسية دور كبير شمال الهند. تم تأسيس اغرة في 1505 كعاصمة لسلطنة لودي وتطورت إلى مركز كبير. فيما بقيت مدينتا بكين ونانيينغ كمراكز حكومية في الصين تنافسهما ظهور (ايدو) أو طوكيو.

على اية حال لقد كان الفضل لهذه المدن لتكوين الإمبراطوريات البحرية الأوروبية والتي بدأت تزداد أهميتها على المستوى العالمي ففي البداية كانت لشبونة واشبيليا ومِنْ ثَمَّ أمستردام ولندن. ظهرت أيضًا مدن جديدة في الإمبراطوريات الأوروبية والتي أصبحت مراكز تجارية وحكومية: هافانا وباناما تأسستا على يد الأسبان في 1519. وكويبيك في 1608 ونيو أمستردام التي أصبحت نيو يورك فيما بعد في 1626 وكيب تاون في 1652 وتم تأسيسها على يد الفرنسيين والألمان والإنكليز تباعا.

بالرغم من الرغبة العارمة لهذه الحواضر للاستقلال بشؤونها إلّا أن وقوعها ضمن دول إقليمية عزز موضوع حمايتها. نشأت الكثير من الدول وسط تركيبة معقدة من عوامل بقائها وازدهارها ومن ضمنها قوة الحاكم ووجهاء الأقاليم ومزاوجة ذلك بالموارد المالية والمصالح التجارية لشخصيات الحواضر البارزة. ان هذا النمط تالذي ساد في أوروبا كان اقل إنشارا في أماكن أخرى

حَيْثُ الاختلافات الاثنية والدينية والاجتماعية الأوسع بين وجهاء الاطراف والحضر.

استمرت المدن الاسيوية بالهيمنة على مشهد القرن الثامن عشر، إلّا أن المراكز الأوروبية ظهرت كمنافس لها. من مجموع المدن الـ 19 حول العالم التي يعتقد انها احتضنت تعدادا سكانيا يربو على 300 ألف نسمة في 1800، كانت خمسة منها في أوروبا. لندن (مركز ثالث) القسطنطينية (إسطنبول) بالمركز الثامن وباريس بالتاسع ونابولي في المركز الرابع عشر وسانت بيترسبيرغ بالسابع عشر. كانت لندن تتطور لتكون مدينة عالمية فهي مركز الشركات التجارية مثل ايست اينديا وهدسن بأي التي امتدت حول العالم. وبعد ان تم إعادة بنائها بعد الحريق الكبير في 1666، ابهرت لندن بقية المدن بحلتها الحديثة. في الوقت نفسه، ظهرت مدن ذات أهمية متواضعة مثل كالتي انشئت في أفريقيا السوداء أما في استرالاسيا فلم تنشأ مدينة.



تحت حكم اورنكزيب، توسعت إمبراطورية مغول الهند لتشمل معظم شبه القارة الهندية، لكنه لم يتمكن من التغلب على مقاومة ابناء ماراثا في غاتس الغربية

مغول الهند

كانت الهند الحديثة تحت سيطرة إمبراطورية مغول الهند، أو الموغال. أُسِّست هذه الإمبراطورية بعد الإطاحة بسلطنة لودي في دلهي سنة 1526، وكانت بدايتها في شمال الهند، وتوسعت كثيرا تحت حكم (أكبر) الذي حكم بين الأعوام 1556 - 1605 واستمرت بالاتساع تحت حكم اورنكزيب الحاكم بين الأعوام 1658 - 1707. على الرغم من سيطرة الموغال على وسط الهند إلّا أن الجهود المكثفة، والكبيرة التي بذلها اورنكزيب لكسر مقاومة الماراثا الهنود، سكان غاتس الغربية، والسيطرة عليهم باءت بالفشل الذريع.

على الرغم من إنشاء الموغال المراصد، خاصة الخمسة في جايبور بين الأعوام 1722 و1739، إلّا أنها لم تخلق بنية تحتية علمية تحاكي الغرب. ان ولاء الموغال المستمر، الصلد لإرثهم الوسط اسيوي اثر في إمكانية استجابة اباطرتهم للتحديات الفكرية، والثقافية، والاقتصادية في الهند. على الرغم من ذلك حققت الهند تقدما علميا وتكنولوجيا، وبات من الواضح وجود جهود كبيرة لفهم عالم الطبيعيات، واهتمام خاص بالمعارف الغربية، وكل ذلك ساهم في إرساء دعامة رصينة لعلوم الهند البريطانية اللاحقة.

أُسِّس نظام ماراثا الكونفيدرالي في هضبة الدكن في العام 1674. بعد موت اورنكزيب، عانى الموغال من توسع ماراثا، وزيادة استقلالية حكامهم. ومما زاد من ضعف الموغال، غزوات نادر شاه شمالا من فارس في العام 1739 ومن قبل الافغان

في العام 1761. في العام 1803 احتل البريطانيون دلهي، وفي العام 1857 اطاحوا بآخر اباطرة الموغال.

الإصلاح

عانت أوروبا، على الرغم من انتشار نفوذها البحري، من عدم الاستقرار في ديارها. فقد تجذر الامتعاض ضد الكنيسة الكاثوليكية، وفسادها على يد الراهب الألماني مارتن لوثر الذي علق رسالته المؤلفة من 95 نقطة معارضة على باب الكنيسة في ويتنبيرغ في العام 1517. تحوّل الإصلاح، الحركة التي قدحها لوثر، من قوة كآمنة لإعادة احياء ما اضاعته الكنيسة الكاثوليكية إلى شكل جديد أنساب في منظومات دينية مختلفة للبروتستانت خاصة الكنيستين اللوثرية، والكلفنية. بالاعتراض على سلطة البابا. كان البروتستانت يسعون إلى التمسك بتعاليم الإنجيل، لا الكنيسة، ما زاد التركيز على تعليم قراءته، وبذلك عززوا محو الامية، وشجعوا طباعة الإنجيل بلغتهم الاصلية، بدلا من اللاتينية، فلعبت تكنولوجيا الطباعة دورا فاعلا في عملية الإصلاح. كانت المطابع تنشر خطابات لوثر اسرع من إمكانية الكنيسة على التخلص منها.

كسرت مرحلة الإصلاح انماطًا ايمانية سائدة كتلك المتعلقة بالموت، والهجمات على الأماكن المقدسة، والقديسين، والمعجزات. يؤمن البروتستانت بان المعجزات حدثت، وانحصرت في وقت

نزول الإنجيل وهو أحدها. وان ما تقوله الكنيسة الكاثوليكية عكس ذلك هو محض ادعاء.

أصبحت الكنائس البروتستانتية هي المعترف بها حكوميا في اسكندنافيا، وسكوتلندا، وإنكلترا، وهولندا، واجزاء كثيرة من سويسرا وألمانيا. كانت كنيسة إنكلترا تُعَدّ الكنيسة الوطنية. في اسكتلندا، وجينيفا، وهولندا، واجزاء من ألمانيا سادت الكلفنية بينما أصبحت اللوثرية الشكل الأبرز للبروتستانت في الدول الاسكندنافية، وشمال ألمانيا.

قادت الكنيسة الكاثولوكية، اواسط القرن السادس عشر، ما عرف بالإصلاح المضاد كحركة للتجديد تقابل الإصلاح البروتستانتي. بين عامي 1545 و1563، اعاد مجلس ترينت تاكيد تعاليم الكنيسة. ظهرت قواعد دينية جديدة واقيمت إصلاحات تعالج الانتهاكات الاسوأ كبيع مكاتب الكنائس التي انتشرت كالوباء في مؤسسات القرون الوسطى هذه. وانتصرت الكاثوليكية المتجددة بعد تغيرها في خلال الأعوام 1614 - 1648 على البروتستانتية في ما يعرف اليوم بالنمسا، وجمهورية التشيك، وهنغاريا، وسلوفاكيا، وبلجيكا، وفرنسا، وبولندا، واجزاء كثيرة من ألمانيا.

آلة الحرب الأوروبية

في أوروبا، كما في أماكن أُخَر، خاصة الهند، واليابان، كانت الحرب أبرز مظاهر القرن السادس عشر فيها. ان استمرار الاقتتال عكس قدرة الدول الأوروبية لتمويل نشاطها العسكري في القرنين الخامس عشر، والسادس عشر متزامنا مع ارتفاع التضامن السياسي، والتطور الاداري، والنمو الاقتصادي بعد تعافي السكان تدريجيا من حقبة الموت الأسود. على الرغم من دور الإصلاح البروتستانتي في إغناء الانقسامات الديموغرافية مُنذ العقد 1520 ما هدّد التضامن اعلاه. ساعد النمو السكاني في القرن السادس عشر على ضمان موارد بشرية، ومالية مضافة.

تظهر قوة الحكومات، وتطورها في البحر حَيْثُ السفن البحرية قطعت اشواطا من التطور من ناحية الحجم، والقوة مقارنة بما صُنِع، وتمت صيانته في القرن الخامس عشر. تتطلب الإمكانيات البحرية، والحرب التخطيط الدقيق، والدعم اللوجستي، والالتزام السياسي، والكفاءة الادارية، والمهارات القيادية، والتدريب بالإضافة إلى قدرة التغلب على التحديات التي تشكلها الابتكارات التكنولوجية. لقد تضافرت القوى العسكرية والسياسية في أوروبا لتضمن عدم إمكانية أي قوة منفردة السيطرة عليها في خلال القرون الـ 16 و17 و18. غالبا ما كانت الحروب تُنهى لصالح الجيوش المدربة، عالية الهمة، تلك التي احسن التخطيط لتحركاتها بشكل جيد، كما حصل مع انتصار السويد على القوات النمساوية في برايتنفلد العام 1631

في خلال حرب الثلاثين عاما الممتدة بين 1618 – 48. في حال التقى جيشان متكافئان، فستكون النتيجة غير محسومة إلّا إذا تدخلت عوامل خارجية أُخَر. كطبيعة الأرض، ومقدار الاحتياطيات، ونتائج الاقتتال وجها لوجه للخيالة، التي قد تترك للخيالة حرية الهجوم على المشاة عند الجناح، أو الخلف. كان الحصار أيضًا من العوامل المهمة في الحرب التي تم استثمار التحصينات الجديدة لها، وتطوير تقنيات المحاصرة، ولا تقل أهمية المدافع في تحقيق ذلك.

الحرب في أوروبا 1560 - 1648

ساعدت (الحروب الدينية) في أوروبا، في القرنين السادس عشر والسابع عشر على تعريف ملامح المسيحيتين البروتستانتية والكاثوليكية إلى يومنا هذا. اكدت الصراعات عدم إمكانية أسبانيا السيطرة على غربي أوروبا بينما لم يقوَ الهابسبورغيون النمساويون على سحق المعارضة. بالنتيجة، بقيت أوروبا المسيحية متعددة الاقطاب. بالإضافة إلى ذلك فقد اثبت الإخفاق الأسباني أهميته في تطور القوى البحرية الألمانية والإنكليزية وتوسع طموحاتهم.

كانت التكلفة العالية للجيوش، والمعارك البحرية تستنزف الدول لإدامة الحرب. فتحولت الكثير من الدول الصغيرة إلى مصدر للمرتزقة لتلبية الحاجة إلى جنود كفوئين، وباعداد كبيرة. أثبت القتال مع الحرس السويسري، أو اللاندسكنيشت الألماني، أو الكالوكلاس الاسكتلندي، أو الايرلندي بأنه امر مربح للغاية

في عالم مجنون بالحرب تحديدا أوروبا القرنين السادس عشر والسابع عشر. ان متطلبات الحرب، والإمكانيات العسكرية النامية المرافقة لها شكلت الدول التي خاضتها. تقاطعت الرأسمالية مع الدول لتمكين الحكومات من الإيفاء بالموارد الضرورية، ما ادّى إلى خلق المؤسسات الرصينة مثل بنك إنكلترا في العام 1694.

حروب فرنسا الدينية 1562 - 1598

ان النزاع بين الكاثوليك والبروتستانت كان التحدي الأكبر لاستقرار فرنسا الذي أنهار اخيرا في 1589. لقد عقد التدخل الخارجي الأمور. ثُمَّ استعيدت حالة من الاستقرار المتداعي أواخر عقد 1590.

الحرب الإنكليزية الأسبانية 1585 - 1604

سبب القلق الإنكليزي حيال الاضطهاد الأسباني للبروتستانتية الألمانية اندلاع حرب شاملة. فقد طالت البحار بإغارة الإنجليز على تجارة ومستعمرات أسبانيا. وقد فشلت المحاولة الأسبانية للسيطرة على إنكلترا من قبل الإرمادا في 1588 فشلا ذريعا.

حرب الثمانين عاماً 1566 - 1648

رفضت الأقاليم الهولندية الألمانية تحت حكم ملك أسبانيا، فيليب الثاني، محاولاته المستمرة لكبت الحريات ما أدى إلى حرب طويلة الأمد انتهت بعودة ما يعرف اليوم ببلجيكا إلى السيطرة

الأسبانية فيما اخفقت باسترداد ما يعرف اليوم بهولندا. الأولى أصبحت كاثوليكية والأخيرة للبروتستانت.

حرب التسعة أعوام 1688 - 1697

لقد تم إيقاف توسع لويس الرابع عشر في هذه الحرب وما تلتها من خلافة أسبانية (1701 - 14) بسبب تحالف النمسا وبريطانيا والألمان.

حرب الخلافة النمساوية 1740 - 1748

ان ارتفاع نجم قوة بروسيا كان السبب الرئيسي في هذا النزاع كما كانت ثورة اليعاقبة المدعومة من قبل فرنسا والرامية إلى الإطاحة بالنظام البريطاني.



حرب السبعة أعوام 1756 - 1763

لقد برزت بريطانيا كقوة عظمى بعد احتلالها فرنسا وجزءًا من الإمبراطورية الأسبانية وراء البحار. لقد كانت العناصر الأساسية لقوتها هي القوة البحرية وإمكانية الحركة البرية والمائية المتزامنة والقوة المالية.

النظام الملكي المطلق

أعقبت فترة الحروب 1560 - 1660 فترة سلام، واستقرار داخلي نسبي خاصة تحت حكم لويس الرابع عشر الذي حكم فرنسا بين الأعوام 1643 - 1715. ازداد اعتراض النظام الملكي لأي محددات، إِذ زعم انه مفوض من الله، وليس من الشعب. ومن ممارساتهم يُفهَم انهم لا يخضعون لارادات محكوميهم، وقد طوروا نوعا جديدا من الحكم هو (نظام الحكم المطلق) الاستبدادي، وأصبح سمة حكم تلك الفترة.

كانت الدول التي تدار بالنظام المطلق، فتُرى على انها دول قوية ذوات سلطة حكومية احتكارية تذعن لامر الحاكم بشكل كامل. على المستوى العملي، حددت المطالب الحكومية سلطة الحاكم على كراهة، بالإضافة إلى سيطرته الجزئية على المؤسسات البيروقراطية، ومواقف الأخيرة تجاه سلطة الحاكم. في أوروبا، كان هنالك عداء واضح للحكم المطلق، ومعاهدات للسلوكيات الملكية المقبولة، كل ذلك أدى إلى تقييد يد الحاكم. لم ينحصر الامر بالعرش ذاته، بل من الممكن ان يتمتع مستشار قوي مثل كاردينال ريتشيلليو في فرنسا، بسلطة استثنائية. ومن أسباب ذلك وصوله السلس لاصحاب العرش.

لم توفر الولاءات للعرش ما توفره الوطنية من أسباب للوحدة عندما تبلورت في القرن التاسع عشر. كانت الحكومات المركزية تفتقر إلى الموارد، والمعلومات، وسبل التواصل. كانت افضل الطرق لاستيفاء الضرائب تقوم على التعاون مع الحكومات

المحلية، أو السلطات المجتمعية. خلف واجهة الحكم المطلق، والقصور التي تحاكي قصور فرساي للويس الرابع عشر، والجيوش الجرارة، كانت الحكومات تعتمد على الحلفاء المحليين الذين يسعون إلى التعاون مع أولي النفوذ. حَتَّى موظفو لويس الرابع عشر كان عليهم التعاون مع المؤسسات المحلية، بينما لم تصل الحكومة البروسية إلى ممتلكات الارستقراطية.

الثورة العلمية

في الوقت الذي كان فيه الإصلاح يهاجم الكنيسة الكاثولوكية كمصدر اوحد للمعرفة، فتح الطريق للثورة العلمية للقرن السابع عشر من خلال التشجيع على البحث العلمي المستند إلى القياس العلمي وفرضياته. أصبحت الدولة أكثر انغماسا، مثلا في إنكلترا، بتأسيس الجمعية الملكية في العام 1660. لقد شكل عمل اسحق نيوتن (1642 - 1727) سبقا علميا هاما في الفكر الغربي. ان القوانين العلمية الموضوعة من قبل نيوتن، وروبرت بويل، وآخرين كانت تسعى إلى إيجاد قواعد علمية عالمية تمثل ثنائية السبب، والنتيجة بشكل دقيق، واضح. لقد تم تحليل النظام الفيزيائي رياضيا، ما نتج عنه اشتقاق القوانين النظرية استنادا إلى المشاهدات العلمية. ان تاكيد وجود منظومة كونية أدى إلى التركيز على العمليات، والقوى المنتظمة، والمتوقعة، كانت جزءًا من ثورة كبرى ساعدت على فهم العالم بشكل علمي، وكانت بنود هذه المعرفة ذات منشأ غربي ما عكس مظاهر أُخَر مرتبطة

بالثقافة الغربية. لقد خلقت التكنولوجيا انقساما واضحا بين الغرب وبقية العالم. واختراع العدسات كان مثالا لذلك. فقد تطور العمل في مجال العدسات، واستخداماتها بشكل كبير في الغرب مقارنة بموطنها في الصين، والعالم الإسلامي. ففي الغرب ظهرت المجاهر، والتلسكوبات، والأجهزة المتكونة من قطع مركبة من العدسات التي مكنت من رصد التفاعلات الدقيقية، كلها كانت مهمة للعقل التجريبي. لقد استخدم غاليلو التلسكوب مِنْ أَجل النظام الشمسي بشكل افضل (اكتشف اقمارا جديدة للمشتري في العام 1610). ان توحيد معايير القياس والأجهزة دَعَمَ مناحي الحياة كلّها، خاصة العلوم، والإدارة، والتجارة.

التنوير

اتسمت حركة التنوير بالتشعب الواسع، وهي في جزء منها تمثلت بحركة التحليل الناقد، وتطبيق المنطق في القرن الثامن عشر في أوروبا. آمن مفكرو التنوير بضرورة الاحتكام إلى المنطق، وتحرر الفكر من ضغوط السلطة، والتقاليد مِنْ أَجل تثمين الإنسان، والمجتمع، والكون، وتحسين احوال الإنسان أخيرا. اعتقد بعض المفكرين مثل جان جاك روسو، 1712 - 78، ان السلطة تمثل محددا قويا يعوق السعي إلى استخدام المنطق ما حدا به إلى تبني وجهات نظر نقدية وفقا لذلك لكنها لم تكن نموذجية.

استطاع معظم التنويريين تسوية نظرياتهم العالمية، والتهديمية للمنطق، مع الظرف الخاص الذي كان يحيط مواقعهم، وبلدانهم

ومع ما تفترضه سلطة التقاليد. أما التحديات التي واجهت التعاليم المسيحية فكانت قليلة.

لقد اكدت التناقضات بين التنويريين وجود سلالات متشائمة ومتفائلة. بالإضافة إلى الابعاد الإنسانية، واللبرالية، والأخلاقية، والشمولية. اتسمت بعض حملات التنوير بالحماسة كتلك التي ناهضت التعذيب، واليسوعيين أكثر من تلك الأكثر عمومية التي عالجت الأنظمة الشمولية، والمنطق عموما.

أثر الفكر التنويري في رسم السياسات. لقد كان ما يعرف بالطغاة التنويريين مثل فردريك العظيم لبروسيا (حكم من 1740 - 1786)، وكاثرين العظمى لروسيا (حكمت بين 1762 - 1796)، وجوزيف الثاني للنمسا (1780 - 1790) يسعون إلى إصلاح الحكومة، وتحسين حال المجتمع، وتعزيز مؤسسات الدولة وادائها. لقد هاجموا السلطة الدينية وامتيازاتها، وساندوا التسامح الديني، والإصلاحات القانونية.

تحسين وسائل الاتصال

حَتَّى في عصر التنوير حَيْثُ كانت المسافات هي العدو اليومي، والاخبار الدقيقة مادة للترف، كانت المجتمعات فريسة الاشاعات، والتوقعات. فالطريقة الوحيدة للتاكد من خبر ما هو انتظار تبعاته. لم يكن من المؤكد الحصول على المعلومات بفترات زمنية متوقعة، أو منتظمة ما اكد وصولها بشكل فوري، وبنسخ متعددة حيثما سلكت طرقا مختلفة. من الهند إلى بريطانيا حَيْثُ

تمر الطرق بالشرق الأوسط أما مرورا بالبحر الأحمر، أو الخليج الفارسي، ثُمَّ الطريق البري، وتعود بحرا حول رأس الرجاء الصالح. ومن القسطنطينية (إسطنبول) إلى لندن، كانت تمر بالبر عبر فيينا، والبحر الادرياتيكي، أو عبر المتوسط إلى البندقية، ثُمَّ براً، أو بحرًا لتكملة الطريق.

تطورت الأنظمة البريدية في أوروبا مُنذ القرن الخامس عشر، لقد كانت في بداية نشأتها تدار من قبل الحكومات، وهي متاحة للعامة، وأصبحت ذوات أهمية كبرى للتجار، وتطور الصحف.

لقد جلبَ تطور بناء الطرقات فوائد جمة، خاصة في اليابان وفرنسا. ومع ذلك كان الامر مرهونا بقوة الحيوانات العضلية وتحملها في قطع المسافات. كانت العتالة البشرية لا تقل أهمية في مناطق كثيرة خاصة في اليابان، وأفريقيا السوداء، وأمريكا الجنوبية. اثر هطول الامطار في الطرق بينما جعلَ ذوبان الثلوج، والامطار الغزيرة من الأنهار عصية على استخدام المراكب، والناقلات الخدمية. تاثرت الأنهار أيضًا بحالات الجفاف، والانجماد، والسدود، والطرق الجبلية حَيْثُ الثلوج، والجليد في تقاطعاتها.

لقد حصلت تطورات مهمة لشبكة النقل البحري خاصة التطور الحاصل بالدفات، وفي القرن الثامن عشر حصلت قفزة في تعيين مواقع السفن بفضل إمكانية حساب خطوط الطول. مع ذلك لم يخلُ الامر من تحكم الرياح، والثلوج بمزاجهما على التنقل البحري.

لقد كان العالم في تحدٍّ حقيقي فيما يخص انتقال المعلومات قبل ابتكار التلغراف، والسكك الحديد، والسفن البخارية. ولن نتفاجأ بان تفاصيل حركة الرسائل، والسعاة، وظروفهم الصعبة كانت تملأ مراسلات تلك الحقب، ويومياتها.

الصين واليسوعيون

في الوقت الذي وسعت فيه المجتمعات من نشاطها حول مختلف مناطق العالم، برزت التساؤلات حول الادراك وإمكانية التأقلم مع الاتجاهات المختلفة، الثقافات التي زعمت انها تقبض على الحقائق الكونية كان عليها إيجاد الإجابات عندما تواجهها رؤى عالمية مختلفة. في القرن السابع عشر سعت البعثات التبشيرية المسيحية لإدماج التعاليم المسيحية بالتقاليد الصينية، خاصة ما يتعلق بعبادة الأسلاف منْ أَجل خلق حوار مع العادات الصينية وبيان كيف ان الرسالة المسيحية استطاعت استيعاب الثقافة المحلية للصين. كانت المهارات العلمية لليسوعيين مفيدة جدا للحكومة الصينية التي ادركت تماما ومن خلال وجود الغربيين على سواحلها وحدود الروس في سيبيريا شمالا وجود نقلة نوعية للقوى العالمية. كان اليسوعيون محملين بالمعلومات اللازمة لصناعة المدافع وصياغة الخرائط وعلوم الفلك. حبذ الإمبراطور تشيان لونغ (حكم بين 1735 – 1796) تواجدهم مع الهيئة الصينية لعلوم الفلك منْ أَجل تفادي الآراء المتحزبة بخصوص كسوف الشمس والظواهر الأخرى. مع ذلك فان

محاولات اليسوعيين لتقبل الممارسات الدينية الصينية كانت مدعاة لاستنكار البابا. كان معظم رجال الدين الصينيين عدائيين تجاه اليسوعيين. ولا وجود لما يماثل هذا الإندماج مُنذ فترة حكم بيتر الأعظم لروسيا (1689 – 1725). ولذا استمر سعي الصين لاكتساب المعرفة واستجلابها على وفق شروطهم الخاصة.

الاقتصاد العالمي في القرن الثامن عشر

استمرت السيطرة الأوروبية على خيرات العالم الجديد، وموارده الثمينة. فبالإضافة إلى فضة أسبانيا، استفادت بريطانيا من مدخرات الذهب التي تعود إلى عقود القرن 1700 في مستعمرة البرتغال المتوسعة في البرازيل خاصة في ميناس كيرايس. فمع القوة التجارية، والاستقرار السياسي، واستمرارية دفع الدين الخارجي من قبل مؤسسة البرلمان فان ذلك مكّن الحكومة البريطانية من استعارة الأموال بنسبة ربح بسيطة. في الوقت ذاته استطاع الغرب من الحصول على فرصة لا تقل أهمية بسبب استحواذه على موارد العالم الجديد الطائلة. قد يتسلّم الاسيويون الثروات لقاء منتجاتهم من الشاي، والسيراميك، التي يستوردها الغربيون من الصين، لكن الوصول إلى مصادر الثروات يتطلب ان يغرس الغربيون انفسهم في العالم غير الغربي منْ أَجل امتلاك موارد تحريك الجيوش المحلية كما فعلت كل من فرنسا، وبريطانيا في الهند. تمكنت أوروبا من خلال فرض قوتها ما وراء البحار، وما تبع ذلك من تعزيز سلطتها على أراضيها، من استغلال

أراضٍ داخل الأمريكيتين اثبتت تلك السلطة انها الأجدى فائدة من أي قوة أخرى حاولت استغلال المنطقة مثل نفوذ الصين في مساحات من منغوليا، والتبت، وزينييانغ، ووادي أمور. لقد وفرت الأراضي الداخلية الأمريكية للغرب عددا لا يحصى من الفوائد ومن بينها: مع العام 1800، انخفضت تكاليف تأمين تواجدها بسبب انعدام التهديد ضد وجودها من قبل السكان الأصليين حَيْثُ توطنت اعتى المستعمرات الغربية في الأمريكتين. كانت هنالك أيضًا فوائد اقتصادية، اقلها الأرض الخصبة التي لم تعانِ من التعرية نتيجة الافراط في الزراعة. امتازت أيضًا بالسقي الجيد، وبأنها أرض غير وعرة (كل ما كانت تفتقر إِليه الأراضي الداخلية للصين).

في أمريكا الشمالية، كانت المشاكل اقل مع الأمراض مقارنة بما كانت تعانيه المناطق الاستوائية كحال الأوروبيين في جزر الكاريبي، وغرب أفريقيا، وحال الصينيين في مايانمار في عقد القرن 1760. كانت الحمى الصفراء، والملاريا من اهم معوقات المناطق الاستوائية، وفاقم من تأثير هذه الأمراض عدمُ فهم آليتها. خاصة النواقل التي كاثرت الأمراض، ووسائل الانتقال كالبعوض للملاريا التي كانت مجهولة آنذاك.

كانت التجارة الخاصة بالمواد التي لم تستطع أوروبا إنتاجها من سكر، وقهوة، ورز، وكاكاو، وحبر، وقطن مربحة جدا. ساهمت بشكل كبير في تطوير، وإنعاش المنظومة التجارية الغربية العابرة للمحيطات. بالإضافة إلى إنعاشها رأسمال التجارة الغربية،

وتنظيمها ومن ضمنها تدفق المعلومات الخاصة بالتجارة والأسواق، وما رافقها من فهم، والسيطرة على المخاطر. زادت إمكانيات قراءة التجارة العالمية، وتكهناتها. على الرغم من ازدياد تعداد سكان الصين من 150 مليون في العام 1650 إلى 300 مليون في العام 1800، ويعود جزء من السبب إلى ظهور محاصيل العالم الجديد كالبطاطا، الحلوة، والفستق، لم ترافق هذه الزيادة فائدة تجارية تذكر لا للصين، ولا للبلدان غير الغربية. ان السعي إلى الوصول إلى العالم الجديد من المحيط الأطلسي الأصغر كثيرا من الهادئ، لم يكن ضمن حسابات هذه القوى. ولا وجود لسبب منطقي يحول دون سعي دول آسيا الشرقية والجنوبية المكتظة بالسكان إلى التوسع الاستعماري في أماكن أخَر من آسيا، أو غيرها. هذا التوسع لم يكن ضمن منهجيات الجماعات الحاكمة مثل المينغ، والمانشو، ومغول الهند الذين ركزوا على الاعتبارات الأمنية كنتيجة للغزو، ومخاوف الجوم من قبل داخل اوراسيا. ان درجة سيطرة الغربيين على التجارة العابرة للبحار إلى شرق آسيا، وجنوبها اثرت بشكل كبير في قوة البنى التحتية البحرية المحلية أيضًا.

الفصل السادس

الثورة والحركات القومية 1750 - 1914

شهد القرن التاسع عشر اعتلاء البلدان الأوروبية، والولايات المتحدة المسرح العالمي. فقد تصوّر الغربيون انفسهم، بسبب قوة السياسة الأوروبية، والنشاط الاقتصادي، والانتشار الثقافي، على رأس هرم الحضارة، والتقدم. لقد تغير العالم الغربي كثيرا بين الأعوام 1756 و1830. أصبحت بريطانيا القوة الإمبراطورية الكبرى، لكن قوة أوروبا الاستعمارية، ما لبثت ان أنهارت في معظم أجزاء الأميركتين في صراعها منْ أَجل النفوذ، والأفكار داخل ذلك العالم الذي أعاد تشكيلها. لقد ساهمت الثورة الصناعية الكبرى العالمَ الغربي على بسط نفوذه في معظم انحاء العالم مع حلول العام 1920 مع استثناءات مهمة في اليابان، وإثيوبيا، وتايلاند.

حرب السبعة أعوام 1756 - 1763

من عناصر التطور المهمة التي شهدها العالم الإمكاناتُ البحرية البريطانية، والسيطرة الواسعة التي جاءت بفضل سلسلة الحروب مع فرنسا، وحلفائها بين العامين 1756 و1815. شكلت هذه الهيمنة انساق التطور للقرن التاسع عشر، ومن بينها ضمان استقلال أمريكا الأسبانية، وتأمين التجارة الحرة، والنظام الاقتصادي اللبرالي.

اندلعت حرب السبعة أعوام بسبب الاقتتال الدائر في الأراضي الداخلية لأمريكا الشمالية في العام 1754، إذ تصادمت المشاريع التوسعية لكل من فرنسا، وبريطانيا في وادي نهر اوهايو، ثُمَّ تصاعد الاقتتال ليُعلَن رسميا في العام 1756. أبلت فرنسا، في البداية، بلاءً حسنا في أمريكا الشمالية، لكن بريطانيا احتلت فرنسا الجديدة (كندا) بين العامين 1758 – 60. من الأحداث المهمة في أمريكا الشمالية ان البريطانيين تواجدوا هناك قبل فترة من تحقق التفوق البحري بشكل واضح في العام 1759. هذا الموقف أدى إلى تبني إستراتيجية عدائية رافقت تحركات القوى الكبرى. كان للمواقف السياسية دور هام في ضمان ان فشل بريطانيا في أمريكا الشمالية في العامْين 1755 – 57، شجع التزاما أكبر بالمنطقة مقارنة بالانسحاب. لقد سيطر البريطانيون على معظم مواقع الفرنسيين في البحر الكاريبي، والهند، وغرب أفريقيا. اصطفت أسبانيا إلى جانب فرنسا في حرب العام 1762، لكن بريطانيا استطاعت السيطرة على قواعد أسبانيا ما وراء البحار في هافانا، ومانيلا.

في أوروبا، اخمدت الانتصارات البحرية البريطانية هجوما فرنسيا في العام 1759 في الوقت الذي أوقفت في خلاله بروسيا، حليفة بريطانيا، تحالفا قويا للنمسا، وفرنسا، وروسيا بفضل القيادة المتمرسة للجنرال فريدريك الأعظم (حكم بين 1740 – 86). ولم يعم السلام إلّا بعد استحواذ بريطانيا على كندا، وفلوريدا وعدد من جزر الكاريبي.

ثورات وحركات تمرد

1775 الثورة تبدأ في أمريكا الشمالية.

1783 الاعتراف باستقلال ما عرف لاحقا بالولايات المتحدة.

1789 اندلاع الثورة الفرنسية.

1804 انتهاء ثورة هاييتي باستقلالها عن فرنسا.

1821 بوليفار يضمن استقلالفنزويلا عن أسبانيا.

1830 ثورات كبرى في أوروبا.

1848 موجة ثورات جديدة في أوروبا.

1851 تمرد تايبينغ في الصين.

1857 - 1859 ثورة الهند.

1861 - 1865 الحرب الاهلية الأمريكية.

1868 - 1869 إطاحة حكم شوغون في اليابان.

حرب الاستقلال الأمريكية

بدأت حرب الاستقلال الأمريكية في العام 1775 كتحدٍ لسلطة البرلمان البريطاني في محاولاته لوضع الأنظمة، والقوانين التي تحكم مستعمراته في أمريكا الشمالية، وخاصة جباية الضرائب. تطور الامر في العام 1776 ليتحول إلى صراع للحصول على الاستقلال. مع نهاية آذار من تلك السنة تم طرد الجيوش البريطانية من 13 مستعمرة.



رسم بنيامين ويست الشهير في العام 1770 حول موت بنيامين وولف في كويبيك العام 1759، وهو يصور إحدى اللحظات المأساوية الكثيرة في حرب السبعة أعوام

رد البريطانيون بقوتهم الضاربة التي تناسب كونهم القوة البحرية الأولى في العالم انذاك. فقد سيطروا على نيويورك في العام 1776 وسافانا في العام 1778، وتشارلستون في العام 1780. استمرت الحرب حَتَّى العام 1783، مع عدم إمكانية التنبؤ بالنتائج. انتصر البريطانيون في لونغ ايلاند العام 1776 وبراندي واين في العام 1777، وكأمدن العام 1780، بينما انتصر الأمريكيون في ساراتوغا في العام 1777. لم تستطع أي جهة التغلب على الأخرى. ان انضمام الفرنسيين إلى الثوار حسم الامر، واتسعت الحرب لتكون عالمية بانضمام أسبانيا إلى جانب فرنسا. في النهاية، ومع انهزام جزء من القوات البريطانية في أمريكا الشمالية في

يوركتاون في العام 1781، من خلال قوة التحالف الأمريكية الفرنسية، كانت بريطانيا تعاني من أزمة سياسية في ديارها في العام 1782 وكان عليها الاعتراف بالاستقلال، مع العلم ان معظم الإمبراطورية البريطانية نجت من هذا الصراع.

من الواضح ارتباط الاستقلال بالنوايا التوسعية. خاصة بعد تنازل بريطانيا عن الشمال الغربي القديم، الابالاش، إلى أمريكا في العام 1783، التنازل الذي وسّع كثيرا حجم الأراضي المملوكة من قبل المستعمرات الثلاث عشرة. في الواقع، كان عدد الأمريكيين الذين يسكنون هذه المناطق قليلا جدا. لقد تبعت هذه المرحلة مزاعم أمريكية بامتلاك مساحات من الأرض، والحروب، والاستيطان في مناطق جديدة دون علم، أو اشراك السكان الاصليين. لقد كانت النظرة للسكان الاصليين بانهم اشكال بدائية من التطور الإنساني عليها التطور على وفق المعايير الأمريكية إذا كانت تريد الاشتراك بصناعة مستقبل أمريكا. كان التوسع الأمريكي محاطا بالطموح والقلق. لكن جميع محاولات السيطرة على كندا باءت بالفشل، وبقيت جزءًا من الإمبراطورية البريطانية.



في العام 1776 وقعت المستعمرات الـ 13 بيان الاستقلال احتجاجا على منظومة الضرائب البريطانية

الثورات العلمية

لم تقتصر الثورات على دائرة السياسة. في نهاية القرن الثامن عشر حصلت طفرات كبيرة في مجال الكيمياء فقد تبلور كعلم منفصل له لغته الخاصة، وطرائقه التي فرّقته عن الكيمياء القديمة (الخيمياء)، شهدت المرحلة اكتشاف خمسة عناصر غازية. اكتشف انطون لافوازيه (1743 – 1794) قانون حفظ الكتلة الذي نظم كيمياء الغازات في العام 1789، ونصّ على وزن المواد المتفاعلة كيمياويا يساوي وزن نتاج التفاعل. أما هنري كافينديتش (1731 – 1810) فقد عرف الهيدروجين كعنصر متميز في العام 1766. وفي العام 1781، كان أول من حدد تركيب الماء. في القرن التاسع عشر اتاحت الكيمياء تطور

الاصباغ، ومجموعة كبيرة من المنتجات الجديدة. تطورت المعارف المرتبطة بالكهربائية بشكل كبير أيضًا، إذ اخترع اليساندرو فولتا البطارية الخليوية، والكومة الجافة في حوالي العام 1800.

الحركة الرومانسية

عند نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، ركزت الحركة الفنية والثقافية الأساسية في أوروبا على الاستجابات الفردية والعاطفية أكثر من القوانين الفنية المتعارف عليها. ففي مجالات الموسيقى (بتهوفن) والرسم (غويا) والشعر (وردزورث) والفنون الأخرى، سعت الأسماء الكبيرة إلى تحويل الإحساس والانفعالات الأخرى إلى أحد الاشكال الفنية. لقد كان هذا التوجه بمثابة المعادل الفني للراديكالية السياسية التي سادت تلك الحقبة رغم انه لم يتبنَ جميع الفنانين آراءً سياسية راديكالية.

أزمة عقد 1790

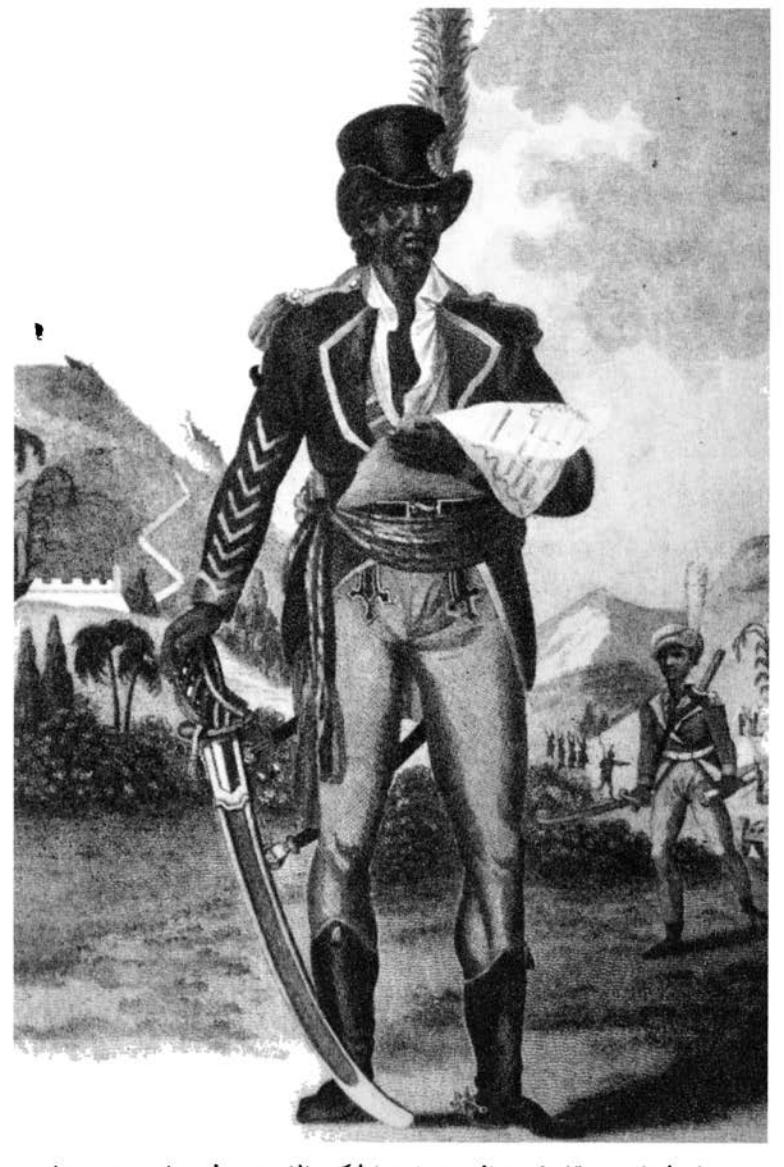
حرضت أزمة عقد الـ 1790 النزاع حول العالم من خلال تشابك أنظمة عسكرية مع بعضها البعض. فقد شهد هذا العقد اندلاع حروب الثورة الفرنسية: النهوض، والتمرد الناجح ضد الحكم الفرنسي في سانت دومينيك الذي أدى إلى استقلال هاييتي في العام 1804، الولاية السوداء الأولى في الأمريكتين، بالإضافة إلى الإحباط الروسي للاستقلال البولندي، واندلاع ثورة اللوتس البيضاء في الصين، وسيطرة بريطانيا على مايسور. حَتَّى الأنظمة

التي كانت تبدو انها ناجحة مثل نظام الماراثا، والنظام الفرنسي في ظل الثورة، ونابليون، استسلمت مع العام 1820. حَتَّى الصينيون ادركوا مع العام 1860 بحاجة نظامهم إلى تغييرات جذرية كانت غائبة عنهم في فترة 1800.

توحيد هاواي

كاميهاميها، موحّد ارخبيل هاواي اتخذ من الساحل الغربي لجزيرة هاواي مركزا لسلطته وكانت تتردد عليه السفن الأوروبية فاستطاع بذلك الحصول على الأسلحة النارية والمدافع واستخدم الأوروبيين لإطلاقها. في 1791 استطاع ان يهيمن على هاواي وسيطر بعدها على جزر ماوي وأواهو في 1795.

بحلول العام 1700، كانت بريطانيا، وروسيا قوى مهمة في العالم، وازدادت قوتهما بحلول العام 1800. فقد شكلا مع الصين القوة العسكرية الضاربة للقرن الثامن عشر. عكس الصين والدول الغربية، لم يتمكن الاتراك، أو الموغال، والصفويون ومن خَلَفَهم في جنوب آسيا، وإيران من خلق بنية تحتية، ورسم السياسات المؤسساتية، وتأسيس علاقات تتسم بالاستقرار بين المؤسستين العسكرية، والمدنية. لقد اكدت حالات تمرد رؤساء أقاليم تركيا إخفاق البلد في الحفاظ على منظومته الناجحة في خلال فترة التوسع.



توسان لوفرتور قاد ثورة العبيد ضد الحكم الفرنسي في سانت دومينيك وأسس لاستقلال هاييتي في العام 1804

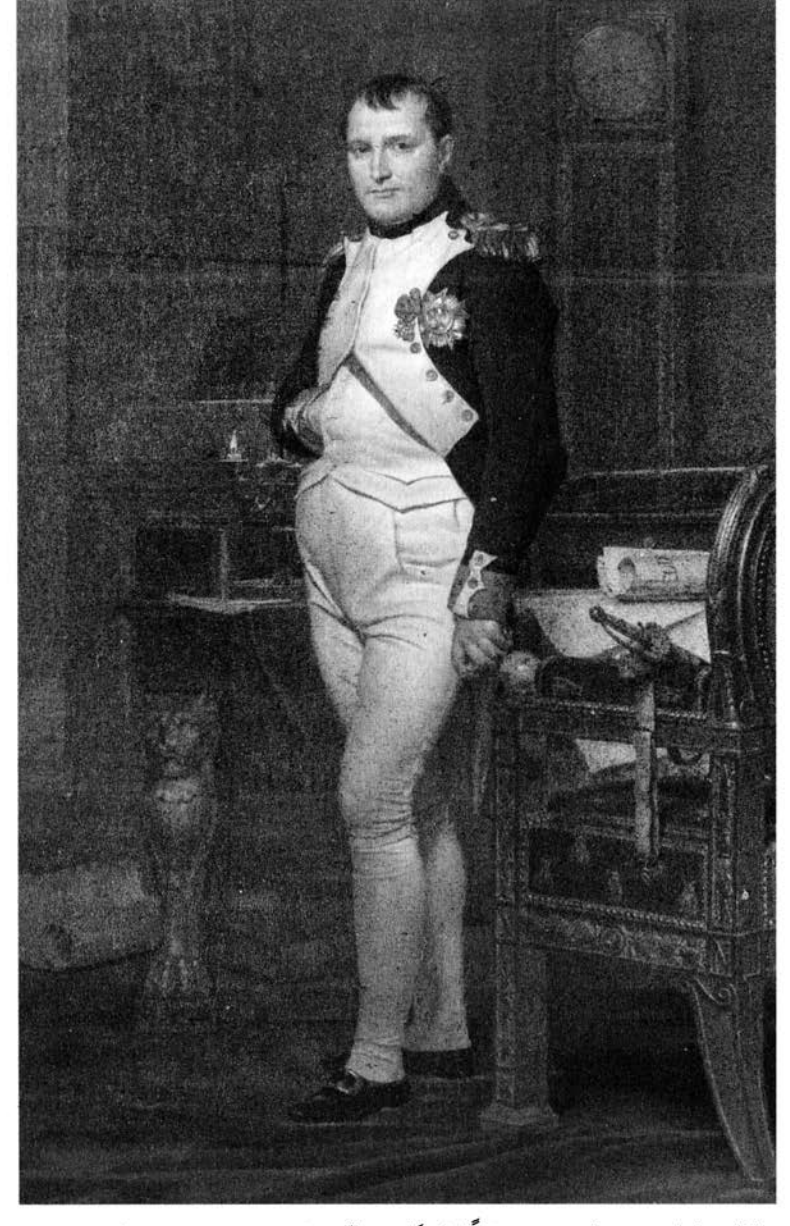
الثورة الفرنسية ونابليون

لم تكن الثورات في أوروبا بالحدث النادر. لكن الثورة التي اندلعت في فرنسا في 1789 أصبحت تأثيراتها جذرية، مع الوقت، بسبب الإخفاق في بناء الثقة بين الجهات المتنازعة لتأمين مستوطنة، واندلاع حرب العام 1792 مع جيران فرنسا. لقد اعلنت جمهورية فرنسا في العام 1792، واعدم لويس السادس عشر بالمقصلة في العام 1793. منعت السلطات الثورية الجديدة المسيحية، والنظام الإقطاعي.

وصل التطرف قمته في فترة الإرهاب 1795 – 1796 وكردة فعل استطاع الجنرال المعروف نابليون بونابرت من تسلم مقاليد الحكم عقب انقلاب عسكري في العام 1799، وقد ذاع صيته بسبب انتصارته على النمساويين في العامين 1795 – 96، وغزو مصر في العام 1798. أصبح نابليون قائد حرب متفوقًا خاصة بعد هزيمته النمسا في العام 1800، وثانية في العام 1805، وبروسيا في العام 1806. تميزت قيادته بتبنيها الحركية العالية، وتركيز قواته لدى الهجوم. سجل انتصارات في أولما العام 1805، واوسترليتز في العام 1805، وييناً في العام 1806.

داخل فرنسا، ادار نابليون دولة حرب بنظام دكتاتوري، وسعى إلى إحداث بعض الإصلاحات، من بينها القانون المدني. لقد امتد نفوذه ليصل إلى أسبانيا في العام 1808، وروسيا في العام 1812. في أسبانيا خاض صراعا عنيدا، وفي روسيا حلت به كارثة سريعا بسبب انحلال جيشه، وانهزامه امام هجوم برد

روسيا، وقوات الكسندر الأول، الملك، الذي رفض التفاوض مع الجيش الفرنسي بعد ان وصل إلى موسكو. بعد ذلك، وبعد هزيمة لايبزيغ في العام 1813، أنهارت إمبراطورية نابليون. تعرضت فرنسا لهجوم متحالف في العام 1814 ما أُجبِر نابليون على التنازل عن العرش. عادت ملكية بوربون الفرنسية للحكم بشخص لويس الثامن عشر. تحدى نابليون الحكم من منفاه في جزيرة البا في العام 1815. واستعاد حكم فرنسا بسهولة، لكن ممثلي القوى الأوروبية الذين اجتمعوا في كونغرس فيينا في العام 1814 - 1815 لم يكونوا مستعدين لتقبل عودته. غزا نابليون بلجيكا، وسُحِق من قبل البريطانيين (بقيادة دوق ويلينغتون)، والجيوش الألمانية، والبروسية في واترلو. تم نفيه بعدها إلى جزيرة سانت هيلينا النائية الواقعة تحت حكم بريطانيا، وبقي هناك حَتَّى موته في العام 1821.



كان نابليون بونابرت جنرالاً بارعًا ، ولكنه انتهى بغزو روسيا

المستوطنات الاستعمارية

لم تسيطر القوى الإمبراطورية على الأراضي فحسب لكنها اقامت مستوطنات لمواطنيها، وهذه العملية ازدادت بفضل ارتفاع التعداد السكاني العام للعالم في اواسط القرن الثامن عشر، وتحسن وسائل الاتصال. لم تكن هذه العملية جديدة فلقد كانت الصين تستوطن مواطنيها في زينكيانغ، وروسيا، وسيبيريا، والإنكليز في ما عرف فيما بعد بالولايات المتحدة. لقد تصاعد الاستيطان في القرن التاسع عشر بفضل السفن البخارية التي استطاعت حمل اعداد كبيرة من الناس للمناطق الجديدة. وصدق الحال بشكل واضح على بريطانيا في مناطق كندا، وأستراليا، ونيوزيلندة، وما فعلته فرنسا في الجزائر.

لم تكن المستوطنات الاستعمارية تُعامل من قبل دولها بنفس الطريقة، فقد حولت بريطانيا مستوطناتها إلى تشكيلات للحكم الذاتي، ومثاله ابنية البرلمان البريطاني في اوتاوا، وكندا، ومنحت بريطانيا تدريجيا عنوان المستعمرة المستقلة لعدد من المستوطنات في أستراليا، وكندا، ونيزلندة، وجنوب أفريقيا. بينما بقيت الجزائر كجزء من فرنسا الكبرى (المتروبوليتان) مع تمثيلها الخاص في التشكيلة البرلمانية بباريس. نجحت المستوطنات الاستعمارية حيثما كان تعداد السكان الاصليين قليلا كما في أستراليا. مع ذلك تدهور حال المستوطنات الاستعمارية البيضاء في الجزائر، وأفريقيا في الخمسينيات إلى درجة شكل فيها المستوطنون من أصول أوروبية، اقلية في المستعمرة.

المستعمرات العقابية

كان البريطانيون أول من أسس المستعمرات التي تستفيد من عمل السجناء في تطويرها مُنذ 1788 كتلك التي اوجدوها في أستراليا. أما الخطوة التالية فقد شوهدت في القرن التاسع عشر بهيئة سلسلة من السجون في البلدان الأم كبناء مستعمرات العقاب الروسية في سيبيريا.

معركة التحرير في أمريكا اللاتينية

لم تكن القوة الأوروبية ما وراء البحار هي المتفوقة دائما في القرن التاسع عشر. فمع نهاية العقد 1810، وبداية العقد 1820، تهاوت القوى الأسبانية، والبرتغالية في أمريكا اللاتينية. لقد امتحن غزو نابليون أسبانيا في العام 1808 قوتها. وكرّس ملك أسبانيا فردناند السابع في العام 1814 محاولاته منْ أَجل استعادة هيبة حكمه من الوضع السيّئ الذي نشر النزاعات من المكسيك وحَتَّى تشيلي. وكما في حرب استقلال أمريكا لم تتمتع القوى الثورية بنجاحات سهلة.

كان البعد الدولي للنزاع خطيرا جدا، كما كان الحال في أمريكا الشمالية. فقد اهتم البريطانيون مُنذ زمن بعيد بالتغلغل التجاري في أمريكا اللاتينية، لذا ساندت استقلالها من الاستعمار الأسباني. لعب المتطوعون، والدبلوماسيون، والقوى البحرية الداعمة دورا في إنهاء التدخل الفرنسي باسم أسبانيا. وحال حصولها على الاستقلال لم يتمكن الأسبان - أو البرتغال من

استعادة السيطرة عليها. تطورت العلاقات التجارية الوطيدة بين أمريكا اللاتينية، وبريطانيا خاصة في مجال الاستثمار، وبنشاء السكك الحديد. أصبحت الارجنتين جزءًا من الإمبراطورية البريطانية غير الرسمية حَتَّى تم خلعها على يد الأمريكان.

ادت الحروب إلى زعزعة بيروقراطية الدولة الاستعمارية، وظهور عصابات الكواديللو عوضا عن المنظومة المؤسساتية، لذا سادت مظاهر العنف على أيدي الزعماء المحليّين الذين وضعوا أيديهم على الأراضي، وقاموا بتسليح المستفيدين لبناء نوع جديد من القوة الشخصية لا مؤسساتية. أصبحت القوة هي الشكل المتعارف عليه لإدارة الأمور المدنية، وغالبا ما كانت الوسيلة الوحيدة لانتقال السلطة.

سيمون بوليفار

بمثابة جورج واشنطن الأسباني - الأمريكي، عاش بوليفار بين (1783 - 1830) ولعب دورا رئيسيا في هزيمة أسبانيا. خاصة بدفع الأسبان خارج كولومبيا في 1819 وفنزويلا في 1821 والإكوادور في 1822 وبيرو في 1824 وبوليفيا في 1825. ان حياته الصعبة التي تواصلت خلالها الابتلاءات ساعدته على تقبل الهزائم في العقد 1810. على أي حال وجد (المحرر) انه من الصعب التأسيس للاستقرار السياسي في المناطق التي نالت استقلالها للتو، ومات على خلفية من الإخفاقات.

إنهاء العبودية في العالم الجديد

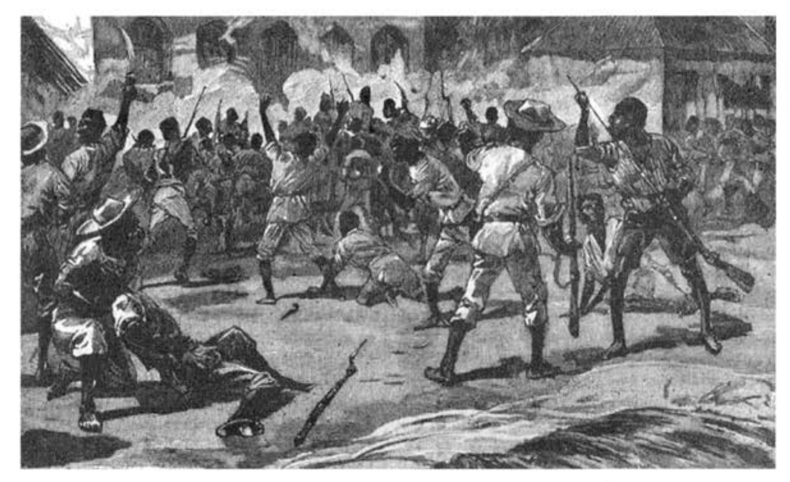
مع العام 1800 كانت الأمريكتان تحتضنان اقتصادات عملاقة تستند إلى نظام العبودية، خاصة في البرازيل، والكاريبي، وجنوب الولايات المتحدة. بداية القرن التاسع عشر أصبح إنهاء العبودية رسالة مهمة، ويعود ذلك بشكل أساس إلى المسيحية الإنجيلية، ما أدى إلى إنهاء تجارة العبيد في بريطانيا مع حلول العام 1807 ثُمَّ إنهاء العبودية نفسها بداية في المستعمرات البريطانية بين الأعوام (1833 – 38)، وفي المستعمرات الفرنسية في العام 1848، وفي الولايات المتحدة في العام 1865، وفي البرازيل البلد الأولى بالعبودية في العام 1888. فقد دخل ريو دي جانيرو عشرة اضعاف ما دخل الولايات المتحدة الأمريكية برمتها من العبيد.

تغيرت دول العبودية بشكل كبير بعد إلغائها. فقد ترك الكثير من العبيد الانديز الغربية البريطانية وهاجروا للبحث عن أراضٍ تخصهم للعيش من الزراعة. لقد ضرب هذا التوجه إنتاجية الشركات المنتجة للسكر، وأرباحها، إِذ كان استخدام العمال من غير العبيد اغلى بكثير، ولم يثبتوا نفس الكفاءة في العمل. عانت اقتصاديات مزارع المستعمرات من هبوط حاد بالصادرات بسبب كونها اقل حظا بالاستثمار، ولا تقوى على تغطية الواردات البريطانية. الكثير من العبيد لم تتغير حياتهم كثيرا، وبقوا معتمدين على اسيادهم السابقين، أو اللاحقين واستمروا بتقبل المعاملة القاسية. بالإضافة إلى ذلك بقيت مسألة التمييز العنصري شاخصة في خلال تلك المرحلة، ففي البرازيل،

وكوبا نشأت حكومات ابناء الجلدة الواحدة، إِذ وجد اصحاب الجلدة الاغمق لونًا انفسهم في خانة التمييز العنصري والتهميش.

العمل بالسخرة

ان اقتصاد القرن التاسع عشر المتوسع عالميا استمر بالاعتماد على العمل بالسخرة الذي انتشر بشكل كبير في القرنين السابع عشر، والثامن عشر منْ أَجل إرسال العمال البيض إلى أمريكا الشمالية. وفي مقابل مرورهم، والحصول على الموافقات الخاصة اضطروا للقبول بشروط عمل مضنية عدة سنوات.



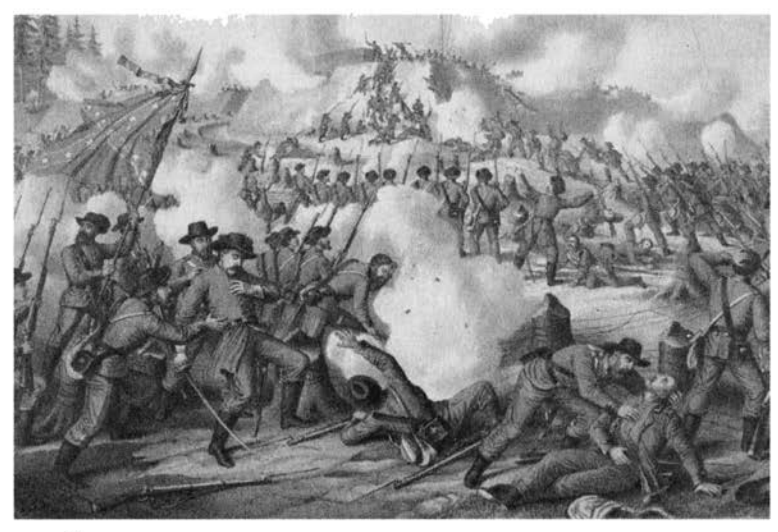
إنهاء العبودية في جزر الكاريبي جاء بتحديات اقتصادية جمة. فظروف عيش العبيد المحررين تغيرت قليلا، واضرمت شرارة ثورة مورانت بأي في جمايكا في العام 1865

فبعد إنهاء العبودية في العالم البريطاني، كان المصدر الرئيسي لليد العاملة هو الهند، وكانت عقود السخرة باثمان بخسة زودت بها الانديز الغربية خاصة ترينيداد، وغويانا البريطانية، وجنوب أفريقيا، وفيجي، والمستعمرات الأخرى. استخدمت منظومات مماثلة في أماكن أُخَر. في كوبا، وبيرو استخدم العمال الصينيون في السخرة، ووجدوا انه، على الرغم من كونهم من غير العبيد، إلّا أنهم لم يستطيعوا شراء تحرّرهم من التزاماتهم التعاقدية القاسية. لطالما ذكر النقاد، وقولهم حق، بان عقود العمل بالسخرة كانت وجها اخرَ لتجارة العبيد.

الحرب الأهلية في أمريكا 1861 - 1865

أصبحت قضية العبودية مسألة أساسية في الولايات المتحدة. فانتخاب إبراهام لنكولن رئيسا للولايات المتحدة في العام 1860 ورغبته في عدم وصول العبودية إلى الولايات، التي لم تدخل التشكيلة المتحدة رسميا بعد، ادّيا إلى انشقاق الجنوب، وتأسيس الولايات الكونفدرالية الأمريكية. وكان لنكولن يجادل مع الجمهوريين في أهمية الوحدة الأمريكية لضمان مستقبل البلاد، وان سيطرة الحكومة الفدرالية على الولايات هو عنصر مفتاحي لتحقيق ما يعرف بالامة الأمريكية. على أي حال لم تعد الاحزاب الوطنية فاعلة، وكانت ديمقراطية الجماهير الأمريكية تترنح. ولم تعد التسويات الخاصة بالعبودية مصدرا للإجماع بين الجنوب، والشمال.

اندلع الاقتتال في نيسان العام 1861 عندما قصفت القوات الجنوبية حامية حصن سومتر الفدرالية في ميناء تشارلستون. وقد احبطت التوقعات بإنهاء الحرب سريعا بسبب ثبات دفاعات الجنوب. ومُنذ العام 1863 عند هزيمة الكونفدراليين في كتيزبيرغ، آخر معاقلهم الشمالية، تراجعت احتمالات انتصار الجنوبيين. لقد عزز انتصار لينكولن في انتخابات العام 1864 التماسك السياسي في الشمال تاركًا الجنوب دون خيارات تذكر. حاصرت بارجات الشمال الحربية الجنوب. في هذه الأثناء كانت القوات الشمالية قد تغلغلت جنوبا بفضل استعراض الجنرال شيرمان من اطلنطا إلى الأطلسي، وهي الإستراتيجية التي اعتمدها لإيقاف دعم الجنوب من خلال تحطيم معنوياتهم.



طباعة حجرية تصور الهجوم على فورت ساندرز، 1863، إحدى أكثر المعارك دموية في الحرب الأهلية الأمريكية

مع نهاية العام 1864، اقترب جنرالات الاتحاد خاصة شيرملن، وأوليسيز اس كرانت من الانتصار لتستسلم قوات الجنوب اخيرا في نيسان وأيار العام 1865.

عند استسلامه في العام 1865 اخبر قائد جيش الجنوب روبيرت أي لي رجاله بانهم هُزموا بسبب تفوق موارد الاعداء. ومن المؤكّد أن قوة الاتحاد كانت تكمن في موارده البشرية، وجباية الضرائب، والإنتاج الصناعي، والزراعي، والتجارة، والاجرة الميلية للسكك الحديد، ونقل البضائع نهريا، والثروات الثمينة الأخرى. مع ذلك فمن المهم جدا الالتفات إلى المسببات الأخرى لقوة الاتحاد كتضافر الخبرات، واغتنام الفرص التي وفرتها المؤسسات في مجالي الاتصال، والترتيبات اللوجستية. وكانت هذه المرة الأولى تشهد فيها أمريكا تحريك الرجال، وتجهيزهم بهذا العدد الكبير. من الأمور المهمة الأخرى الإصرار السياسي، ما أدى إلى إيجاد التسهيلات، والوسائل لتسوية ما يحول دون إنهاء الحرب.

القدر المتجلي والتوسع الأمريكي

دفع الايمان بقدر الولايات المتحدة من قبل الأمريكيين النهمين للأراضي، والمعادن الثمينة إلى توسيع سيطرتهم على حساب السكان الاصليين. عانى الأمريكيون من الهزائم أيضًا خاصة في ليتل بيغ هورن عند هزيمة جورج كاستر في أثناء تفوق شعب سو العددي علي قواته في العام 1876، لكن، بشكل

عام، كان السكان الاصليون يعانون من الهزائم المتكررة. لقد اصيب السكان الاصليون أيضًا بجدري الماء، وبالجفاف الذي اودى بالثيران التي كانوا يعتاشون عليها. دمرت قوات الحكومة الأمريكية المحاصيل، والقرى. لقد تميزت الجيوش الأمريكية بالحركية العالية، إضافة إلى قوة تسليحها، وإمكانية اقامتها الغارات الشتوية ما عزز من فرص انتصار الحكومة الأمريكية.

أجبرت قوات الجيش السكان الأصليين على الإقامة في محميات غالبا ما كانت تشغل أراضيَ جرداء، وعززت من الإندماج الاقتصادي للأجزاء الغربية عن طريق إقامة المستوطنات وتشجيع إنشاء السكك الحديد. لم تشهد كندا التابعة للحكم البريطاني (كندا البريطانية) المستوى نفسه من العنف ويعزى سبب ذلك إلى العدد القليل من المستوطنات. وكانت الحكومة تراعي السكان الأصليين بشكل افضل.

في هذه الأثناء كان النمو الاقتصادي يغير من حال الداخل الأمريكي. لقد مكنت محاريث الفولاذ من التغلب على التربة العنيدة لأواسط الغرب. ظهرت أهميتها في المروج الكندية أيضًا. ساهمت السكك الحديد بنقل الماشية، والمحاصيل بين الموانئ، والمدن.

شراء لويزيانا

في العام 1803 باع نابليون مستعمرة لويزيانا إلى الولايات المتحدة مقابل 15 مليون دولار. كانت الخطوة لإيقاف الاستهداف البريطاني لها وللحصول على ما يمول عمليات أوروبا. وهذه الخطوة مهدت لإنشاء ولايات مونتانا وديكوتا الشمالية والجنوبية ومينيسوتا ووايومينغ وكولورادو ونبراسكا وايوا وكانساس وميزوري واوكلاهوما واركانساس ولويزيانا. وواقعا كانت جميع الأراضي المكتسبة هي للسكان الأصليين لأمريكا.

الثورة الصناعية

شهد القرن التاسع عشر تحولا حقيقيا في الإمكانيات الصناعية للمجتمعات المتقدمة. تطبيقات القوة البخارية غيرت من الصناعة عموما، وفي النقل، أيضًا، وبتداخل التطور في هذين المجالين، ظهرت الثورة الصناعية. تحولت الأفكار المثالية إلى واقع حال ملموس. ان التطور الصناعي استمر بخلق فارق بين الدول الصناعية المتقدمة، وبقية بلدان العالم. فقد زادت القوة الشرائية للعمال نتيجة زيادة الطلب للمنتجات الصناعية والغذائية. ان عيشهم في المدن جعلها تستجيب للتطور السريع الذي بات واضحا في القرن التاسع عشر.

في نيوكاسل في بريطانيا التي مثلت المركز الهام لتصنيع الفحم ازداد النمو السكاني من 28.294 في العام 1801 إلى 215.328 في العام 1901. كانت صناعة الانسجة، وصهر المعادن، وتشكيلها

هي الرائجة آنذاك. لكنها مع الدخول إلى القرن التاسع عشر ركزت تدريجيا على الصناعات الهندسية، وبناء السفن، والكيمياوات. أنتجت الحركة الصناعية منتجات جديدة مكنت بلدانها مثل بريطانيا على دعم التجارة الحرة. نتج عن ذلك قيام أسواق أجنبية ما اخرج المنافسين الأقل كفاءة من سوق العمل.

خيرات غيرت العالم: الفحم

كمادة وقود سهلة النقل والسيطرة، يُعَدّ الفحم مادة كفوءة في توليد الحرارة أكثر من مواده الخام الخشب والفحم النباتي. كان الفحم هو مادة تشغيل المحركات البخارية، أيقونات العصر الجديد. زار الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون مطحنة البيون البريطانية المشغلة بقوة البخار، لدى زيارته لندن في 1786، وكانت بريطانيا هي الرائدة في الإنتاج وحسن استخدام الموارد المتاحة. لقد كان معدل الإنتاج السنوي للفحم الأسود والبني (ليغنايت) بالاطنان المترية المكعبة بلغت 18 لبريطانيا بين 1820 - 1824 وطنين لفرنسا وألمانيا وبلجيكا وروسيا. أما بقية القوى الصناعية الأوروبية مجتمعة فقد تباينت الأرقام فيها للفترة من 1855 - 1859 بين 68 و32. كتب ويليام كوببيت في 1830 حول شمال المملكة المتحدة قائلا: «على طول الطريق الممتدة بين ليدز وشافيللد ترى الفحم والفولاذ والفولاذ والفحم ... لا شيء ... لا شيء أروع ولا ابهى من موجات اللهب الأصفر للنيران المتصاعدة من المداخن ... ».

قوة البخار

مثلت المحركات البخالرية علامة فارقة للعالم الجديد، وقد تصدرت بريطانيا هذا المجال لوفرة إنتاجها من الفحم، ومشاريعها المستثمرة في هذا الحقل. لم تكن جميع الاختراعات على نفس المستوى من الأهمية، فالمضخة البخارية التي قدمها توماس سافوري في العام 1698 لم تكن ذات فائدة تذكر مقارنة بما قدمه توماس نيوكومان في العام 1712 عندما عرض أول محرك بخاري. أما جيمس واط (1736 – 1819) فقد اكتشف المكثف البخاري الذي زاد من كفاءة وقود المحركات بشكل كبير وقد عرض أول محرك بخاري بشكله المتكامل في العام 1776. في العام 1779، قام جيمس بيكارد أحد أصحاب الصناعات في برمينغهام بترتيب عتلة، وعجلة لنقل الحركة الدائرية على محرك نيوكومان منْ أَجل استغلال قوته لتشغيل مطحنة للمعادن. لقد وسع هذا الاكتشاف من سوق المحركات البخارية التي تشعبت استخداماتها على يد المخترع واط. فمحرك الويل فرجين في العام 1790 استعيض به عن جهد 953 حصانا.

لقد استخدمت المحركات البخارية للتعدين، وتحريك الالآت الصناعية. مع حلول العام 1800، تم إنشاء ما يقارب من ألفي قطعة، وكلها خيارات للتغيير. لقد ساعدت السفن، والمطاحن، والالات البخارية الأخرى على استبدال القوى التقليدية سواء أكانت بشرية ام حيوانية، ام ما استغل من قوة الهواء، والماء، واحتراق الخشب. لقد أدى ذلك إلى تغيرات كبرى

في الإنتاج الاقتصادي، وانعكس على سبل الإدارة، وطبيعة العمل، والإحساس بإمكانية التغيير، وتحقق هذا التغيير الحياتي فعلا. ولكونه مصدرا متنقلا للوقود، انتقلت المعامل المعتمدة على قوة المياه الجارية للأنهار إلى مناطق تركز فيها إنتاج الفحم.

التنقل: السكك الحديد

تزامن ازدهار تكنولوجيا البخار وأعمال الفولاذ المعتمدة على وقود الفحم، مع تطور وانتشار السكك الحديد. بدأت مع عقد 1820 كوسيلة لنقل الفحم إِذ كان الخط الأول بين ستوكتون إلى دارلينغتون في بريطانيا. لقد تغيرت طبيعة التجارة وحددت مقدرات المدن والحكومات وكان للسكك أيضًا الأثر الأكبر في الحرب. واختلفت عن القنوات النهرية بنقلها المسافرين أيضًا. لقد امتدت السكك الحديد على مساحات شاسعة من العالم مع حلول القرن التاسع عشر. فبعد ان أُسست لأول مرة في بريطانيا انتشرت في الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية والمستعمرات الأوروبية في الهند. فبالإضافة إلى مد السكك الحديد، تطلب الامر إقامة الجسور والمحطات وصناعة القاطرات.

لقد عبرت السكك الحديد القارات وهي تمتد عبر أمريكا لتغطي سيبيريا أيضًا. لقد أصبح نقل الحمولات ايسر ما عزز الاقتصادات وطور الفرص المتاحة على المستوى التجاري. مدن مثل شيكاغو وفانكوفر وبوينوس ايريس تدين بنموها وإعادة تشكيلها لمنظومة النقل الجديدة. لقد حفزت السكك الحديد البنية

الحضرية ووسعتها بتوفير إمكانيات انتقال العوائل حديثة الغنى إلى مناطق الأطراف. لقد اعيد التخطيط الحضري للمدن وفقا لخط سير السكة الحديد منْ أَجل حساب مسافات المحطات ومحاولة توفير المطات الرئيسية في مراكز المناطق السكنية. وانعكس هذا على مشهد الطرق والشوارع المحاذية للسكك والمناطق المتاخمة لها. وقد مهدت لاستكمال منظومة النقل من توفير الباصات وسيارات الاجرة حَتَّى وصلت إلى منظومة النقل العام المتمثلة بشبكة النقل عبر الانفاق.

تكنولوجيا الاتصالات

طور صاموئيل مورس، الأمريكي، منظومة مبسطة لتوليد الإشارات، وانتقالها عبر تقنية جديدة عرفت بالتلغراف. عرفت فيما بعد بشفرة مورس. في العام 1838، استطاع نقل عشر كلمات في الدقيقة عبر نظام النقطة، والشرطة. في العام 1843، طلب من الكونغرس دعم إقامة خط للتلغراف من واشنطن إلى بالتيمور. في بريطانيا استخدم التلغراف الكهربائي مبدئيا من قبل الشركات الخاصة لنقل المعلومات الخاصة بالقطارات لاتساع شبكة السكك الحديد، وملحقاتها بعد ان فتحت للاستخدام العام. لقد انتشرت الاخبار الاقتصادية والمعلومات بشكل سريع. على الرغم من مقارنة أداء منظومة كايبلات التلغراف العالمية بما يناظرها اليوم من الشبكة العنكبوتية إلّا أن الإخفاق كان واردا من ناحية المصداقية وسرعة نقل المعلومة، وكثافة الشبكة الناقلة.

لقد اقترن انتشار النظام البريدي مغ توسع خطوط السكك الحديد، وخدمات السفن البخارية. ازداد الطلب على وسائل اتصال سريعة، ورخيصة التكلفة ما طوّر نظام التلغراف، ومِنْ ثَمَّ التلفون. في العام 1840، استبدلت الحكومة البريطانية النظام القديم الذي يحسب تكلفة كل قطعة بريدية بإصدار طابع (بيني بلاك) الطابع البريدي الأول في العالم الذي وحد التعرفة البريدية، بسعر رخيص نسبيا. ارتفع عدد الرسائل المرسلة في بريطانيا من 82.5 مليون في العام 1839 إلى 411 مليون في العام 1853. أدى ذلك إلى بناء ثقافة بريدية ارتفعت معها المراسلات، وأصبحت وسيلة موثوقًا بها ومعتمدة. لم تنحصر العملية على أوروبا وانما تطور النظام البريدي الهندي لينافس نظيره من الأنظمة الأوروبية. وفيما كان عدد المواد البريدية قد بلغ 3 مليارات في العام 1876، إلّا أنها وصلت إلى 31 مليارا في أوروبا في العام 1928. ولم تتعدَ المكالمات التلفونية ذلك العدد حَتَّى العام 1972. في عصر الإنترنت يبدو النظام البريدي التقليدي محدودا للغاية، وخارج زمن الاتصالات. في عهدها الأول، كانت عكس ذلك، وسيلة معتمدة بشكل كبير، ومنتظم، ولم تعتمد على العلاقات الشخصية.

عمل الكساندر كراهام بيل (1847 – 1922) على إمكانيات التطوير السريع للابتكارات التكنولوجية للثقافة الغربية. عمل على الرئة الحديدية، والقارب المزعنف، وجنيح المؤخرة للطائرة، والهاتف الضوئي الذي ينقل الكلام بهيئة الضوء بالإضافة إلى

التلفون. لقد أنشأ بيل منظومة تلفون متكاملة عبر أمريكا تميزت بالتكامل، والمطابقة للمعايير المطلوبة. في العقد 1890، انتكس ابتكاره، واندفعت شركات الهاتف الأخرى إلى السوق الأمريكية باعتمادها لوحات التبديل الالكتروميكانيكية. وبانتفاء الحاجة إلى عمال البدالة أصبحت الخدمة ارخص، واسهل وازداد استخدام الناس لها. بالإضافة إلى الحميمية التي يحملها الصوت، وسهولة التواصل مقارنة مع مشقة التواصل عبر التلغراف. بحلول العام 1912، كانت أمريكا تستخدم سبعة ملايين هاتف أرضي.

القومية

شهد القرن التاسع عشر تصاعدا بالوعي الوطني الذي قاد إلى التأميم، وخضوع بقية القيم لفكرة الامة التي تحتل مساحة معينة من الأرض. لقد رافق التوجه تعقيدات فكرية، وأيديولوجية مهمة بينما انهمكت الدول الأقوى في تعزيز اتصالاتها، وأنظمة تعليمها الوطنية، ومحو امية القراءة والكتابة، وتعزيز الصناعة، والواقع الحضري، والأنظمة الديمقراطية، كانت هذه كلها متطلبات ضاغطة لتحقيق وجود الامة.

تتسم القومية بالرمزية، فمصطلحات مثل الوطن الام، أو الوطن الاب (عند الألمان)، وأرض الوطن شجعت على القومية مع تداعي الولاءات الأخرى كالمحلية. هيأت القومية الأرضية المناسبة للدينامية الجماعية إذ احتضنت تطورات رديفة كالامتياز الذكوري العالمي.

يسرت القومية من عملية التجنيد بسبب تبني الأيديولوجيا الجديدة للمفاهيم الثورية، والقومية. وبالتاكيد كانت غايتها تذويب الفاصل القائم بين ما هو مدني، وعسكري منْ أَجل غاية مشتركة. ادت القومية إلى إقامة الدولة. إذ حولت إيطاليا (1860 - 61)، وألمانيا (1866) إلى وحدات سياسية. في كلتا الحالتين كان سقوط النمسا، الإمبراطورية متعددة القوميات، المحكومة من قبل أسرة هابيسبورغ الحاكمة امرًا جوهريا. لقد كانت إيطاليا تابعة لمملكة بايدمونت، وألمانيا لمملكة بروسيا. لكنهما مع انفصالهما أصبحتا دولتين مستقلتين بادوار جديدة.

عموما، عزز تطور الديمقراطية القومية، وعارض التوجهات الإمبريالية. نتيجة لذلك حلحلت القومية الاوضاع لتطلق حركات التحرر ضد الاستعمار، والحكم الإمبريالي خاصة في بولندا، وفنلندا، ضد الروس، وفي الهند، وإيرلندا ضد بريطانيا.

التاريخ يعتلي مسرح الأوبرا

قرأ الموسيقيون الطليان العظماء الأحداث التاريخية بطوليا. في العرض الاوبرالي نورما (1831) الذي عرضه فينكينزو بيلليني (1801 - 35) جمع علمين متوازيين لبلاد الغال تحت الحكم الروماني وإيطاليا تحت الحكم النمساوي. وبينما كان كايوسيب فيردي (1813 - 1901) يراعي الـ (ريسوركيمنتو = حركة اجتماعية وسياسية ظهرت لتوحيد شبه الجزيرة الإيطالية) والرقابة النمساوية الشديدة، استعار اشارات تاريخية بليغة

وغير مباشرة في أعماله. في نابوكو (1842)، استعار حالة العبيد اليهود المنفيين إلى العراق للإشارة إلى الطليان المقهورين. بينما في عمله معركة ليكنانو في 1849، استثمر هزيمة الإمبراطور الألماني بارباروسا من قبل الرابطة اللومباردية في 1176، كدعوة جماهيرية موجهة لجمهور وقته. أما في عمله (قوة القدر) 1862، فقد عرض هزيمة فيليتري في 1744 المتكبدة من قبل النمسا على يد نابولي. لقد دعم الجنرال الإيطالي غاريبالدي وحملته في 1860 وخدم في البرلمان الإيطالي.

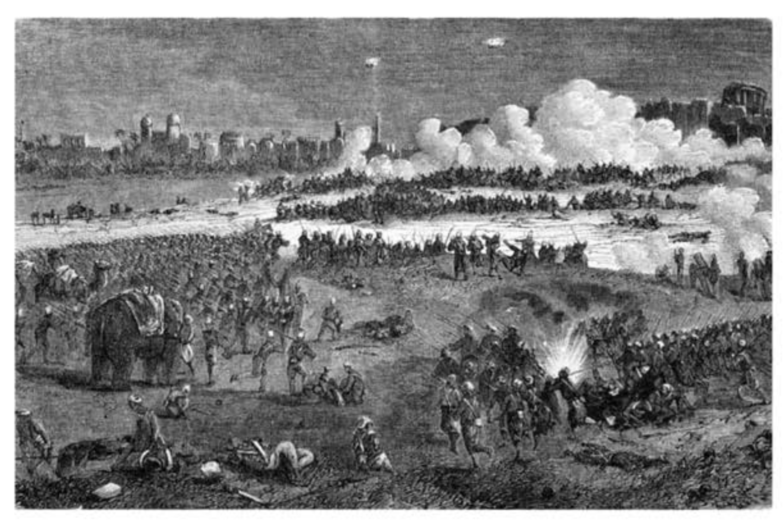
لقد عرضت بقية الأعمال الاوبرالية الإيطالية الحاضرَ كما يتضح في مسرحية (الواقع) التي عرضت في عقد 1890، حَيْثُ صورت الفلاحين كما هو الحال في (الخيالة القرويون) 1890، لبيترو ماسكاغيني، وأيضًا عرضت سكان العشوائيات كما في (حياة سيئة) لاومبيرتو جيوردانو، في 1892. ولكون هذه الأعمال الاوبرالية هي من صنيعة صقلية ونابولي فقد عرضت جنوب إيطاليا لبقية سكانها.

الراج (الحكم في الهند)

ان تأييد الهويات القومية في أوروبا لم يرافقه الاحترام المطلوب للشعوب خارج أوروبا. ان سقوط إمبراطورية الموغال (المغول الهنود) زاد من توسع أوروبا في الهند. لقد وجدت الشركات الأوروبية الكبرى موطئ قدم لها في الهند مثل شركة بريتيش ايست انديا البريطانية وVOC الألمانية، وكانتا بؤرتين لتنظيم

السيطرة المتزايدة على شبه القارة الهندية. بعد فترة قصيرة توجه الاهتمام الألماني إلى جزر البهارات في إندونيسيا ما اطلق الحرية ليد بريطانيا في الهند. قاد روبرت كلايف القوات البريطانية في معركة بلاساي العام 1757، التي على اثرها سيطرت الشركة البريطانية على البنغال بعد هزيمة نوابها. هزيمة مدينة مايسور الهندية في العام 1799 وماراثاس في العام 1803، كانت بادئة مهمة لتوسع عالي النطاق تمكن البريطانيون من خلاله السيطرة على معظم اجزاء الهند، وإخضاع الاجزاء الأخرى، وجعلها تابعة لهم. عكس منافسيهم، استطاع البريطانيون تطوير إستراتيجيات، وبرامج يتم تبنيها في كل انحاء الهند. على الرغم من انهم خسروا قسما كاملا من الهنود الإنكليزيي الاصل بسبب حملة فاشلة للإخلاء من شتاء أفغانستان في العام 1842، لكنهم أسسوا مستعمرة ماراثا المستقلة غربي الهند في العام 1818، واراكانن وتيناسيرمين بورما (ميانمار) في العام 1826، ومايسور في العام 1831، والسند في العام 1843، وبنجاب بعد حربين مريرتين مع السيخ في العام 1849. لعبت القوات الهندية دورا هاما في تحقيق هذه النجاحات البريطانية.





في العام 1857، اندلعت الثورة الهندية الكبرى ضد البريطانيين في الهند

انتزعت الملكية الحكم على الهند بشخص الملكة فكتوريا من الشركة المسيطرة العام 1858، وقد توجت إمبراطورة لدلهي دوربار في العام 1877.

بقي معظم الهند تحت حكم امراء محليين بسبب التعددية والحاجة إلى الدعم المستمر. في الوقت ذاته أصبحت الهند اكثف المناطق السكانية للإمبراطورية البريطانية.

الثورة الهندية (1857 - 1859)

تعد الثورة الهندية ضد الحكم الأوروبي من أكبر الثورات التي شهدها القرن نتيجة لتمرد الكثير من الجنود الهنود الذين خدموا لصالح بريطانيا. كان موضوع خدمتهم خارج الهند نقطة ضعف واثارت الاوامر القاضية باستخدام الشحم الحيواني

لدهن السلاح والحفاظ على جفاف البارود الحفيظة لدى الجنود من طائفتي المسلمين والهندوس معا لتحفظهما الديني على هذه الاوامر. لكن مع الدعم الكبير للجيش الهندي والامراء المتنفذين خاصة في حيدرآباد، وكشمير والنيبال، استطاع البريطانيون على الرغم من المعارك الطاحنة من التغلب على الثورة التي افتقرت إلى القيادة. في التاريخ الهندي العام تتم الإشارة إلى الثورة كأول حرب للاستقلال في الهند واحيانا على انها مجرد تمرد.

سقوط تشينغ

عانت الصين أيضًا من تداعيات اقتصادية، وسياسية نسبيا في القرن التاسع عشر. فمع تعداد سكاني بلغ 450 مليونا في العام 1850، اخفق البلد في بناء قاعدة صناعية مناسبة على عكس ما كانت عليه في السابق. فقد وضع الغرب بقدرته على أن يكون مركز الروابط الاقتصادية العالمية، والمستفيد الأكبر من عملية العولمة، الدولَ غير الغربية في زاوية الضعف الاقتصادي.

نسبيا، أصبحت الصين أضعف في القرن التاسع عشر، ويعود جزء من السبب إلى الانقسام الداخلي للبلاد، والإخفاق في تبني الأفكار، والممارسات في التحول الصناعي، والحوكمة الرصينة مقارنة بالغرب.

إضافة إلى ذلك فان حروب الأفيون (1839 - 1842)، (1856 - 1860) التي هاجمت في خلالها بريطانيا الصين دفاعا عن هذه التجارة زعزع الوضع الصيني بالكامل.



حرب الأفيون (1839 – 1842) كانت المرة الأولى التي تشنّ دولة أوروبية غربية حربا على الصين

مع أواخر عقد 1830، عُدّ الأفيون كوصمة عار على المجتمع الصيني بسبب تزايد عدد المدمنين. وعلى عكس هوى التجار البريطانيين اقترح مندوب الحكومة لين زيكسو منع المخدرات. ان الأرباح التي تجنى من تجارة الأفيون كانت أساسية للنظام المالي لتجارة الشاي في آسيا، وان الحرب تصاعدت بسرعة كبيرة إِذ تخلى الجانبان عن أي محاولة دبلوماسية للحل. فقد كتب لين مذكرة شديدة اللهجة للملكة فيكتوريا اعتراضا على تجارة الأفيون، وصف في سياقها البريطانيين بالبرابرة. ولان لا تغير لاح في الأفق مدةً من الزمن قامت السلطات الصينية بطرد التجار البريطانيين من كوانغزو، وتحفظت على عبوات الأفيون خاصتهم.

نزولا عند الضغط الشعبي، انهت بريطانيا المناصب الصينية الكبرى، وركزت في العام 1842، على اليانغتسي حَيْثُ تقدمت

قواتها منه إلى نهر نانجينغ. أدى انهيار الصين إلى التنازل عن هونغ كونغ بمعاهدة نانجينغ الموقعة في العام 1842. خفضت الاتفاقية من تعرفة البضاعة الإنكليزية على حساب حق الصين في تنظيم اقتصادها، ومجتمعها ما عوض خسارة الأفيون الذي دمرت تجارته في العام 1839، وفتحت خمسة موانئ للتجارة مع بريطانيا. كانت هذه هي المرة الأولى التي تشن فيها دولة أوروبية غربية حربا على الصين ما جعله الانتصار الأوروبي الأول على الصينيين.

مدن الإمبراطوريات

لقد اكتسبت المدن غير الغربية الكثير من مظاهرها المدنية من الهيمنة الغربية عليها مثل محطات السكك الحديد والشوارع والتلغراف والابنية والفنادق الكبرى. لقد اعادت القوى الإمبراطورية تشكيل المدن الموجودة لعكس أولوياتها الخاصة ومِنْ ثَمَّ تطوير مدن جديدة من المؤمل ان تلعب ادوارا هامة في مستقبل العالم الجديد المتوقع. في 1819، أسس البريطانيون سنغافورة كميناء عميق. مع 1860، صار تعدادها 80 ألف نسمة.

أما كوالا لامبور في ماليزيا فقد تحولت من مدينة فقيرة لجامعي الصفيح إلى مدينة تعداد سكانها بلغ 40 الفا مع حلول 1900. اتسمت بناياتها على انها من الطراز الإنكليزي الهندي حَيْثُ كانت كلكتا تعد ثاني أكبر مدينة في الإمبراطورية البريطانية.

كانت الساحة المركزية تحتضن سلسلة من المباني الحكومية ومنها المحكمة العليا 1872. تطورت هونغ كونغ بعد سقوطها بيد البريطانيين في 1841 إلى ميناء ومدينة مهمة. اكتمل المبنى الحكومي في 1855. أما بنك شانغهاي فقد أُسس في 1864 ولعب دورا هاما في تمويل التجارة.

اندلعت الحرب الثانية على الصين عندما ارادت بريطانيا فتح الصين كلها على التجارة الإنكليزية. وقد سعى هنري باركس قنصل كانتون بالوكالة، ورئيس الوزراء فيسكونت بالمرستون إلى الحرب. وكانت الذريعة الممتازة التي ناسبت نواياهم هي القبض على سفينة آرو بطاقمها الصيني من غوانغزو، بادعاء حملها العلم البريطاني. في العام 1856، تم قصف غوانغزو من قبل الإنكليز. احتلت القوات الانكلوفرنسية المدينة في الأول من كانون الثاني العام 1858 والتفت الانتباه إلى شمال الصين بعد ذلك باتجاه حصون داجو في تيانجين. وبعد الإخفاق في العام 1859، افلحوا في المحاولة العام 1860. ثُمَّ دحروا القوات الصينية خارج بيكين ودخلوا المدينة. وكانت هذه ضربة قاسية نالت من هيبة الصين. لقد تم تدمير القصور الملكية الصينية الصيفية كنوع من الثأر من الحكم الشمولي الصيني السابق. لقد اضافت المعاهدة في بكين العام 1860 كولون إلى هونغ كونغ. وتسلّمت بريطانيا، وفرنسا تعويضا، وشهدت الصين عهدا جديدا من الحريات الدينية، وافتتحت الصين للتجارة مجددا، ومن ضمنها تجارة الأفيون. كالقوى الإمبراطورية الأوروبية الأخرى سعى

البريطانيون إلى فرض مفاهيمهم، والعمل بأنظمتهم، وتقديم اهتماماتهم. بالمقابل نالت الهزيمة، والإذلال من هيبة نظام تشينغ ومكانته، ونتج عنها محاولات للإصلاح، انطلقت من حركة إصلاح الذات.

ان السبب الرئيسي للضعف الذي اعترى الصين في عقدي 1850 و1860 يكمن في ثورة تايبنغ. الصعوبات في الصين سبقت الضغط الأوروبي في عقد 1830 بكثير. فقد استشرى الفساد في المفاصل الحكومية، وضاعت إيرادات الضرائب والضريبة المدرة للفلاحين، وضعف سيطرة الحكومة المركزية على أقاليمها. لقد كانت ثورة الزنبقة البيضاء (1796 - 1805) باهظة الثمن البشري مقابل ما فضحته من اخطاء الإدارة العليا في البلاد، وفي الوقت ذاته كانت الصين تواجه تحديات إقليمية عصيبة على حدودها الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية. الجهود التي بذلت في الحملات المنتهية في العام 1873، زادت من التركيز على مصالح اليابسة التي تخص طبقة المانتشو المرفهة مقابل الإهمال الذي طال قضايا الحدود البحرية، والتشاطؤ.

تمرد تايبينغ

يُعَدّ تمرد تايبينغ (1851 - 66)، حركة إنعاش واسعة المدى لمملكة السلام السماوية التي استهدفت الإطاحة بأسرة تشينغ الحاكمة. كانت الحرب الأسوأ تدميرا من بين الحروب الاهلية كلها. نتج عنها قتل ما لا يقل عن 20 - 30 مليون شخص.

وتجاوزت بهذا الرقم قتلى حروب أمريكا الاهلية 1861 – 1865 باضعاف ولكنها من الحروب الكبرى التي لا يلتفت إِليها أحد. لعبت القناعات الأيديولوجية دورا أساسيا في التمرد والحرب وكانت مركب الحملات الثورية آنذاك. العقيدة هي التي عبرت بالجيوش المعارضة الأراضي المميتة وزادت من صمودهم بوجه اللوجستيات الفاشلة. حولت التيبينغ إلى أفراد لا تعني حياتهم لهم شيئا فأصبحوا مقاتلين اشداء إلّا أن قياداتهم المنقسمة ارتكبت الأخطاء الجسيمة. كانت أسلحة التايبينغ من الطراز القديم جدا فقد اعتمدوا كثيرا على رماة الرماح وحاملي المطرد والأسلحة النارية المحمولة على الاكتاف. وعلى الرغم من نجاح التايبينغ في السيطرة على مدينة نانجينغ في 1853، لكنهم هُزموا في النهاية في 1866.



ثورة التايبينغ 1851 – 1866 كانت أكثر الحروب الاهلية فتكا في التاريخ بقتلاها الذين تراوح عددهم بين 20 – 30 مليون من الضحايا

استعراش مايبجي

واجهت اليابان التطور الغربي، وقوته أيضًا، حين هاجمت أربع سفن حربية أمريكية بقيادة كومودور ماثيو بيري سواحل طوكيو في العام 1853 لفرض مطالب أمريكية بانفتاح اليابان على التجارة معها. لقد شكلت سفنه البخارية تهديدا جديدا لليابانيين بالإضافة إلى للضغوط البحرية المتقدمة التي اضطرت معها اليابان إلى قبول المطالب الأمريكية. اتبعت قوى أخرى الخطوات الأمريكية.

الضغط المتصاعد من هذه التغيرات أدى إلى حرب أهلية في 1868 – 1869 استعادت قوة الإمبراطور الحكم من توكوغاوا شوغونات الحاكمة آنذاك. أخمد النظام الجديد ثورة أخرى في العام 1877 وفتك بالثوار. لقد احكم إمبراطور المايبجي (الحكم المستنير) الحاكم بين (1867 – 1912) قبضته على الحكم متمكنا من أحداث فترة تغير سريع في البلاد شهدت في خلالها تضمين الفكر الحداثوي في مفاصل العمل، واعتماد نظام الولايات في اليابان، وهو نظام مركزي بيروقراطي. ظهرت صناعات جديدة من بينها صناعة السفن فارتفعت أعدادها من 26 في 1873 إلى 1514 في 1913. تم إنشاء سكة حديد. ومنْ أَجل تعزيز نظرته حول الهوية الوطنية اطلق الإمبراطور اللغة الرسمية المعتمدة في عهده.

لقد تمكنت الدولة الجديدة من التوسع خاصة باتجاه الأجزاء التي لم تخضع لسيطرة الصين، الدولة التي ارعبت اليابان ثقافيا.

لقد هزمت اليابان الصين في العامين 1894 - 95، المعركة التي الحقت اليابان بعدها فرموسا، أو تايوان اليوم بها. وأدى الانتصار على الروس في العامين 1904 - 1905 إلى إلحاق كوريا وازدياد التغلغل الياباني شمالي الصين. الأخيرة كانت عرضا دراميا لضعف أوروبا.

الصراع منْ أَجل أفريقيا

مُنذ زمن طويل، والتواجد الأوروبي في أفريقيا منحصر في شريطها الساحلي. ولكن مع ذلك توغلت أوروبا، بدايات القرن التاسع عشر في بعض المناطق الأفريقية مثل وادي السينيغال، وجنوب أفريقيا. تسارع هذا التوجه كثيرا مُنذ العقد 1880 بعد الاتفاقية التي ابرمت في كونغرس برلين من قبل القوى الأوروبية حول أفريقيا 1884 - 1885 والقاضية بالسيطرة على خيرات أفريقيا، ومواردها الخام، وأراضيها منْ أَجل الاستمرار على تتنافسها الاقتصادي والسياسي. استفاد الغزاة كثيرا من المساعدات المحلية من تأجير الجنود إلى استغلال الخلافات السياسية المحلية. فقد عرض الأوروبيون البدائل المناسبة لتهديد الحكام الافارقة، ما وفر محيطا مناسبا للبريطانيين، والفرنسيين غرب أفريقيا، وللبريطانيين في جنوب أفريقيا.

ان الجهود المبذولة لتحقيق التوسع الإمبريالي بينت درجة استثمار النمو الاقتصادي في الدول للاقتصاد العالمي المهيمن عليه غربيا، بالإضافة إلى المصلحة المتزايدة في توسيع رقعة الاحتلال

للمناطق البعيدة للإمبراطوريات القائمة، كما هو الحال بداية القرن التاسع عشر. يعود هذا الاهتمام والجهد في جزء منه إلى توكيد الهيبة الوطنية المرافقة للتنافس الاقتصادي والسياسي للدول الغربية، وتفاؤلها بشأن التوسع الوطني، ودور عِرقها.

الكونغو - مملكة ليوبولد الخاصة

ليوبولد الثاني، سياسي مناور وحاذق حكم بلجيكا بين (1865 - 1909) استفاد من التنافس بين القوى الأوروبية في أفريقيا في 1885، ليصبح حاكما على دولة الكونغو الحرة. تم استغلال هذه المساحة الشاسعة وسط القارة الأفريقية بشكل مؤلم إِذ سعى ليوبولد إلى كسب المال الطائل من خلال استغلال موارد الكونغو الطبيعية من مطاط ومعادن. لقد اثارت الانتهاكات الصارخة الغضب الدولي عند انسحاب الوضع لمنطقة الضوء ما أدى إلى إلحاق المنطقة بدولة بلجيكا في 1908.

تحدي الغرب

أدت القوة الغربية، وتوسعها الامبريلي إلى جملة من ردود الأفعال، كانت هنالك محاولات لفهم النهج الغربي، إِذ ارسلت اليابان ممثلي سفارة اواكورا إلى الولايات المتحدة، وأوروبا في 1871 - 1873 لعرض معلومات مهمة حول القضايا الاقتصادية التي تساهم في تقدم اليابان. تم أيضًا مدح المجتمع الغربي، كما ورد في كتاب (أحوال الغرب) 1866 و(ملامح

نظرية التمدن) 1875، للكاتب فوكوزاوا يوكيجي الذي أثنى على الحراك الفكري والمجتمعي.

في الصين، دأبت حركة التعزيز الذاتي التي انطلقت في عقد 1860، على فهم الكفاءة الغربية التي أدت إلى امتلاك التكنولوجيا، والبحث عن المعلومات التي ستساعد على التمدن واللحاق بالركب المتطور.

في الوقت ذاته كان هنالك توجه ضد المادية الغربية، ومذهبها الفردي، وادعاءاتها الخاطئة بالتفوق الفكري والثقافي. في الهند، حرص العلماء على فصل العلم عن المضامين الإمبريالية، وتقديم عملهم بدلاً من ذلك في إطار القيم، والتقاليد الهندية. اتسمت حركة الإنعاش للمسلمين، والهندوس من خلال تجديد الطب البديل المتوارث. ودعا القوميون إلى تبني سياسات صحية أقرب إلى السكان المحليين.

رسم خارطة المجتمع

في الغرب أيضًا، تعالت الأصوات المطالبة بالإصلاح المجتمعي. ففي أواسط القرن التاسع عشر كان هنالك قلق حيال ظروف العيش، والعمل في المدن الكبرى. فقد ناقش المصلحون الاجتماعيون ان مظاهر الفقر الشديد، والسكن المزدحم، والظروف الخالية من شروط الصحة تؤدي إلى تفشي الأوبئة التي من المفترض ان تخلو منها المجتمعات المتحضرة. ساهم تجميع البيانات علميا، والتطور في رسم الخرائط الموضوعية

على تصوير عدد من القضايا، ما ساهم بشكل فاعل على أحداث ثورة في المواقف الاجتماعية، والسياسية، والطبية. ففي كتاب جارلز بوث (1886 - 1903) الموسوم بـ (تساؤلات حول الحياة والعمل في لندن)، تجد خرائط الطبقات الاجتماعية في لندن بدلالات لونية معينة. كان قلقا جدا بسبب الطبقة الدنيا التي وصفها بالمتوحشة، وشبه المجرمة... «ان حياتهم بدائية ومتوحشة، وصعوباتها بالغة فتجد سلوانها الوحيد في الشراب».

رسم خرائط المحيطات

ان اكتشاف المحيطات كان عاملا رئيسيا في الإفادة من نتاجات البحث عن المعلومات وتراكمها وتصويرها واستخدامها. تطلب الالتزام العالمي لبريطانيا والفرص المتاحة سواء أكانت بحرية ام تجارية، شجعها لاستخدام هذه المعلومات. ففي الحرب، كانت المخططات تبين الفرص المتاحة من قبل المحيطات للتحرك. لقد ساهمت مخططات المحيطات في بلورة نظرية التطور حَيْثُ وجد جارلس دارون، عالم التاريخ الطبيعي، رحلته على سفينة بيغل في 1831 - 1836 بانها كانت تؤسس لمرحلة جديدة خاصة بعد زيارة جزر غالاباغوس في المحيط الهادئ. في 1859، طبع أصل الأنواع بفعل الانتخاب الطبيعي، وهو كتاب مخالف كثيرا لما ورد في سفر التكوين.

الفصل السابع

العالم خلال الحرب 1914 - 1945

اعادت الحروب تشكيل وجه العالم بين العامين 1914 و1945، فقد مزقت إمبراطوريات، وغيرت أيديولوجيات، وحولت الممارسات الاجتماعية، والمفاهيم الثقافية. مات عشرات الملايين. وما تزال حمولتها جاثمة على صدر تاريخ البلدان التي عانت ويلاتها، وعذاباتها.

تحويلة القرن

اشتد التنافس العالمي بداية القرن العشرين. شهدت المرحلة التحول من الترقب الحذر، والاتكال على دعم النظام العالمي المستند إلى القبول المتبادل لمصالح القوى العظمى إلى البحث المتهيج للفائدة القومية، خاصة من قبل ألمانيا. لقد تطورت أنظمة التحالفات المنافسة، والتزامها لتقوية مصالح الحلفاء. تعزز الشعور بالقلق نتيجة عدم الاستقرار للوضع انذاك نتيجة المخاوف من تبعات المجتمعات الصناعية، والعيش الحضري، ومدى شعبية الديمقراطية.

لقد كرست الدول الاستثمار بمؤسساتها العسكرية بشكل كبير. في البر والبحر، سعت القوى إلى إدخال التسليح الحديث

مثل المدافع، والوسائل، والمنظومات التنظيمية إلى مؤسساتها العسكرية، ومناوراتها، وخططها.

من الصراعات التي افرزتها المرحلة في عقد 1910، الثورة الصينية في العام 191، والمكسيكية التي تبعت انقلابًا عسكريا في العام 1913، والتدخلات الأمريكية في نيكيراغوا، وهاييتي، وجمهورية الدومينيكان، والمكسيك.

الحرب العالمية الأولى

الأسباب

ارتبط اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى حد كبير بتصورات المشاركين فيها حول التطورات الإقليمية، والدبلوماسية. فقد اقتنع الألمان بان الروس كانوا يعززون استعداداتهم العسكرية على جبهتهم الشرقية حَتَّى إنّهم اقاموا سكة حديد لتفعيل قابلية التحرك ما جعل الألمان يقتنعون بانه لا بُدَّ من الحرب ما غذى الشعور بإعلانها في اقرب فرصة سانحة. شجعهم تاريخهم القريب من الحروب الناجحة التي تبعث على الفخر، والثقة.

أما هنغاريا النمساوية، الحليف الأول لألمانيا، فقد كانت تشهد تراجع مكانتها السياسية وسط قلقها المتزايد من إصرار صربيا المدعومة من قبل روسيا على زعزعة استقرار الممتلكات النمساوية في البلقان. كان هنالك غضب متزايد وسط القيادات النمساوية بسبب عدم قدرتها على تشكيل مصير البلاد بنفسها. ويبدو ان الحرب على صربيا كانت الإجابة الشافية للموقف.

في 28 من حزيران العام 1914، تم اغتيال العاهل النمساوي الارشيدوق فرانز فرديناند، وزوجته صوفي، في خلال زيارتهما إلى سرايفو، عاصمة البوسنة على يد جافريلو برينسيب وهو صربي الاصل من البوسنة. كان ينتمي لجماعة الكف الأسود، وهي منظمة قومية صربية سرية تعهدت بإطاحة الحكم في هابسبيرغ في المناطق الجنوبية للصقالبة (السلاف)، والمتضمنة صربيا، والبوسنة. عندما وصلت الاخبار إلى فيينا، كانت بمثابة الصدمة، وتطلب الامر ردا. كانت الاغتيالات كفيلة بالقضاء على التهديد الصربي.

مع الثقة الكبيرة بان المساندة الألمانية كفيلة بردع روسيا، لم تبذل النمسا جهدا في محاربة صربيا. قررت ألمانيا اتخاذ خطوة لانها كانت على يقين بانها فرصة مثلى قياسا بجملة الظروف التي اتاحتها المرحلة حَيْثُ التزام النمسا، ومساندة الشعب الألماني. سعت ألمانيا للإطاحة بفرنسا، وتأجيج الحليفة روسيا من خلال الهجوم عن طريق بلجيكا المحايدة في آب العام 1914، الامر الذي قاد بريطانيا، إحدى الدول الضامنة لحيادية بلجيكا، إلى دخول الحرب.

لقد دفعت الاعتبارات العسكرية، وقيادات الجيوش الحكومات إلى التحرك. لقد تطلبت مخططات الحرب الألمانية إثارة العداوات مباشرة بعد تحرك القوات. لقد افترض كل المشاركين في الحرب العالمية الأولى بانها ستكون حربا قصيرة على الرغم من تكلفتها العالية، بين قوات نظامية عالمية المستوى. لم تكن

الحرب نتيجة عدم توافر الحنكة السياسية في إدارة الوضع بقدر ما كانت تتعلق بغياب الرادع لقيامها. فقد كان الضغط العسكري واضحا. وفقد صانعو القرار الإحساس بهشاشة السلم والنظام.

لوّح السياسيون بخيار الحرب لإضعاف الأطراف الأخرى، ومع التنفيذ ظهرت سوء تقديراتهم. الجميع ارتكب الأخطاء. النمسا ارادت الحرب (وان كانت مع البلقان فحسب)، وكانت ألمانيا متهاونة في التعامل مع الجرائم انذاك ما ولّد إرباكًا أدى إلى إفلات زمام الأمور في فيينا، وعدم إمكانية الانسحاب من مواجهة المعارضة الفرانكو الروسية. كانت فرنسا متصلبة: مقابل الحنكة السياسية الروسية. لقد ورطت معاهدة لندن بضمان استقلال بلجيكا في الدخول إلى الحرب.

في العام 1914، سعى البريطانيون إلى التمسك بالطريقة التقليدية لحل النزاعات الدولية باعتماد الوفاق الأوروبي (معاهدة توازن القوى الأوروبية) التي حافظت على السلام مُنذ كونغرس فيينا في 1814 – 15، الذي أعقب حروب نابليون. لقد كان العلاج ناجعًا في حرب البلقان 1912 – 13، بين تركيا العثمانية ومجموعة من دول البلقان التي ساعدها الوفاق على حصر نطاق الحرب، وعدم انتشارها خارج هذه القوى. في العام 1914 لم تكن ألمانيا، ولا النمسا على استعداد للامتثال لهذا الوفاق.



كان اغتيال الارشيدوق فرانز فرديناند هو القدحة التي اشعلت الحرب العالمية الأولى

كان الهوى الألماني منساقا إلى العدوانية المتفشية سياسيا، وثقافيا في البلاد، وكانت في اوجها في عقد 1910. ارتبط هذا الحس القومي المتحمس بالخوف الشديد من التأخر والإحساس بعدم امتلاك فرصة سانحة أخرى للهجوم.

لقد اخضعت ألمانيا الجانب السياسي للقبضة العسكرية ما جَرَّ بريطانيا، والولايات المتحدة إلى محاربتها في 1914 و1917 على التوالي. في كلتا الحالتين، على الرغم من ان السيساسات المتبعة كانت مسوغة عسكريًا - فإن التقدم عبر بلجيكا باعتباره الطريق الاسهل، ومحاولة الإطاحة بالتجارة الإنكليزية بواسطة هجوم الغواصات على التوالي - كان يُعَدّ اخطاءً إستراتيجية فادحة ساهمت بشكل كبير في إخفاق ألمانيا في النهاية.

الصورة الدموية التي رسمتها الكارثة بقيت ماثلة بمجازرها عديمة الرحمة التي خلفتها حروب الخنادق، دليل الذاكرة الجمعية لتلك الحقبة.

كان الواقع اعقد بكثير. فالتصورات الخاصة بالجمود التكتيكي، وإخفاق سير العمليات، وغياب الإستراتيجيات، والصراعات غير الحاسمة كلها كانت فاقدة للتأسيس الصحيح في حالة الحرب. من منظور أوروبا الشرقية، والبلقان، والشرق الأوسط، ومستعمرات ألمانيا في ما وراء البحار فقد شهدت الحرب تحركات كثيرة: لقد أجبرت صربيا، ورومانيا على مغادرة الحرب في العامين 1915 و1916 تباعا. في العام 1917، تمت الإطاحة

بروسيا، كما اوشكت إيطاليا على ذلك أيضًا. في العام 1918، هُزمت بلغاريا، وتركيا، والنمسا، وألمانيا إلى درجة الاستسلام.



حرب الخنادق كانت المظهر الغالب على الجبهة الغربية مع وجود فترات لتحرك القطعات والتفافها أيضًا

لم تكن الجبهة الغربية ساكنة في الواقع، عكس ما كانت تبدو. كان الحلفاء يتوصلون إلى طرق جديدة لتوجيه النيران، ما جعلهم يقتحمون منظومات الخنادق الألمانية لتحقيق انتصارات رائدة. في العام 1918، أصبح بإمكان الحلفاء مجاراة هجمات، وإدامتها على جبهات طويلة لإحكام أي اختراق ألماني من خلال تركيز الاحتياطيات.

استطاع الحلفاء التغلب على المشاكل التي تنبأ بها المحللون قبل عقود من اندلاع الحرب، بالإضافة إلى قضايا القيادة الطويلة

الناجحة خاصة في ما يتعلق بقوة السلاح، وتحرك القوات. لعبت التكنولوجيا دورا كبيرا خاصة الاستطلاع الجوي الذي يكشف منظومات خنادق الأعداء، وتوجيه الضربات الجوية التي أدت بمجملها إلى الوصول إلى نتائج عسكرية وسياسية حاسمة.

حملات التحرك خارج الجبهة الغربية كانت أكثر انسجاما مع المعارك القائمة في أماكن أُخَر، بينما كانت المدن الكبرى هي الأرضية المثلى للثورة الايرلندية في العام 1916، وهيمنة البلشفية على روسيا في العام 1917، والحركات القومية في إمبراطورية هنغاريا النمساوية مع انتهاء الحرب.

اخفقت الحملة الألمانية في العام 1914 حَتَّى قبل الهجوم المضاد للحلفاء في معركة مارن، وما تبعها من استقرار الجبهة الغربية التي أصبحت خطوط الخنادق فيما بعد. اكد دخول بريطانيا الحرب، وبسبب التدخل الروسي، ان الصورة النمطية لكونها حربًا ثنائية الجبهة ستجعل منها حربا طويلة، معقدة. انها مناقضة تماما لواقع ألمانيا البروسية في الأعوام 1864 - 71، حَيْثُ لم تواجه حربًا ثنائية الجبهة في معاركها مع فرنسا.

أواخر العام 1914، تبين ان التخطيط الألماني المعد بدقة قبل الحرب كان متداعيا، ومبالغا في تفاؤله. كانت الثقة الزائدة تظهر بوضوح في جميع المستويات. تخيلت ألمانيا صورة مكررة من الحرب الفرانكو - بروسية التي شهدت انهيار فرنسا إِذ عانت من إخفاقات قيادية مشابهة لما حصل في العام 1870. لا شيء جرى على وفق المخطط. أثبت الخصوم بانهم اقوى من

المتوقع، ويصعب التغلب عليهم. أدى ذلك إلى إنهاك القوات، وتكبدها خسائر فادحة. اخفقت النمسا في محاولتها السيطرة على صربيا بشكل ذريع رغم أن الأخيرة كانت اقل تسليحًا، وموارد، لكن جيشها تمتع بقيادة محنكة ما اثقل كاهل النمسا إذا ما اضفنا الضغط الروسي عليها انذاك.

على أي حال، اظهرت حملة العام 1914 القدرة المتواضعة لصنعة الحرب الألمانية باعتمادها على عنصر المفاجأة، وقوتها السريعة، والكبيرة، والديناميكية لنقطتها المختارة مقارنة بالدفاعات الفرنسية التي عززت إمكانياتها عن طريق الاحتياطي الذي مكنها من إعادة نشر القوات بالقطار. لقد قلّل الألمان من أهمية التحصينات كأساس للمناورة. فكل القادة الألمان البارزين اعتقدوا بان المخيمات المخندقة يكفي تجاوزها بعد تحديد أماكنها. ان إهمال التقدير بإمكانية هجوم الفرنسيين من مواقعهم الدفاعية كلّف الألمان خسارات مضافة في العام 1914 حَيْثُ هاجم الجيش الفرنسي السادس من باريس معرقلا التقدم الألماني، واندلاع معركة مارن.

انتهت مرحلة المناورة للحرب في الغرب مع ما اعتمدته من إستراتيجية للتطويق لضمان نصر محقق، ومعارك الإبادة، مع حلول تشرين الأول العام 1914. حاول جنرالات الحرب تكرار خلق المرونة لإعادة فتح حروب التحركات من خلال اختراق الخطوط الامامية للاعداء، لكن الامر كان مربكًا. بدلا

من ذلك، تحولت الخطوط الامامية أو الجبهة الغربية إلى سلسلة من الخنادق المعقدة.

هجوم الجبهة الغربية

ان الهجومين الكبيرين الفاشلين اللذين شهدتهما الجبهة الغربية تمثلا بالهجوم الألماني على فردان الفرنسية والهجوم البريطاني على سوم يُعدان للكثيرين المثال الناطق بفشل وعبثية الحرب. كانت الخسائر جسيمة، وصلت إلى 700 ألف قتيل في فردان وما يربو على المليون في سوم مقابل أراض شحيحة استنزفت في خلال التحركات القتالية. مع ذلك فقد كانت للحرب نتائجها أيضًا ومن بين ذلك إحباط الفرنسيين للألمان في فردان بينما ونتيجة لمعركة سوم، انتزعت مبادرة الهجوم على الجبهة الغربية من الألمان ولم يشنوا هجوما يذكر هناك في العام 1917.

في العام 1918 فحسب، وبعد أربعة أعوام من المعارك الطاحنة، لاح الانفراج من غمة الحرب، وعندها كان الألمان يعتاشون على مادة التهم العسكرية، واخفقوا في إيجاد الحلول، والتحلي بالجَلَد (بثمن باهظ) الذي اظهره الفرنسيون. أما البريطانيون فقد اظهرت مراحل الهجوم الأخيرة لهم مستوى أعلى من الهجوم بالمدافع تميز بالقوة، ودقة إصابة الأهداف عكس السابق.

ان الإعلان غير المتوقع لانتهاء الحرب ترك الكثير من مراحل تطوير الأسلحة الجديدة دون مصير واضح. خاصة الدبابة،

تكنولوجيا بقيادة بريطانيا، وفرنسا. ففي العام 1918 قدمت الدبابات خيار المعركة المتحركة عوضا عن جبهة القتال المستقرة خاصة انها من أبرز سلاح الجبهات الامامية. فبتوفير سلاح ناري متحرك، عالجت الدبابات المشكلة التي كانت تهدد المهاجمين من الخنادق. كانت نيران الدبابة التكتيكية تتيح فرصة افضل لتوجيه قصف مكثف يتقدم المعارك على الجبهة الغربية. في العام 1918 اثبتت أرض الواقع ان الدبابة تشكل معضلة من نواحٍ عديدة، منها المتانة، وقوة القذيفة والحماية، والسرعة، والمدى، وخفة الحركة، والقيادة، والسيطرة، وفاعليتها، كل ذلك كان محط تركيز الألمان لدى تطويرهم أسلحة مضادة للدبابات. نتيجة لذلك، اثبتت الدبابة تفوقها في ساحة المعركة بمعية تشكيلات الأسلحة الأخرى، وعند التحرك لتعزيز المشاة.

الجبهات الشرقية

شهدت المناطق الشرقية من أوروبا عمليات عسكرية اقل من المناطق الغربية فيما لو قورنت على نسبة القوة إلى المساحة. نتيجة لذلك، كانت سهلة الاختراق، والتقدم. فقد تقدم الألمان على حساب الروس في العام 1915. لقد اثبتت هجومات صربيا في العام 1915، ورومانيا في العام 1916 من قبل النمسا، وبلغاريا، وألمانيا قدرة الجيوش الحديثة على إحراز انتصارات حاسمة في ظروف معينة. الحلفاء أيضًا، سحقوا المستعمرات الألمانية كلها عدا شرق أفريقيا الألمانية. اثبت الاتراك انهم خصم عنيد.

فقد اخفقت الضربة الموجهة لمركز تركيا باسم حملة جاليبولي في العام 1915. كما اخفق التقدم الأولي لبريطانيا في العراق. ولم تقهر المقاومة التركية حَتَّى العام 1918.

الثورة الروسية

ان الهزائم المتكررة على يد الروس في الحرب العالمية الأولى، والضغوط الاقتصادية الخانقة على روسيا نتيجة للحرب، اتاحت الفرصة للبلشفيين (أو ما يعرف افضل بالشيوعيين) وهي حركة ثورية متطرفة، لتسلّم الحكم في تشرين الأول العام 1917. كان الإمبراطور نيقولا الثاني قداطيح به فعلا بداية هذه السنة، لكن الجمهورية التي خلفته استمرت بالحرب الفاشلة، المرفوضة شعبيا. أما فلاديمير لينين (1870 – 1924) القائد البلشفي، فكان يعتقد بان انتشار الثورة في ألمانيا سيختصر عليه عناء المفاوضات، لكن التقدم الألماني المستمر اجبره على التنازل عن أراضٍ مقابل السلام في العام 1918. بعد ذلك تغلب الاشتراكيون على معارضي الثورة في خلال حرب اهلية طاحنة استمرت من العام 1918 إلى العام 1920 بالإضافة إلى الجهد الكبير منْ أَجل الإبقاء على أراضي الإمبراطورية الروسية السابقة.

لقد أمم القائد الاشتراكي الأول لينين، ثُمَّ ستالين قطاعات اقتصادية واسعة إلى الملكية العامة، وأُقحِمَت البلاد في التصنيع، وأبعِدت الكنيسة الاورثوديكسية. وكانت الشرطة السرية، التي دعمها كل من لينين، وستالين، سندًا للحكومة الثورية. قتل

الإرهاب، والمجاعة التي تحملتها الحكومة ما لا يقل عن 11 مليون إنسان في سنوات (سلم) ستالين، ما شوّه حياة باقي السكان، وضحّى بقيم الايمان، والامل، والحقيقة. أما ستالين، المصاب ببرانويا خيانة الثورة، فقد وجّه إرهابه تجاه الموظفين الحكوميين، والجيش، والمزارعين الاثرياء الذين من المرجح انهم لن يرحبوا بمبدأ الملكية الجماعية، واصحاب الفكر الذين تظاهروا ضد وحشية النظام.

الإنفلونزا الأسبانية

حصدت الحروب والمجاعات عددا هائلا من الأرواح، لكن وباء الإنفلونزا بين العامين 1918 – 19، قتل عددا أكبر من ضحايا الحرب العالمية الأولى. كان اقل تقدير للقتلى هو 50 مليونًا معظمهم في آسيا مع نسب موت وصلت إلى حوالي 6٪ من مجموع سكان الهند.

كانت أكثر الشرائح السكانية المتأثرة من حديثي الولادة، وصغار السن، ومن هم بأعمار 20 – 40 سنة، والنساء الحوامل، والطاعنين بالسن. أساس الوباء كان من الطيور، لكن القطارات، والباخرات سرعت من انتشاره. لم يكن انذاك من دواء شاف، ولم يكن تركيب فايروس الإنفلونزا معروفا حَتَّى العام 1943 عند توفر المجاهر الإلكترونية المتطورة. علم الفايروسات بحد ذاته لم يكن مفهوما حَتَّى العام 1931 والتلقيح ضد الإنفلونزا لم يُقدَّم حَتَّى العام 1936. وعلى عكس الإنفلونزا الأسبانية التي سميت

كذلك بسبب إصابة الكثير من الشخصيات المعروفة الأسبانية بها في أيار العام 1918، لم يمت أكثر من مليون شخص حول العالم بسبب الإنفلونزا الاسيوية في العام 1957، ووباء إنفلونزا هونغ كونغ في العامين 1968 – 69، ما يؤشر على نجاح برامج التلحيقات الخاصة بالمرض.



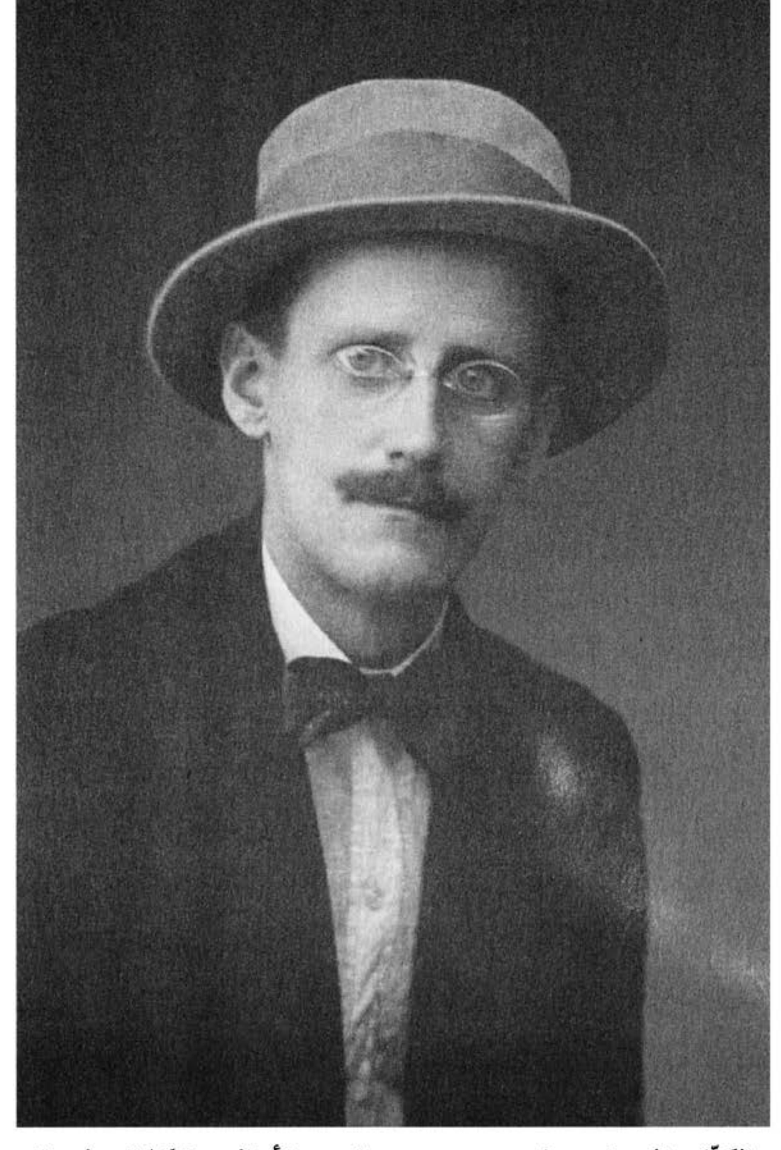
وباء الإنفلونزا بين 1918 – 1919 قتل بين 50 – 100 مليون إنسان

فترة ما بين الحربين 1919 – 1938

ان إسقاط الأنظمة القديمة في عقد 1910 في الصين، والمكسيك، وتركيا، وروسيا، والنمسا، وألمانيا، والأربعة الأخيرة كنتيجة مباشرة للحرب العالمية الأولى، بالإضافة إلى التحدي الاعم منْ أَجل التأسيس لممارسات وقيم محافظة،

شجعت على التغير الثقافي، والاجتماعي في عقدي 1920 و1930. كان التغيير واضحا في عدد من الظواهر كتحرير المرأة، وطاقة الشباب، وثقافة الاستهلاك، وتأثير هوليوود، وعصر الجاز، والحداثوية الثقافية، والفكر الجديد في مجال علم النفس.

تداخلت التطورات. كانت السينما تتمحور حول الجنس، وقدمت نساء خارج صورة الزوجة، أو الأم وسادت هذه النظرة المخالفة في الغرب. تزايدت أهمية القارئات من الإناث لمؤلفي الكتب. كان هنالك توجه في الكتب، والسينما، لتقديم نساء مستقلات عاطفيا، وأكثر انخراطا بالوظائف المربحة مقارنة بما كانت عليه صور النساء قبل الحرب العالمية الأولى. تحدت الحداثوية الثقافة الواقعية التمثيلية (تقدم الأمور على طبيعتها)، والاشكال التقليدية، وفضلت إعادة التشكيل التجريبي منْ أَجل هزّ القارئ، أو المستمع، أو المشاهد بعيدا عن الاستجابات النمطية المتوقعة. لقد ألهمتها العلوم الاجتماعية الجديدة كأعمال سيغموند فرويد، وسير جيمز فرايزر وتنافسهما للتوصل إلى فرضيات رصينة في هذا المجال.



الكتّاب المحدثون مثل جيمس جويس اختبروا أساليب شكلية، ولغوية غير تقليدية في الأدب منْ أَجل خلق اتجاهات جديدة

في الأدب، كانت الصفات المميزة للمحدثين هو استخدام تقنية تيار الوعي ممتزجا بالسحر الأسطوري، كما يتضح في رواية جيمس جويس الكاتب الايرلندي (يوليسيس 1922). أما الشعر الحر فقد اتاح المجال لاصوات مختلفة، وأفكار متكسرة كما في الأرض اليباب 1922 لـ (تي أس اليوت). كانت روايات فرجينيا وولف تعكس البناء التجريبي، السلس بلغة غنائية. رفضت وولف تصنيف أعمالها في خانة المادية، وانما كانت تسعى إلى تلمس إحساس جمالي ببعد جديد. في مقالها (السيد بينيت، والسيدة براون) 1924، ميزت بين ما عدَّتْهُ (الواقعية) الزائفة المعتمدة على الوصف السطحي، وبين الحداثوية التي كانت تبحث في أعماق الواقعية وحقيقتها. في مجال الموسيقى، قدم الموسيقار النمساوي ارنولد شوانبيرغ سلسلة من المؤلفات اللامقامية. في الرسم، ظهرت التكعيبية، والتعبيرية، والدائرية، والسوريالية، والدادائية وكلها اتجهات معاكسة للواقعية.

في الوقت ذاته فضّل الكثير من الجمهور الأعمال التقليدية. على سبيل المثال حظي المؤلفون من المستويين الوسط، والهابط بمبيعات أكثر في بريطلنيا. استفاد الإنكليز من الإيرادات الوفيرة لعشرينيات القرن العشرين، وغرق السوق بالكتب الرخيصة، والرفاهية المتزايدة. لم يتحمس المعاصرون كثيرا لأعمال الفنان السريالي سلفادور دالي، أو مواطنه بابلو بيكاسو. أما الموسيقى الأوسع انتشارا فكانت الجاز.

في عشرينيات القرن العشرين انطلقت آرت ديكو (الفن الزخرفي) في فرنسا، وهي مجموعة من الانماط الفنية التي لاقت رواجا شعبيا كبيرا قبل الحرب العالمية الأولى. أصبح هذا الفن أكثر شهرة بعد الحرب كمظهر بصري للحداثوية، ووسيلة للقضاء على الانماط التقليدية، إذ اتخذ توجها عالميا بالاعتماد على مختلف المواد، والاشكال. اقترن اسم هذا الاتجاه مع ناطحات السحاب الأمريكية خاصة بناية كريسلر في مانهاتن التي اكتملت في العام 1930.

سلفادور دالي (1904 - 1989)
الفنان كهادم للأيقونات

ولد لعائلة مرفهة في كاتالونيا، درس دالي الفن في مدريد حَيْثُ جرب التكعيبية ثُمَّ انتهج السوريالية عندما عمل في باريس. لم يجند خلال الحرب الاهلية الأسبانية وامضى سنوات صراع منتصف القرن في نيو يورك الآمنة ليعود إلى أسبانيا في 1948. ان رغبته في العيش هناك في خلال سنوات حكم فرانكو اغضب من بقي في المنفى بالإضافة إلى مديحه للديكتاتور. كانت مسألة التزامه الكاثوليكي امرا آخر. في 1982 أصبح دالي ماركيزا من قبل الملك خوان كارلوس. اقيم متحف لأعمال دالي (تياتري موسيو) في مسقط رأسه، فيغيريس، وهو اعجوبة سوريالية بمسرح لا يتكرر.

النساء والانتخابات

شهد القرن العشرون إصلاحات سياسية مهمة، خاصة في توسيع حق التصويت. ففي القرن التاسع عشر اتسعت مساحة حق التصويت بين الرجال فحسب: في نيوزيلندا العام 1893 كانت المرة الأولى التي تمنح فيها النساء الحق العام للادلاء بأصواتهن. فحَتَّى في البلدان التي عدَّت نفسها متقدمة كانت معايير المساواة ابعد ما تكون عن التحقق. كان مفهوم العوالم المنفصلة راسخا، ودفع بالنساء إلى الالتزام بدورهن في البيت والعائلة.

قادت الحروب العالمية إلى زيادة عدد النساء الداخلات إلى سوق العمل ما عزز فرصهن في حق التصويت. منحت بريطانيا النساء حق الانتخاب في العام 1918 والولايات المتحدة الأمريكية في العام 1920. مع ذلك لم تكن النساء يتسنمن مناصب عليا، أو مهمة إلّا مع النصف الثاني من القرن العشرين.

الصين: ولادة الجمهورية

مرت آسيا الشرقية بتغيرات سياسية كبرى مطلع القرن العشرين. فبعد استنزاف الاستجابة الفقيرة لمطالبات التغيير الضاغطة، سقط حكم أسرة المانتشو (تشينغ) بشكل سهل نسبيا في العامين 1911 - 1912 مقارنة بالاتحاد السوفيتي في العام 1991. أدى تمرد ضباط الجيش الإصلاحيين في ووتشانغ في العاشر من تشرين الأول العام 1911 إلى المطالبة بالتغيير في أماكن أُخَر من الصين. في خضم مواجهة التمرد الواسع الانتشار،

وإعلان الدستور الجمهوري من قبل سون يات سين، تم خلع الإمبراطور الاخير في 12 شباط العام 1912. تسلّم الجنرال يوان شيكاي الرئاسة، ورفض قبول الدستور الجمهوري على الرغم من الانتخابات التي أقيمت في العام 1913 التي دعمت دعاة النظام الجمهوري. كان يوان يسعى إلى أن يكون إمبراطورًا، لكنه مات في العام 1916. بعده تشظت الصين إلى مناطق قوى إقليمية.

حركة الرابع من أيار

اتاح ضعف الصين الفرصة المناسبة لليابان لتعزيز قوتها في المناطق الساحلية الصينية خاصة شاندونغ. ادت ادعاءات اليابان إلى ثورة قومية في شانغهاي في 1919 أو ما عرف بحركة الرابع من أيار. أهمية الحركة تكمن بتشجيع رفض التدخل الأجنبي وبناء الضغط اللازم للتمدن خاصة وانها انتشرت بين الشباب المثقف المتحضر.

ارباب حرب الصين

ساعدت الإقليمية الضاربة في القِدم، بالإضافة إلى التطورات التي سبقت الثورة في العامين 1911 - 1912 على اكتساب الوحدات العسكرية الإقليمية حكما ذاتيا. ان موت يوان تشيكاي في العام 1916 والتنافس اللاحق بين الجنرالات الشماليين فاقدي القيادة، بالإضافة إلى تأييدهم لآمري الأقاليم أدى إلى سقوط البلاد في حرب اهلية شاملة في العام 1920. استخدم

الجنرالات الذين قادوا الصراعات قواعدهم الأرضية منْ أَجل التسابق على القوة للسيطرة على كل انحاء الصين. لقد اتاحت الصراعات للحزب القومي الصيني (الكومينتانغ) تعزيز قوته مُنذ العام 1926. أما جنرالات الحرب فقد تعاملوا معهم كمفارقة تاريخية. وكما بيّن كمال اتاتورك في تركيا، وابن سعود في الجزيرة العربية اليوم بان النجاح يمكن أن يكون له بريق مختلف تماما.

الكومينتانغ (الحزب القومي الصيني)

ناضل الحزب القومي الصيني بقيادة سون يات - سين لتأسيس جمهورية قومية في جوانغزو (كانتون). لقد ساعد الدعم الروسي الذي كان في الأساس منْ أَجل تحديد التأثير البريطاني في الصين على تطوير جيش فاعل للحزب. مات سون في 1925، دون تسمية خلف محدد له. استولى مساعده العسكري جيانغ جياشي على حكومة الحزب القومي بمساعدة الجيش. وأصبح آمرا للبعثة الشمالية وهي الحملة المتوجهة شمالا ضد ارباب الحرب المستقلين في 1926 - 1928 الذين استولوا على ووهان في 1926 وشانغهاي في 1927 ونانيينغ في 1927 وبكين في 1928. وقد اتبع جيانغ خطى سون في تحديث الدولة من خلال المركزية.

السينما

من بين القوى الجديدة التي شكلت المجتمع، وأعادت صياغته، صناعتا الأفلام، والتلفزيون، ولا وجود لبلد يضاهي

أمريكا في هذا المجال من ناحيتي النمو، والتأثير. انتشرت صور الغد للمجتمع الأمريكي، والثقافة المادية كاستخدام السيارات، والموضة، وثقافة الاستهلاك حول العالم، ومنها النساء اللواتي يدخنّ في الأماكن العامة. صدق هذا على مجمل المنتجات السينمائية. انتشرت الشخصيات الكارتونية عالميا كشخصية ميكي ماوس لصانعها والت ديزني في العام 1928 ودونالد داك، وباباي. أما الثقافات الأخرى كالاتحاد السوفيتي فأنتجت الأفلام، والأعمال التلفزيونية أيضًا، لكنها لم تنتشر خارج الحدود السوفيتية. في سبعينيات القرن الماضي ظهرت بوليوود، البديل الهندي لهوليوود بتسميتها الهندية المقصودة، وعاصمتها مومباي، وما يجاورها التي أصبحت بحلول التسعينيات تنتج أكثر من 800 فلم في السنة.

الحرب ضد الأمراض

اتسع نطاق التغيرات الطبية، وتأثيرها في القرن العشرين أكثر من أي وقت مضى. كانت العلاقة طردية بين تراكم المعارف الطبية، وإمكانية تشخيص الأمراض، وعلاجها. لقد لمست هذه التطورات حياة مليارات من البشر، وغيرت من حال التعداد السكاني في العالم. فقد كان سابقا من المهم جدا حصول اكتشافات جديدة ونشرها منْ أَجل التغلب على الأمراض القاتلة، أو التخفيف من الظروف غير الصحية واضعاف الأمراض. قلّل اكتشاف الأنسولين في العام 1922 من اثار مرض السكري إلى

حد كبير. في عشرينيات القرن العشرين، وثلاثينياته استخدمت اكتشافات أُخَر مثل كأما كلوبيولين ضد الحصبة، وهو التركيب الذي استخدم في مجالي الطب البشري، والبيطري كأول دواء من عائلة السلفوناميد، وتقدمت بذلك تقنية عمليات نقل الدم. في العام 1928، اكتشف الكسندر فليمينغ البنسلين بالمصادفة، وهو أحد أنواع العفن ويستطيع القضاء على البكتريا. ان عمليات استخلاصه، وتحضيره قادت إلى ثورة المضادات الحياتية التي بدأت مع أربعينيات القرن العشرين، وأحدثت انتقالة في علاج الأمراض مثل السيلان.

التنقل: الجو

تم إطلاق الرحلة الجوية الأولى التي تحمل إنسانا في وسيلة اثقل من الهواء لأول مرة على يد الأخوة ورايت في 1903 تلتها، وبشكل سريع، خطوات تستغل إمكانيات الطيران عسكريا وتجاريا وحسب ما توفره المديات التكنولوجية المرتبطة. لقد طورت الحرب العالمية الأولى القدرات الجوية بشكل كبير. فاستخدام الطائرات في الحرب أدى إلى تطورها السريع والاستثمار في هذا التطور. انطلق من ذلك التنوع في خصائص المحركات من ناحية السرعة وقدرة المناورة. مثل الطيران الدور المتنامي للبحث العلمي في مجال الإمكانيات العسكرية: تم إنشاء انفاق الهواء للأغراض البحثية. تم تطوير الأجنحة التي لا تعتمد على المساند وجسم الطائرة المصنوع كليا من المعدن. ازدادت قوة

المحركات واختصرت الأحجام وازداد ارتفاع تحليق الطائرات. في 1919، كانت الطائرة البريطانية المقاتلة المتحولة أول طائرة تعبر المحيط الأطلسي بدون توقف.

في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين شهدت خدمات الملاحة الجوية تطورا ملحوظا خاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية مع اتساع شبكة الخطوط الجوية وعدد المطارات الطائرات الأخذ بالاتساع. مع التقدم في هذا المجال أخذت فترات الرحلات تقصر لكن بقيت مشكلة التوقفات المتكررة منْ أَجل إعادة ملء خزان الوقود. استمر الامر كذلك حَتَّى 1939 عندما تم الإعلان عن طائرة للركاب تستطيع عبور الأطلسي بدون توقف. وعلى اية حال فان الطائرات اثبتت تفوقها الكبير على السفن الجوية المعتمدة على الامتلاء بالغاز. أسست الدول الإمبريالية شبكات لربط ممتلكاتها. وصلت الطائرات البريطانية إلى أستراليا وهونغ كونغ وجنوب أفريقيا. أما فرنسا وبلجيكا فقد حاولتا تطوير منظومتيهما الجويتين لربط ودعم إمبراطوريتيهما. ام ألمانيا، وبسبب سعيها لأحداث تأثيرسياسي رعت خدمات الطيران إلى أمريكا اللاتينية وكانت تنافس تلك المقدمة من الولايات المتحدة.

الكساد الكبير

ان التقدم الاقتصادي، والصناعي للولايات المتحدة الأمريكية تداعى في عشرينيات القرن الماضي عند انهيار الاقتصاد الأمريكي المتضخم كثيرًا نتيجة لحادثة وول ستريت في العام 1929 التي

فجرت موجة من التوقعات بأسعار نيويورك. ان هذه الفقاعة الاقتصادية المفرطة أصبحت خطرة مع قيام البنك المركزي قليل الخبرة بقطع الوفرة المالية، ما اثر بشكل كبير في السيولة النقدية. ان التضييق على المقدرات المالية بما في ذلك المطالبة بالقروض الخارجية أدى إلى اندلاع الأزمة المالية العالمية. أنهار بنك الائتمان في فيينا (كريدت انستلت) في العام 1931 ما اثر بشكل كبير في البنوك الألمانية قبل تأثيره في أماكن أُخَر.

في العام 1930 رفع قانون هاولي سموت التعرفة الأمريكية، وقلّل الطلب على الواردات. اتبعت بقية الدول هذه الخطوات ما أدى إلى الانتشار العالمي لسياسة الحماية الاقتصادية التي ادت إلى انقطاع التجارة العالمية بحلول العام 1932. في خضم ذلك، اختفت التجارة الحرة بعد ان كانت قد تعرضت سابقا لضربة قوية بسبب الحرب العالمية الأولى، والثورة الروسية.

بعد ان كسدت الصناعات المعدة للتصدير ارتفعت البطالة بشكل كبير في العالم الصناعي. بلغت معدلات البطالة الوطنية في الولايات المتحدة نسبة 24٪ في العام 1932 قياسا بما كان عليه التصنيع سابقا حَيْثُ بلغ 40٪ من الطاقة الكلية مع انخفاض واردات العالم الصناعي للمواد الخام مثل المعادن تضرر منتجو السلع مسببين تفشي المشاكل الاقتصادية، والسياسية الجادة في العالم النامي مثلا في أمريكا اللاتينية، وأستراليا. بالإضافة إلى ذلك قلت قابلية هؤلاء المنتجين على تمويل الواردات من العالم الصناعي.

دمر الكساد النظام الاقتصادي الليبرالي ما أدى إلى انهيار الثقة بالهيكليات الرأسمالية، وفي النتيجة أصبحت الحكومات تفكر بالاقتصاد الوطني عوضا عن الدولي، وزيادة تدخل الدولة في الاقتصاد.

الغذاء

في نهاية القرن التاسع عشر كانت المنتجات المنقولة عبر المحيطات في سفن مبردة ذات تأثير واضح على أوروبا الغربية. أدى ذلك إلى انتشار الوجبات الغنية بالكاربوهيدرات في معظم المنازل، والمطاعم مع قلة وجود الفاكهة الطازجة. كان هناك استهلاك كبير لمادة السكر للمشروبات الساخنة، وصناعة الحلويات، والمعجنات. زادت أهمية منتجات الألبان، واستخدمت الزبدة، والشحم الحيواني بشكل كبير في الطبخ. كان الفقراء يستهلكون الكثير من الطعام البارد مثل الخبز، والجبن، واللحم البارد، والبطاطا، فقد كانت هذه هي عناصر غذائهم اليومي. استعادت الاطباق التقليدية شعبيتها الواسعة مع اهتمام قليل بالبدائل. ادت اضطرابات الحربين العالميتين الأولى، والثانية، ونظام الحماية الاقتصادية في ثلاثينيات القرن العشرين إلى زيادة الاهتمام بالمنتجات الغذائية المحلية.

ظهور التطرف

ان غضب ما بعد الحرب العالمية الأولى المتصاعد بعد اتفاقية فرساي للسلام 1919، والتوتر الاقتصادي، خاصّةً، آنذاك،

ساعد على اعتلاء العناصر الدكتاتورية مواقع القوى في وضع ملتهب سياسيًا، واديولوجيا. هذا ما فعله بنيتو موسوليني في إيطاليا العام 1922 وادولف هتلر في ألمانيا العام 1933. استفاد هتلر من شعبيته بسبب عنصريته وأفكاره القومية، ومن الغضب الألماني لهزيمتهم بالحرب العالمية الأولى، وقلق جناح اليسار من الاشتراكية، كل ذلك مكنه من تقويض النظام الديمقراطي في ألمانيا. عندما تسلم السلطة، حول هتلر ألمانيا إلى النظام الدكتاتوري، إِذ دمج في العام 1934 مكتب الرئيس مع رئاسة الوزراء الذي كان يشغله اصلا.

تصرف الدكتاتوريون كقادة حرب في أوقات السلم. فقد افتقرت أنظمتهم إلى أي محددات مؤسساتية، أو سياسية من الممكن ان توجه سلطاتهم، أو أفكارهم ولا وجود لأي أداة من الممكن من خلالها توفير خيارات سياسية معقولة. في ألمانيا، احتكر هتلر السيطرة على السياسات الخارجية، والعسكرية، وتوجيهها. لقد تداخلت رؤيته بعيدة الأمد مع الفرص قصيرة الأمد، وقلق المرحلة نتيجة التطورات الدولية. كانت أيديولوجيته مبنية على استمرار الصراعات بين الاعداء في الداخل والخارج. كانت سياسات هتلر الهيستيرية تعتمد حالة الطوارئ بسبب عدائه لأي اتجاه مستقل مثل الشيوعية، والاشتراكية، والمثليين، وكان مهووسا بمعاداة السامية.



ركب ادولف هتلر موجة الغضب ضد اتفاقية فرساي للسلام، بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية في ثلاثينيات القرن الماضي وصولا إلى السلطة

الحرب الأهلية الأسبانية

ادت الطائفية إلى اندلاع حرب اهلية شاملة في أسبانيا. القوميون، الاسم الذي اطلقه مجموعة من ضباط الجيش المتقدمين على انفسهم، سعوا إلى تسلّم الحكم في العام 1936. لقد كانوا معارضين لسياسات التحديث التي تبنتها حكومة الجمهورية ذات النزعة اليسارية، بالإضافة إلى قلقهم من احتمال تسلط الشيوعيين من خلال الجبهة الشعبية (فرينتيه بوبيولار) بعد الانتصار الانتخابي لجناح اليسار بفارق بسيط والمتمثل بالجبهة الشعبية التي خاضت تنافسا صعبا في شباط العام 1936. ان موقف الجيش تجاه السياسات المتبعة يفسر التمرد. ادعى قادة الجيش بان الحكومة فقدت السيطرة (الواقع أنها فقدتها نتيجة العنف المتبنى من قبل جناحي اليمين واليسار على حد سواء) لقد كان كلاهما ضد الجمهورية نفسها، ولاحقًا ضد الديمقراطية، والحريات. على أي حال حقق القوميون انتصارا جزئيا، فحسب في العام 1936 وقادهم إلى حرب اهلية مريرة انتهت في 28 آذار العام 1939 عند اقتحامهم مدريد.

غالبا ما تُرى الحرب الاهلية الأسبانية كمقدمة للحرب العالمية الثانية مع التركيز على انقساماتها الأيديولوجية. فمن المؤكّد أن القوميين الذين يكرسون الفكر الديني كانوا يرون ان الجمهوريين كانوا خدما لمن يعادون المسيحية. مع ذلك فان هذا الامر لم يكن بالجديد فقد لعب دورا أساسيا في النزاع الاهلي على مر القرن التاسع عشر في أسبانيا.

الحرب اليابانية الصينية

في ثلاثينيات القرن العشرين، ازدهرت التوجهات القومية في اليابان، وانتشرت فكرة (الحرب أمّ الابتكار) بين صفوف الجيش. غزت اليابان منتشوريا، قلب صناعة الصين، في العام 1931. كان ينظر إلى الصين على انها قاعدة الموارد كالفحم، والحديد والأراضي، وكان من الضروري بالنسبة لليابان مواجهة أمريكا، والاتحاد السوفيتي، وقدمت نفسها كقوة إمبريالية جديدة ظاهرة للعيان. لم تكن الآراء المدنية تشكل فرقا يذكر، إِذ انتابت الصفوف العسكرية روح الرسالة التي يجب ان تنفذ. رسمت الحكومة اليابانية نظاما جديدا لشرق آسيا منْ أَجل إنهاء الإمبريالية الغربية، والشيوعية.

في العام 1937، اتسع نطاق هذه الرؤية لتشكل هجوما شاملا على الصين. من خلاله وضعت الصين في موقع الشريك الصغير لليابان. كانت تشيانغ مستعدة للوقوف بوجه اليابان والحفاظ على استقلال الصين. في العام 1937، اجتاحت اليابان بكين، وشانغهاي، وواصلت السعي إلى المكاسب في العام 1938 حَيْثُ ضمت جوانغزو، ووهان، لكنها أخفقت في إطفاء المقاومة الصينية، أو كسب أي دعم من الجانب الصيني.

الحرب العالمية الثانية

18 أيلول 1931: احتلال اليابانيين منشوريا وتأسيس دولة صنيعة تدعى مانتشوكو.

18 تموز 1936: بداية الحرب الاهلية في أسبانيا.
7 تموز 1937: بداية حادثة جسر ماركوبولو تطلق الحرب اليابانية - الصينية.
12 آذار 1938: آنشلوس توحد ألمانيا والنمسا.
30 أيلول 1938: مؤتمر ميونيخ يمنح السوديت لألمانيا.
15 آذار 1939: ألمانيا تحتل تشيكوسلوفاكيا.
1 أيلول 1939: ألمانيا تغزو بولندا.
3 أيلول 1939: بريطانيا وفرنسا تعلنان الحرب على ألمانيا.
9 نيسان 1940: انطلاق عمليات فيزروبونغ لاحتلال الدنمارك والنرويج.
10 أيار 1940: ألمانيا تغزو بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ وتخترق خط ماجينو خلال غزوها فرنسا.
22 حزيران 1940: استسلام فرنسا لألمانيا.
22 حزيران 1941: ألمانيا تطلق عملية باربا روسا لغزو الاتحاد السوفيتي.
7 كانون الأول 1941: اليابان تجر رجل الولايات المتحدة إلى الحرب بقصفها ميناء بيرل.
4 حزيران 1942: معركة ميدواي.
1 - 27 تموز 1942: معركة العلمين الأولى.
23 آب 1942 - 2 شباط 1943: معركة ستالينغراد.
23 تشرين الأول - 4 تشرين الثاني 1942: معركة العلمين الثانية.
5 تموز - 23 آب 1943: معركة كورسك.

9 تموز 1943: غزو قوات الحلفاء لصقلية.
6 حزيران 1944: معركة نورماندي، غزو الحلفاء.
22 حزيران – 19 آب 1944: عملية باغراتيون – تقدم الجيش الأحمر في أوروبا الشرقية.
17 تشرين الأول 1944: القوات الأمريكية تغزو الفلبين.
8 أيار 1945: استسلام ألمانيا.
6 – 9 آب 1945: إسقاط القنبلة الذرية على هيروشيما ونكازاكي.
15 آب 1945: استسلام اليابان.

اغتصاب نانجينغ

سقطت عاصمة الحزب القومي الصيني، نانجينغ، بيد اليابان في 13 كانون الأول 1937. تبعه ذبح المدنيين كخطوة لا بُدَّ منها لقمع المقاومة ما ابعد أي خيار للسلام. استخدم المدنيون للتدريبات الخاصة بالحربة بالإضافة إلى الاغتصاب الجماعي ما جمع سجلا بربريا حافلا خلال تقدم اليابان شمالا باتجاه يانغتزي. وحشية اليابان لم تكسر معنويات الصين فلم تكن أكثر من شاهد تاريخي على وحشية الجيش الياباني والسلوك اللاأخلاقي لمقاتليهم. ولم تفلح محاولاتهم للتقليل من حجم المجازر ببناء أي ثقة تجاههم. وتبقى هذه الممارسات في مقدمة ما تعرضه الصين إلى العالم كجزء من تاريخها خاصة فيما يتعلق بإبراز الحاجة التاريخية لمقاومة الضغوطات الخارجية.

الحرب العالمية الثانية

النجاحات الألمانية الأولى

ان مصطلح الحرب العالمية الثانية هو بمثابة المظلة التي تعلو عددا من الصراعات المترابطة التي كان لكل منها سببها الخاص، ومدتها، وتبعاتها. فمن منظور إيطاليا، أو إيران، أو اليابان، أو جامايكا، تبدو الأمور مختلفة تماما. فالحرب التي بدأت في العام 1939 بسبب هجوم هتلر على بولندا، وقرار بريطانيا، وفرنسا للتدخل لدعم بولندا، أدت إلى استقطاب الكثير من دول العالم إلى تحالفين رئيسيين هما تحالف المحور الذي قادته ألمانيا، وتحالف الحلفاء الذي جمع القوات البريطانية، والفرنسية، وآخرين وانضم إِليها في 1941 الاتحاد السوفيتي وأمريكا.



غزو ألمانيا لبولندا في أيلول 1939 ما جرّ بريطانيا وفرنسا إلى الحرب

عكس التوجه حجم المصالح ذوات العلاقة بالنزاع، بالإضافة إلى فشل المنظومة الدولية لحل النزاعات، وبناء السلام (سواء أكان ذلك من قبل عصبة الأمم التي أُسِّست عقب الحرب العالمية الأولى، ام المفاوضات بين قوى قليلة كما في ميونيخ 1938) والطبيعة الدوامية للحرب.

ان ظهور العداءات، والضغائن ساعد على تصاعد الخوف، والفرص في آن. فعدم رغبة الألمان في ترجمة انتصاراتهم الأولى إلى سلام شامل، مقبول اكد ان توقف العمليات الهجومية باحتلال بولندا لم يُنهِ الحرب.

الحرب الخاطفة

لقد صبت الاساطير التي حيكت حول الحرب الخاطفة لألمانيا (حرب البرق) في مصلحة ألمانيا آنذاك. لكنها أيضًا ساهمت في المبالغة بتقدير إمكانيات الجيش الألماني بعد الحرب باعتباره الأفضل بالعالم ولكنه خسر بسبب الموارد الكبيرة للحلفاء. في الحقيقة تمت المبالغة بحجم الحرب الخاطفة وأهمية الدبابات والغطاء الجوي. فقد مثلت آراء ارتجالية أكثر منها كثمرة لعقيدة متماسكة. حينها كان جزء كبير من الجيش الألماني غير مزود بالآليات واعتمد الجيش بشكل كبير على الحصان إلى ذلك الحين. ان الإنجاز المتحقق على يد الألمان في 1940 يعود إلى نوعية القتال الألماني وفقر الإستراتيجيات الموضوعة من قبل فرنسا أكثر من مسألة الاليات المتوفرة.

لقد سيطر هتلر في خلال وقت قصير على النرويج، والدنمارك في نيسان العام 1940، ومن هناك خطط للسيطرة على فرنسا، وقد نجح في مسعاه الشهر التالي. في الوقت ذاته، سيطرت القوات الألمانية على بلجيكا، وهولندا، وتم هزيمة القوات البريطانية المحتلة، ودفعها خارج القارة. على الرغم من ان معظمها قد انسحب فعلا بسبب عملية الإخلاء لمعركة دنكيرك. ان النجاح الألماني حدا بموسيليني لإدخال إيطاليا الحرب بجانب هتلر، وتوجه، في مسعى فاشل، لاحتلال اليونان. في بداية العام 1941، حرصت ألمانيا على تأمين تحالفها مع رومانيا، وبلغاريا وبذلك نجحت باحتلال اليونان، ويوغسلافيا.

عملية بارباروسا

في حزيران العام 1941 قادت جملة من الأسباب هتلر إلى قيادة عملية بارباروسا، بينها ثقته الزائدة، واحتقاره جميع الأنظمة السياسية، واعتقاده بان ألمانيا عليها احتلال روسيا منْ أَجل الاستجابة لقدرية الـ (ليبنسراوم) التي تعني مساحة العيش، أو الموطن للسكان الألمان، بالإضافة إلى قلقه حيال نوايا ستالين. هذا الهجوم على الاتحاد السوفيتي كان مبنيا على الثقة بانهيار الاتحاد السوفيتي سريعا. كان هتلر سعيدا لتلقي المعلومات المخابراتية الخاطئة التي تخص حجم تحركات الجيش الأحمر، وإمكانياته. ان رفضه قبول ما قدره الآخرون كاعتبارات دبلوماسية، وإستراتيجية اكد بان الحروب المحلية التي ربحها

إلى ذلك الحين تحولت إلى حرب عالمية لا يقوى على كسبها. فلا وجود لإستراتيجية كافية يستطيع معها تحويل انتصارات المعارك الكثيرة في الأشهر الأولى من السنة إلى ما ينهار به الاتحاد السوفيتي، أو يستسلم. لقد فاجأت قدرات التحمل، والقتال للجيش الأحمر الجميع. بينما الحملات الألمانية، على الرغم من الخسائر الكبيرة التي كبدتها السوفييت، اثبتت إخفاقها القيادي الذريع على مستوى تنفيذ العمليات، بالإضافة إلى افتقارها إلى خط عمل ثابت، متماسك. ومن بين الارتباك الذي عانى منه الألمان هو عدم وضوح أيهما اهم، احتلال الأرض، ام تدمير الجيش الروسي، وأيهما يأتي أولاً.

أخفق الألمان باحتلال موسكو، أو لينينغراد، والنظام السوفيتي لم ينهرْ، وأصبح الألمان محصورين في صراع يتآكل معه الجيش، ولا يستطيعون تحقيق أي خطوة للانتصار. حَتَّى عمليات الهجوم الجديدة التي قاموا بها في العامين 1942 1943، على ستالينغراد، وكورسك على التوالي، انتهت بخسائر فادحة. في ستالينغراد، أُجبِر جيش ألماني كامل على الاستسلام بعد محاصرته. لم يشن الألمان هجوما جديدا، بعد هزيمتهم في كورسك في صيف العام 1943، على الجبهة الشرقية. فقد لحقتهم هزيمة ثقيلة من خلال الحملات السوفيتية المتلاحقة خاصة عملية باغراتيون في صيف العام 1944 التي قادت السوفييت، نتيجة تغلبهم على مركز تجمع الجيش، إلى التقدم تجاه وارسو. في تلك

السنة، تقدمت قوات سوفيتية أخرى إلى البلقان ما اجبر رومانيا، وبلغاريا على هجر حليفتهم ألمانيا وإخراج الألمان من اليونان.

حرب الأطلسي

كما في الحرب العالمية الأولى سعت ألمانيا إلى هزيمة بريطانيا، ليس من خلال تدمير منظومة تحالفاتها الدولية فحسب، وانما من خلال التحرك البحري أيضًا. ان الهجوم الذي شنته السفن البحرية العائمة كان له الأثر الأكبر في ذلك، لكن كثرة العدد غلبت ألمانيا. بذلك اعتمدت ألمانيا على الغواصات منْ أَجل إجبار بريطانيا على الاستسلام بسبب حرب التجارة التي اوشكت على تجويعها. انتقلت قواعد الغواصات إلى البحار المفتوحة بسبب غزو ألمانيا النرويج، وفرنسا.

عانت بريطانيا من خسائر فادحة، لكن، في النهاية بات فشل الألمان واضحا في العام 1943. يعود جزء من السبب إلى التطور الحاصل في التقنيات المضادة للغواصات الحربية. ان إعلان ألمانيا الحرب على الولايات المتحدة في كانون الأول العام 1941 غيّر من التوازنات البحرية في الأطلسي. اغلقت فجوة وسط الأطلسي حَيْثُ لم تستطع الطائرات بعيدة المدى ان تصد هجمات الغواصات الحربية بعد ان سمحت البرتغال المحايدة استخدام قواعد الأزور في العام 1943.



معركة ستالينغراد كبدت الطرفين خسائر كبيرة وكانت نقطة التحول في الحرب في الجبهة الشرقية

ان تحقيق النصر في معارك الأطلسي زاد من قوة الحلفاء في بريطانيا منْ أَجل الاعداد لغزو فرنسا في العام 1944. ان انتصارات الحلفاء في البحر، والجو كانت مقدمة مهمة لهزيمة ألمانيا كليا في البر.

إنزال نورماندي وسقوط ألمانيا

أكدت الهزائم التي لحقت بألمانيا في العام 1944 من قبل الحلفاء الغربيين، والاتحاد السوفيتي ان الحرب توشك على الانتهاء مع نهاية السنة. كانت سنة 1943 قد شهدت هزيمة ألمانيا، والقوات الإيطالية في شمال أفريقيا، وغزو الحلفاء إيطاليا ما أدى إلى الإطاحة بموسيليني. كانت عملية اوفرلورد، أو إنزال نورماندي (دي – داي) التي شُنَّت في 6 حزيران 1944، أكبر

عملية برمائية في التاريخ اثبتت نجاحها الساحق. بات من الواضح حينها ان ألمانيا لن تتمكن من الانتصار، لكن هتلر لم يتقبل ما فرضه المنطق، وأصر على القتال إلى الاخير. فشلت قبل ذلك محاولة لقتله بقنبلة في العام 1944 من قبل اعضاء في قيادة الجيش.

استمر الحلفاء بشنّ هجمات مكثفة حَتَّى نهاية الحرب. لقد اصابت الهجمات الإنتاج الصناعي الألماني، ونبهت الشعب الألماني إلى ان المقاومة المستمرة لن تكون في مصلتحهم.

في العام 1945، احتل الحلفاء ألمانيا بنجاح إِذ تمكنت القوات السوفيتية من احتلال برلين التي قتل هتلر نفسه فيها على انقاضها، في الوقت الذي تمكنت في خلاله القوات الانجلو - أمريكية من شق طريقها عبر نهر الراين لتتغلب على الألمان شمالي إيطاليا. في السابع من أيار العام 1945 استسلمت ألمانيا بلا شروط ليتم تقسيمها من قبل الحلفاء على مناطق احتلال.

الحرب في المحيط الهادئ

ان انهيار فرنسا، وهولندا تحت وطأة الهجوم الألماني في العام 1940، بالإضافة إلى مكانة بريطانيا التي كانت تزداد ضعفا ما أبقاها في وضع هش في الهادئ، أدى إلى خلق فراغ واضح في القوى في شرق وجنوب شرق آسيا، ما شجع الطموحات التوسعية اليابانية جنوبا. تركت اليابان خصومها الأساسيين

في المنطقة مثل أمريكا (التي اعترضت على تحركات اليابان في الصين الهندية الفرنسية، خاصة فيتنام).

في السابع من كانون الأول العام 1941، شنت اليابان هجمة جوية مدمرة على بيرل هاربور (ميناء اللؤلؤ) قاعدة الاسطول البحري الأمريكي من دون أي إعلان للحرب.



الهجوم المفاجئ على ميناء اللؤلؤ (بيرل هاربور) من قبل القوات اليابانية جرّ أمريكا إلى الحرب

في شتاء العامين 1941 – 1942 اجتاح اليابانيون الفلبين، وماليزيا، والهند الشرقية الهولندية (إندونيسيا حاليا)، وبورما (ميانمار). لم تمنع قدرة اليابان المعروفة في شن الهجومات والاستيلاء

على مساحات من الأراضي الأمريكان من بذل الجهود الممضة لدفعهم خارجا. فلم تكن أمريكا مهتمة بالتوصل إلى تسوية مع اليابان منْ أَجل السلام. بذلك فقدت الأخيرة خطة حرب واقعية تعزز بها انتصاراتها.

في صيف العام 1942، حاصرت البحرية الأمريكية الاسطول الياباني في الهادئ ملحقة به هزيمة باهظة في ميدواي، عندما أغرقت أربع حاملات للطائرات اليابانية، العملة الجديدة للقوة البحرية. في العام 1943، أخرجت العمليات الأمريكية البرمائية المحمية بالحاملات، اليابانَ في جنوب غرب ووسط الهادئ بينما قامت القوات الأمريكية باحتلال الفلبين نهاية العام 1944. تم تحطيم البحرية اليابانية. كان استخدام القنابل الذرية على هيروشيما، وناكازاكي من قبل الولايات المتحدة في آب العام 1945 ضروريا حسب رؤيتها لمواجهة الإصرار الانتحاري لليابانيين على القتال، والخسائر التي لا يمكن تفاديها حَتَّى مع احتلال اليابان. أرغمت القنابل الذرية اليابان على الاستسلام الفوري غير المشروط.

معارك مهمة: ميدواي

عانت البحرية اليابانية من الهزيمة على يد الأمريكان في ميدواي في 4 حزيران 1942، بعد ان خسرت أربع حاملات للطائرات بسبب الهجوم الجوي لقاعدة الحاملات الأمريكية. منيت اليابان بالهزيمة بفضل القيادة الأمريكية النوعية وإمكانيتها

على الاستفادة من الفرص غير المحسوبة وقدرة التحمل وإمكانية البحرية الأمريكية. اظهرت المعركة ان المعارك البحرية من الآن فصاعدا سوف تهيمن عليها القوات الجوية بدلا من تبادل النيران بين القوات البحرية المتقاتلة.

محرقة اليهود

قادت كراهية هتلر لليهود إلى حملة واسعة لمسح وجودهم وثقافتهم. بدأت المعاملة الوحشية الاجرامية لليهود قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية. لقد تم حرمان المجتمعات اليهودية في ألمانيا من حقوقها القانونية خاصة بواسطة ما شُرِّع في قوانين نوريمبيرغ العام 1935. أصبح الوضع أكثر عنفا بعد غزو الألمان الاتحادَ السوفيتي في العام 1941. تم ذبح اعداد كبيرة من اليهود مع تقدم القوات الألمانية. في اجزاء أوروبا التي تسيطر عليها ألمانيا، تم نقل اليهود إلى معسكرات الاعتقال النازية التي بدأت حملات القتل فيها بشكل واسع في العام 1941، وغالبا ما تضمنت استخدام الغاز. تم قتل أكثر من ستة ملايين يهودي، مليون ونصف منهم اعدم في أوشفيتز. كانت عمليات الإبادة مصحوبة بالإذلال، والإهانة. غالبا ما كان يُقتَل الأطفال، وكبار السن فورا في حين يُستهلَك البقية في العمل المضني حد الموت. استمر الألمان بقتل اليهود حَتَّى نهاية الحرب ما أوضح مركزية الصراع العرقي في السياسة النازية. كان معظم الشعب الألماني يعلم بالمعاملة الوحشية والقاسية بحق اليهود.

ترسانة الديمقراطية: الجبهة الداخلية الأمريكية

مثلت أمريكا المفتاح لتفوق الإنتاج الصناعي للحلفاء على دول المحور، إذ شكلت صناعتها 31.4٪ من مجموع الإنتاج العالمي في العام 1938 في حين شكلت ألمانيا 12.7٪، وبريطانيا 10.7٪، و9.0٪ للاتحاد السوفيتي. ان عدم الحاجة للدفاع عن القدرات الاصناعية لأمريكا من الضربات الجوية كان عاملا مساعدا لتمكين البلد من تركيز موارده الكثيرة لإنتاج البضائع لتغذية العمليات العسكرية في ما وراء البحار. لقد اعتمدت أمريكا تقنيات الإنتاج واسع النطاق التي طورتها وقت السلم خاصة السيارات، وقد أنتجت 297.000 طائرة، و86.000 دبابة في خلال الحرب، وبذلك تفوقت بإنتاجها على منافسيها في مجال إنتاج الأسلحة، والمنظومات القتالية كحاملات الطائرات.

أغرقت اقتصاديات الحرب أمريكا بأرباح طائلة. ارتفعت أرباح الشركات، وتمتع العمال بفرص عمل أكثر أمانًا برواتب مجزية، واستطاعت تلبية حاجة الاستهلاك المحلي، والحكومي وانتشالهما من منظومة الضرائب المتنامية. الرئيس الوحيد الذي استطاع مواجهة تحدي الانتخابات لدولة كبرى في حالة الحرب هو فرانكلين ديلانو روزفيلت الذي كان قد انتخب في الأعوام 1932 و1936 و1940 ليعاد انتخابه بيسر في العام 1944. تجسدت قوة الاقتصاد الأمريكي من ناحية الموارد والقدرة التنظيمية من خلال إمكانيته لإنتاج القنابل النووية بنجاح، وقد عجزت عنها القوى الأخرى.

خيرات غيرت العالم: النفط

بقي الفحم المصدر الرئيسي للطاقة في القرن العشرين لكن النفط تفوق عليه بسبب أهميته في تحريك العجلات والدبابات. ويعود جزء من الأسباب الرئيسية للهيمنة الأمريكية لدورها الأساسي في تطوير الصناعات النفطية أولاً كمصدر رئيسي للإنتاج والتصفية وثانيًا بسبب لعب الشركات النفطية الأمريكية الكبرى مثل ايسو، دورا هاما في تطوير الموارد النفطية في أماكن أخرى من العالم مثل المملكة العربية السعودية بالإضافة إلى السيطرة على تجارة النفط. لم يتمتع خصوم أمريكا - ألمانيا واليابان وإيطاليا - بهذه الموارد واحتاج الامر إلى قرارات مصيرية من قبلهم مثلا عندما حاولت ألمانيا (واخفقت) التقدم لباكو على بحر قزوين في 1942 وبذلت جهودا مضنية في 1943 - 1944 لحماية حقول النفط في بلويشت، الوحيدة في أوروبا، من هجمات الحلفاء الجوية. مع ذلك فقد شكل الاتحاد السوفيتي، على الرغم من قصوره الاقتصادي الكبير، تحديا مستمرا للولايات المتحدة خلال فترة الحرب الباردة لانها كانت أكبر منتجي النفط والغاز الطبيعي في العالم. مع حلول 1988، أصبح النفط لوحده يشكل 40٪ من استهلاك الوقود العالمي بالإضافة إلى استهلاك الخشب والفضلات الحيوانية. كان استهلاك الفحم قد تراجع إلى 26٪ وشكل الغاز الطبيعي 24٪. بقيت الطاقة النووية والكهرومائية محدودة الانتشار. لقد ساعدت التطورات الكبيرة في مجالي الهندسة وتكنولوجيا المعلومات في استثمار الموارد النفطية.

لقد أصبح امرا مربحا الحفر لأعماق أكبر وتنامي المعارف الخاصة بالحقول النفطية. ازدادت الأهمية السياسية للشرق الأوسط بسبب أهميتها في إنتاج النفط. لقد حفزت الأهمية الإستراتيجية لبلدان الإنتاج النفطي في الشرق الأوسط وعلى راسها المملكة العربية السعودية والعراق على إيجاد الحلفاء من قبل القوى الخارجية وشجعت على التدخلات الخارجية كما حصل من غزو العراق من قبل أمريكا في 2003. على أي حال وعلى عكس ما أحدث الفحم في بريطانيا القرن التاسع عشر، لم ينتج النفط ثورة صناعية في قطاعات الإنتاج ولم يخلق فرصا متزايدة للعمل تتناسب والانفجار السكاني الحاصل.

الجبهات الداخلية والبروباغاندا

ان القلق بشأن الروح المعنوية للمدنيين في الحروب طويلة الأمد أدى، في بلدان كثيرة، إلى تركيز السياسات الاجتماعية أكثر على الرفاهية الاجتماعية، بالإضافة إلى المحاولات المنظمة منْ أَجل جمع تقارير عن الوضع العام للناس. عكست البروباغاندا الإحساس بأهمية مغازلة الدعم الشعبي حَتَّى من قبل القوى الشمولية. كان إعادة تثقيف الجمهور امرًا هامًا بدءًا من عادات الطعام (منْ أَجل تمرير سياسة ترشيد الاستهلاك)، وصولا إلى الأهداف السياسية. استغل هتلر البروباغاندا ليس منْ أَجل الحفاظ على الحلول فحسب، وانما للتلويح بالحرب بوجه اعداء ألمانيا.

الفصل الثامن
العالم الحديث 1945 وحتى الوقت الحاضر

تزامنا مع الانقسامات والحروب الدولية، والأيديولوجية، والتهديد المتزايد بحرب نووية تبيد معظم احياء الأرض، حصلت تغيرات جمة اثرت في النوع البشري أجمعه. النمو السكاني، والتطور التكنولوجي، والتحضر كانت العناصر الرئيسية للدفع باتجاه التغيير.

الحرب الباردة

عادة ما تفشل تحالفات الحروب في الاستمرار وقت السلم. فان الانقسامات الأيديولوجية بين القوى الغربية، والاتحاد السوفيتي كانت أكبر من ان يتم تجاوزها. عليه، وفي العام 1944، كانت تلك الانقسامات قد حددت مصير أوروبا الشرقية، خاصة بولندا التي كان ستالين مصراً على احتلالها.

ان الحرب الباردة التي انبثقت من هذه الاختلافات لم تكن حربا معلنة، أو ذات جبهات للمواجهة، وانما تمثلت بالعداء الذي دام حَتَّى العام 1989 وشهدت سباقَ تسليحٍ مطولاً، بالإضافة إلى نزاعات كثيرة حول تمثيل المصالح التي من خلالها دخلت الاطراف المتنازعة في صراعات أُخَر. حافظت الأخيرة على مواقف غير محددة، ومجهولة الملامح، ما أجج من المخاوف

التي استدعت استعدادا عسكريا متزايدا. لف الطرفين جوٌ من القلق، والضعف بسبب القوة العسكرية المتأهبة خاصة ان طبيعة العلاقات الدولية، والقرارات السياسية المتخذة، والقناعات الأيديولوجية عززت الإحساس بالتهديد وأذكت حرب التسليح باهظة الثمن، وأصبحت النقطة المحورية للحرب الباردة. هكذا، باختصار، كانت حرب التسليح هي الحرب الباردة. ادعى كل جانب منهما بالقوة، لكنه يحتاج لتعزيز خط دفاع اضافي للأمان. لم يستقر الامر حَتَّى الوصول إلى نقطة الدمار المتبادل المؤكد (MAD) المتمثلة بالتهديد المتبادل للترسانة النووية للطرفين.



1945، لقاء تشيرشيل وروزفيلت وستالين في مؤتمر يالطا لمناقشة شكل العالم بعد انتهاء الحرب

الحرب الباردة

1946: إعلان تشيرشيل إسدال الستارة الحديدية.

1946 - 1949: الحرب الاهلية الصينية.

1948 - 1949: حصار برلين.

1949: تأسيس الناتو.

1950 - 1953: الحرب الكورية.

1954 - 1973: حرب فيتنام.

1955: تأسيس حلف وارسو.

1962: أزمة صواريخ كوبا.

1979: غزو السوفيت لأفغانستان.

1989: سقوط جدار برلين.

1991: الحلّ الرسمي للاتحاد السوفيتي.

مبدئيا، لم يمتلك الاتحاد السوفيتي القنبلة الذرية، لكن جيشه كان مهيئا لاجتياح أوروبا الغربية، ولا يوقفه إلّا استقتال الغرب لاستخدام السلاح النووي. ان مشروع مارشال، الذي عرضته أمريكا كشكل من الدعم الاقتصادي، وتسريع إنعاش الدول المتأثرة من الحرب العالمية الثانية، تم قبوله من قبل الكثير من دول أوروبا الغربية، بينما تم رفضه من قبل الاتحاد السوفيتي تحت ذريعة كونه شكلا من اشكال الإمبريالية الاقتصادية. أقام هذا الموقف جدارًا مضافًا بين الدول الغربية التي تسلّمت هذه المساعدات والدول الشرقية التي رفضته في أوروبا. ان

تخلي الاتحاد السوفيتي عن التعاون بخصوص احتلال ألمانيا، وفرض حكومات الحزب الشيوعي الواحد في شرق أوروبا، خاصة في تشيكوسلوفاكيا أدى إلى تنامي الضغط للحصول على استجابة غربية. وبدا ان تصرفات الاتحاد السوفيتي كانت تعزز مقولة تشيرشيل بان ستارًا حديديا قد اسدل من البلطيق حَتَّى الادرياتيك. في العام 1949، تم تأسيس حلف الناتو (منظمة حلف شمال الأطلسي) كإطار عمل أمني لأوروبا الغربية. أما أمريكا فقد تخلت عن طبيعتها الانعزالية، ولعبت دورا مهما في تشكيل التحالف الجديد، وألزمت نفسها بالدفاع عن أوروبا الغربية. في المقابل، وفي العام 1955، نظم الاتحاد الأوروبي حلف وارسو، وهو تحالفها العسكري الخاص في أوروبا الشرقية.

الاتحاد الأوروبي

ان تأسيس السوق الأوروبية المشتركة في 1958 كان جزءًا من عملية التحول التي شهدتها الهيكليات السياسية لأوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية. كان تجاوز أوروبا للقومية خطوة مهمة للإندماج الأوروبي. ان التنازلات التي تقبلتها أوروبا الغربية والمفروضة من قبل فرنسا ادت إلى دعم الأخيرة للمشروع.

مع مرور الوقت توسعت السوق الأوروبية المشتركة جغرافيا وازدادت طموحاتها. فمع توقيع اتفاقية الاتحاد الأوروبي في ماستريخت 1992، ظهر الاتحاد الأوروبي، مصطلح عكس المنهجية الجديدة، بالإضافة إلى تسمية اليورو، العملة المعروفة

في معظم بلدان الاتحاد الأوروبي كعملة التجارة الرسمية للاتحاد الأوروبي في 1999. لقد انضمت دول أخرى للاتحاد الأوروبي التي اثبتت انها الوسيلة الناجعة للتضامن مع دول شرقي أوروبا بعد الحقبة الاشتراكية كمنظومة عمل جديدة.



في 1968 غزت القوات السوفيتية تشيكوسلوفاكيا عندما هدد ربيع براغ الليبرالية

الحربان الكورية والفيتنامية

ان الانتصار الشامل للشيوعية على القومية في خلال الحرب الاهلية الصينية (1946 – 49) صعّد من القلق الأمريكي حيال الشيوعية لإيقاف المد الشيوعي. في العام 1950، تدخّل تحالف

بقيادة أمريكا، ورعاية الامم المتحدة منْ أَجل منع كوريا الشمالية الشيوعية من احتلال كوريا الجنوبية، ما نتج عنه الحرب الكورية (1950 – 53). بعد هزيمة الكوريين الشماليين، غزا الحلفاء الشمال، لكنهم تراجعوا بعد تدخل الصينيين، وهدأ النزاع ليشكل مأزقا حقيقيا. ولم يكن إلّا بعد إعلان أمريكا نزوعها إلى الخيار النووي حَتَّى طُرحت الهدنة كحلّ بديل.

بدورهم تدخل الأمريكيون مطلع الستينيات في جنوب فيتنام لقمع الثورة الشيوعية التي قادتها فيت كونغ (الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام)، ودعمتها فيتنام الشمالية الشيوعية. على الرغم من إمكانية الأمريكان على التوقف إلّا أنهم لم يستطيعوا هزيمة اعدائهم، بالإضافة إلى تزايد الانتقاد المحلي لهم، كل ذلك دفع الأمريكان إلى الانسحاب في العام 1973. تعرض جنوب فيتنام إلى الهجوم الشيوعي في 1975. لقد زعزع النزاع وضعية البلدان المجاورة كومبوديا، ولاوس، حَيْثُ تنافست القوات الأمريكية والشيوعية على السيطرة. كل ذلك أذكى التوتر في ظل الحرب الباردة مع دعم الاتحاد السوفيتي، والصين لشمال فيتنام، في حين ارسلت أستراليا، ونيوزيلندا، وكوريا الجنوبية قوات لمساندة الأمريكان.

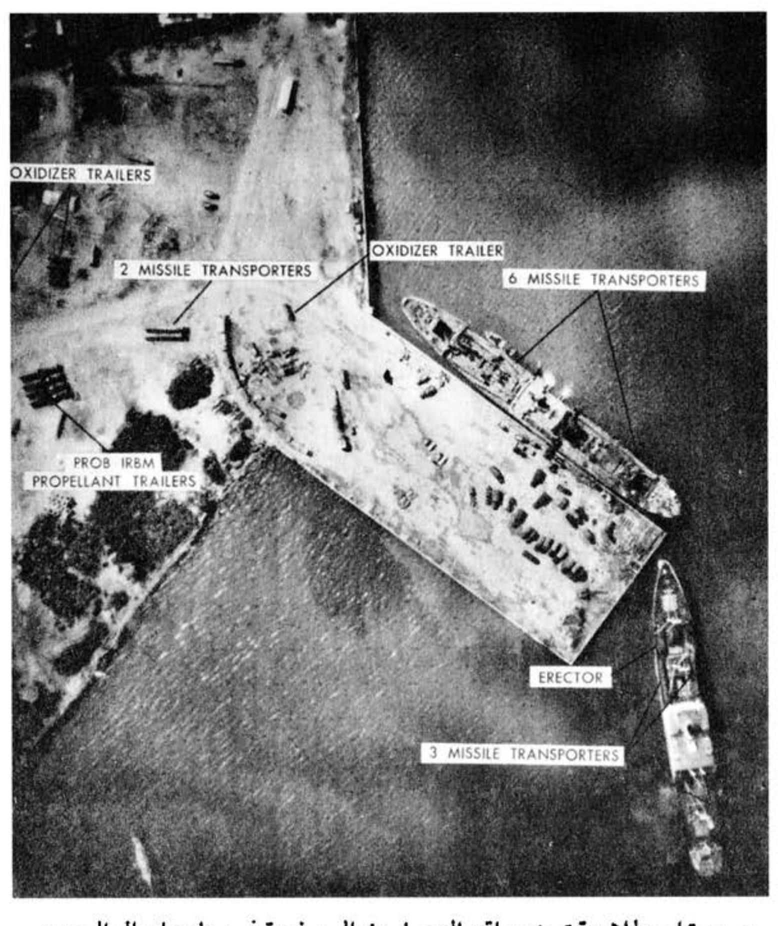
أزمة صواريخ كوبا 1962

احتدّ التنافس النووي بين القوى العظمى في خمسينيات القرن العشرين، بدايةً مع تطوير القنبلة الهيدروجينية، وانتشارها، وهي

أكثر خطورة بكثير من أسلافها النووية، ثُمَّ جاء عصر التراشق بالصواريخ عبر القارات. في 1957، اطلق الاتحاد السوفيتي القمر الصناعي الأول سبوتنك 1 إلى مداره، ما جعل الولايات المتحدة معرضة لهجوم الصواريخ.

مطلع الستينيات، أدى القلق المتزايد منْ أَجل الوصول إلى مكانة حاسمة للتفوق بحرب التسليح إلى ان يبحث الرئيس الأمريكي جون كينيدي (حكم 1961 – 63) عن انتصار إستراتيجي على الاتحاد السوفيتي. عليه قرر السكرتير الأول للحزب الشيوعي السوفيتي، نيكيتا خروتشوف (1953 – 64) ان ينشر صواريخه في كوبا 1962 حَيْثُ كان فيديل كاسترو المناوئ للإدارة الأمريكية قد نجا من محاولة للانقلاب بقيادتها في العام 1961 وتسلّم السلطة، حينها، على أثر حادثة غزو خليج الخنازير. ان انتشار الصواريخ السوفيتية بقرب سواحل الولايات المتحدة سيشكل تهديدا حقيقيا لها.

استجابة لذلك، قررت الولايات المتحدة الهجوم على كوبا مع فرض عزل جوي، وبحري لمنع وصول وجبات أخرى من تجهيزات الاتحاد السوفيتي. هدد كينيدي بضربة نووية ثأرية. بعد نقاشات تسيدتها المصلحة الشخصية، رفع السوفييت الصواريخ مع وجود فجوة صغيرة بين أخذ القرار باستخدام، أو الهجوم بالأسلحة النووية.



صورة استطلاعية تبين مواقع الصواريخ السوفيتية في ميناء ماريال البحري في كوبا في الثامن من تشرين الثاني العام 1962

ريغان

بعد اتخاذ الإجراءات الخاصة بالتعايش السلمي، أواسط السبعينيات، سخنت الحرب الباردة مع نهاية العقد نفسه إِذ نشبت الصراعات بين محميات الطرفين الأمريكي، والسوفيتي في انغولا، والصومال، وإثيوبيا، مِنْ ثَمَّ اتخذت شكل الاستجابة للغزو السوفيتي لأفغانستان في العام 1979. تحت ولاية رونالد ريغان (1981 - 89) كان هنالك تكثيف ملحوظ للالتزام بالحرب الباردة. سلّحت الولايات المتحدة القوات المناوئة للشيوعية في أفغانستان، وأمريكا الوسطى، وأفريقيا السوداء (جنوب الصحراء الكبرى) مع تعزيز متزايد للجيش الأمريكي. ان مطاولة الاقتصاد الأمريكي مع إمكانية إدارة ريغان إبان الثمانينيات من تسخير قدرات الحكومة لجني الأموال من سوق الأوراق المالية، ساعدت الحكومة الأمريكية لتحريك الموارد الأمريكية تسخيرًا للتعزيزات العسكرية التي وقف السوفيتيون إزاءها عاجزين نتيجة إخفاقهم في توفير الائتمانات المطلوبة نتيجة العجز المالي. لقد عززت المساندة الإستراتيجية للصين موقف الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي.



قوات جيش الاتحاد السوفيتي تعبر الحدود الأفغانية في العام 1979

نتيجة لذلك، قلت تكلفة الحرب الباردة بالنسبة لهم. كان على الاتحاد السوفيتي ان يحذر أيضًا من الصين المعارضة التي كانت قد قاتلت فيتنام، المحمية السوفيتية. وبينما وصل الاقتصاد السوفيتي إلى نقطة الركود كان الاقتصاد الأمريكي يشهد نموا ملحوظا، ومغادرة فترة الركود التضخمي للسبعينيات، خليط بين الركود الاقتصادي والتضخم المالي المؤديين إلى الشعور بالقلق، والضيق. لقد ركز الاقتصاد الأمريكي على المهارات، والاستثمارات التي تؤسس للعمليات الصناعية الكبرى بدلا من الاعتماد على توفير المواد الخام الأساسية ما أتاح لها فرصة النمو الاقتصادي. لقد بقيت أجور اليد العاملة عالية وان انفتاح الاقتصاد، والسوق الأمريكية الداخلية التي ظهرت جلية من خلال تقليل حدة اللوائح، والتعليمات، كل ذلك ساعد على سرعة انتشار الممارسات الاقتصادية الكفوءة، وجريان رؤوس الأموال إلى مواطن الأرباح.

انهيار شيوعية الاتحاد السوفيتي

لم يكن انهيار الاتحاد السوفيتي وسيطرته على شرق أوروبا امرا متوقعا. لقد سعى ميخائيال كورباتشوف الذي تولى الحكم في العام 1985 إلى تحديث الشيوعية بدلا من التخلص منها من خلال تقديم رزمة من الإصلاحات. كانت اقتصاديات الاتحاد السوفيتي الكبرى والمركزية تعاني من مشاكل خطيرة مع أواسط الثمانينيات. ولقد باءت محاولات الإصلاح الاقتصادي السابقة بالفشل الذريع. هذه الصعوبات حددت الموارد المتاحة للاستثمار، والتنمية الاجتماعية، والقدرة الشرائية للمستهلك، وزادت لاحقًا من ميل الشعب لنظام غير ديمقراطي.

ان محاولات كورباتشوف للدفع باتجاه التحديث ترك الحكومات الشيوعية لأوروبا الشرقية السوفيتية هشة بوجه المطالبة الشعبية المتزايدة بالإصلاح، ما أدى إلى الانهيار اللاحق للأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية في 1989، وظهور سياسة تعددية الأحزاب والانتخابات الحرة. في حقبة التسعينيات اعيد اتحاد الألمانيتين الشرقية، والغربية. في العام 1991، تم حلّ الاتحاد السوفيتي بينما حصلت جمهورياته الدستورية السابقة مثل أوكرانيا على استقلالها. مُنذ العام 2000، سعت روسيا تحت ولاية فلاديمير بوتين إلى استعادة قوتها من خلال التدخل العسكري في جورجيا في العام 2008، وفي أوكرانيا في العام 2014.

حركات التحرر

تقسيم الهند

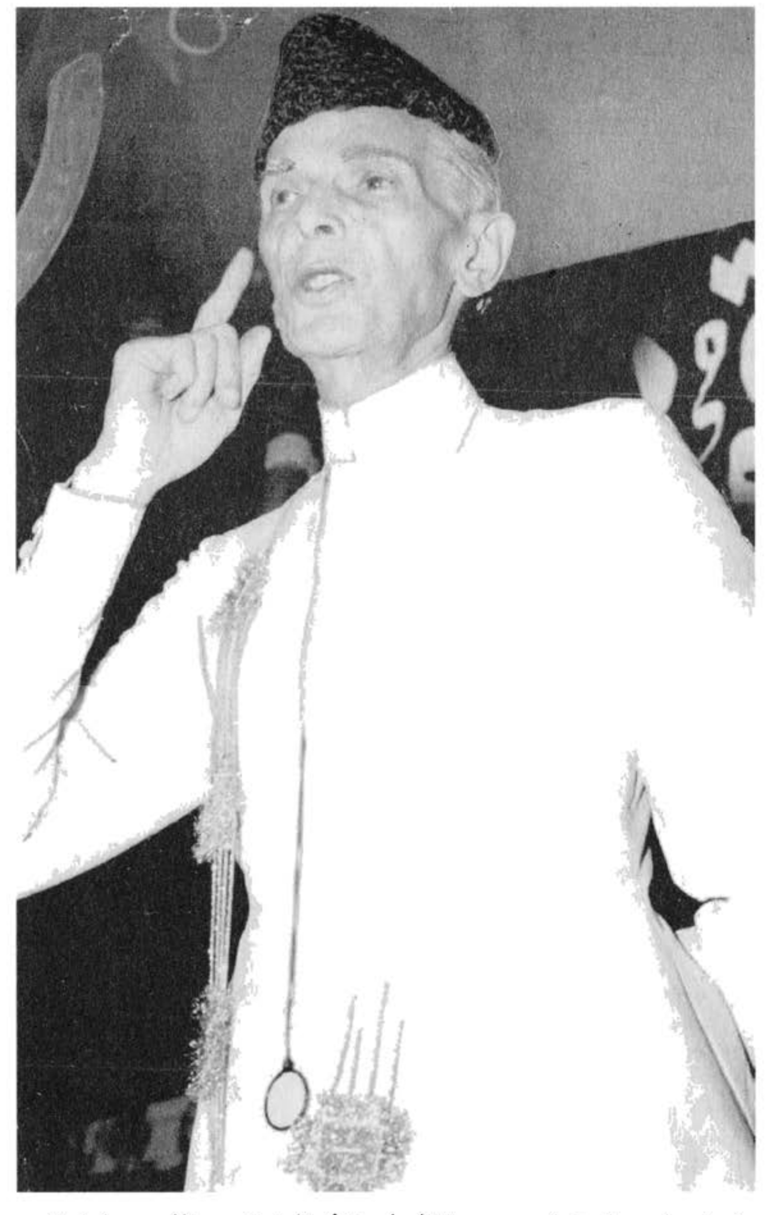
ان التغيرات الحاصلة في أوروبا انعكست بالتوازي على الإمبراطوريات الأوروبية وراء البحار. في العام 1947، وبعد ان أنهكت في الحرب العالمية الثانية، قررت بريطانيا ترك سيطرتها على الهند. وبعد النقاش مع الرمزين السياسيين آنذاك، جواهر لآل نهرو السياسي الهندي البارز، ومحمد علي جناح، زعيم عصبة مسلمي عموم الهند، اقترح حاكم الهند البريطاني مونتباتن تقسيم الهند على وحدتين - الوحدة الأكبر هي الهند للهندوس، والأصغر لباكستان المسلمة. أدى هذا التقسيم العاجل والفاقد إلى التخطيط السليم إلى تصاعد العنف الطائفي بين الهندوس، والمسلمين إِذ قُتل ما يقارب المليون ونصف شخص مع هروب 14 مليون لاجئ. لم تتحكم الباكستان بحدودها حَيْثُ هيمنة المسلمين مع بقاء الهند مسيطرة على جزء من كشمير المسلمة.

أما الهند التي تتمتع بتعداد سكاني، وثروات أكبر، فقد تصرفت كقوة إقليمية، وشنّت الحرب على باكستان في العام 1965، وانتصرت في العام 1971 في الوقت الذي كانت تساعد فيه شرقي باكستان لتتحول إلى دولة جديدة هي بنغلادش. سطت الهند على الممتلكات البرتغالية فيها في العام 1961، وارسلت قواتها إلى سيريلانكا لمساعدتها ضد المسلحين، وواجهت الصين في الهيمالايا. بقيت الهند تحت الحكم المدني على الرغم من السلطة

الاستبدادية (الطارئة) في السبعينيات، أما في باكستان فقد استبدلت الحكومات المدنية بالعسكرية.

الشرق الأوسط

انسحبت بريطانيا أيضًا من انتدابها الHمي على فلسطين في العام 1948 بعد ان انهكها لعب دور الحكم بين الفلسطينيين والتعداد السكاني المتزايد من اليهود. للشرق الأوسط أهمية اقتصادية بالغة بسبب الإنتاج النفطي، وإنشاء دولة إسرائيل في العام 1948 إِذ تأسست على يد اليهود المهاجرين من أوروبا. كل ذلك أدى إلى استعداء جارتها العربية المسلمة منْ أَجل تدمير البلد الجديد. الحرب التي اندلعت عامي (1948 – 1949) ربحتها إسرائيل، وهاجر سيل من اللاجئين العرب من الدولة الجديدة. انتصرت إسرائيل على مصر في العام 1956، لتتبعها بعد ذلك حرب الستة أيام في العام 1967 التي احتلت إسرائيل فيها أجزاء من الأراضي المصرية، والاردنية، والسورية. تم استعادة جزء منها، مع بقاء هيمنة إسرائيل على الضفة الغربية لنهر الأردن، مع وجود تعداد كبير للفلسطينيين الذين يهددون استقرارها.



محمد علي جناح، زعيم عصبة المسلمين في الهند شجع اللورد ماونتباتن على تقسيم شبه القارة الهندية على وحدتين دينيتين، الهند، وباكستان

مغادرة أفريقيا

مُنذ الخمسينيات ووتيرة حركات التحرر تتصاعد في أفريقيا مع تراجع الدعم الذي تتلقاه الإمبريالية للإبقاء على إمبراطوريّاتها. ففي الوقت الذي تنامت فيه الحركات القومية للدول الاستعمارية ما ولّد مشاكل كثيرة في بلدانها، خاصة تلك التي ارادت ان توسع نفوذها بشكل مُرضٍ لا بالقوة. منحت بريطانيا الاستقلال لمستعمراتها الأفريقية من العام 1957 ابتداءً من غانا، حَتَّى البقية. بينما منحت فرنسا في العام 1960 الاستقلال لمعظم أراضيها الجزائرية، وتركت بلجيكا الكونغو.

كانت أكبر المحاولات الاستعمارية جهدا هي تلك المبذولة من قبل فرنسا لاستعمار الجزائر 1954 – 62، ومن قبل البرتغال لأنغولا والموزمبيق في 1961 – 74، لكنهما اخفقتا في النهاية لعدم قدرتهما على مجاراة المعارضة الشعبية. على الرغم من عدم هزيمتها في أرض المعركة، إلّا أن فرنسا لم تتحمل الثمن الباهظ الذي كانت تتكبده على يد الجماعات المسلحة، وحركاتها في الجزائر. فغالبا ما أخفقت التحركات الفرنسية في كسب تأييد السواد الأعظم من السكان. في جميع الأحوال كانت الحرب الباردة هي السياق الذي تتحرك فيه هذه الصراعات، إِذ كان الاتحاد السوفيتي، والصين يساندان هذا العصيان المسلح.

انطبق السياق أعلاه على الصراع الدائر في دول جنوب أفريقيا ذوات الحكومات (البيضاء) منْ أَجل الإطاحة بها: جنوب أفريقيا، وروديسيا المعروفة اليوم بزمبابوي المحكومتين من قبل

اقلية بيضاء. لقد ساندت القوى الشيوعية حركات التحرر في المنطقة، على الرغم من ان الإطاحة بالحكم الأبيض جنوبي أفريقيا، وسياسته العنصرية تحقق بعد انتهاء الحرب الباردة. ان هذه النهاية عكست، على غير المتوقع، غياب الاستقرار على المستوى المحلي: المتأتي من معارضة سياسة التمييز العنصري، وتبعات العقوبات الاقتصادية المفروضة من قبل أمريكا، والاتحاد الأوروبي، والاعتقاد السائد بين البيض بضرورة الاستمرار عن طريق الإصلاح. في العام 1980، تسلمت الغالبية السوداء الحكم في زمبابوي. بينما أوصلت الانتخابات التي جرت في جنوب أفريقيا في العام 1994، وأقيمت تحت مظلة الحق الانتخابي العالمي، الكونغرس الوطني الأفريقي (حركة التحرر سابقا) إلى سدة الحكم.

أفريقيا خلال الاستقلال

لقد جاء الاستقلال بتحدياته الخاصة للدول المتحررة حديثا. أصبحت القارة في خلال وقت وجيز أرضًا لمعارك القوتين العظميين فيها. اغتيل أول رئيس وزراء للكونغو، باتريس لومومبا، بسبب مواقفه الواضحة المساندة للسوفييت. في بعض الأحيان كانت النزاعات الطائفية تتحول إلى حرب. في نيجيريا، كان العنف ضد شعب إغبو سببًا في إعلان الكولونيل أوجوكو جمهورية بيافرا في الجانب الجنوبي الشرقي من البلاد العام 1967. استمرت الحرب الاهلية الشرسة ثلاث سنوات،

وجذبت اهتماما عالميا واضحا إليها، كانت الأولى في سلسلة الصراعات التي اجتاحت أفريقيا بعد الاستقلال.

ان الارتفاع السريع بالكثافة السكانية في أفريقيا فاقم من الضغوطات على موارد القارة. فنيجيريا التي تحتل الترتيب السابع عالميا في أعلى كثافة سكانية، وهي الأعلى بين دول أفريقيا، من المتوقع انها بحلول العام 2050 ستتفوق على الولايات المتحدة التي تشغل الترتيب الثالث عالميا في الوقت الحالي. بالفعل لقد حصلت مؤشرات تراجع الأرقام الخاصة بوفرة الأراضي، من نصف هكتار من الأرض المزروعة / الفرد الواحد في العام 1965 إلى 0.28 في العام 1995. تم التحايل على هذا الضغط على الأراضي الزراعية بزيادة التحول إلى المدن على نطاق واسع. ان نسبة النيجيريين الذين يسكنون المدن ازدادت من خُمس السكان في العام 1963 إلى أكثر من ثلث في العام 1991: بحلول عقد 2010، أصبحت لاغوس، أكبر مدن نيجيريا تضيف نصف مليون شخص إلى التعداد السكاني سنويا. ان الضغط المتزايد على الأراضي المسكونة عبر أفريقيا أدى إلى تفاقم الضغوطات البيئية، والتوتر الاثني في مناطق الأطراف. من المشاكل الكبرى في القارة ضياعُ التربة، نتيجة نشاط التعرية القوية للرياح والمياه. كانت اطراف المساحات الزراعية تنحسر، خاصة في ناميبيا – وإثيوبيا، وعلى طول الشريط الساحلي جنوبي الصحراء الكبرى، وكلها باتت تعاني من التصحر. مُنذ الثمانينيات، والشريط الساحلي

يعاني من الجفاف، ما أدى، على سبيل المثال، إلى تحول البدو الرحل في موريتانيا إلى المدن للعيش فيها.

من الصعب إصدار حكم نهائي حول النجاح الاقتصادي والاستقرار السياسي في أفريقيا نتيجة حجم القارة، وتنوعها. مع وجود حالات للنمو، والاستقرار في بوتسوانا، وزامبيا، وتنزانيا فهنالك ما يقابلها من انعدام تام للاستقرار خاصة في الشريط الساحلي من مالي حَتَّى جنوب السودان، والكونغو. لقد فشلت السياسات في الكثير من الدول الأفريقية بسبب الضعف المؤسساتي، وانتشار الفساد. في لاغوس هنالك ازدحام خانق، وفساد، وقلة تجهيز الطاقة الكهربائية، وغياب القانون ما فرضَ جماعاتٍ تستوفي الأجور منْ أَجل توفير الحماية.

تعد التفاتات الاقتصادية مشكلة أيضًا. اقل من واحد بين كل ستة أفراد كان يستعمل الكمبيوتر مع حلو العامل 2012. وعلى الرغم من التقدم الذي تحرزه التكنولوجيا الصينية لنشر استخدام الموبايل، يبقى الإنتاج الاقتصادي محدودا بالمنتجات الأولية. ان قلة الوظائف، أو غيابها في مصر، وجنوب أفريقيا حالة متفاقمة بسبب النمو السكاني السريع.

نهضة الصين

لم تأتِ الحرب العالمية الثانية بالاستقرار لشرق آسيا. حال هزيمة اليابان استؤنِفت العداوات بين الحزب القومي الصيني والشيوعيين. بمساندة 50 ألف مستشار عسكري أمريكي، استطاع القوميون من استعادة الأراضي التي احتلها اليابانيون. وفي العام 1946، شنوا هجوما على القوات الشيوعية. في العام 1947، سيطروا على عاصمة الشيوعيين: ينان، لكنه كان انتصارا قصير الأمد. تحققت الانتصارات المصيرية للشيوعيين من خلال حملات هوايهاي وبنجين في العامين 1948 – 1949 التي اجبروا فيها القائد القومي، تشيانغ كايشيك، على سحب قواته إلى جزيرة تايوان.

تم إعلان جمهورية الصين الشعبية الشيوعية في الأول من تشرين الأول العام 1949 وماو تسي تونغ قائدا لها. شهدت الصين مجموعة من الإصلاحات الجذرية تحت حكم ماو. بين الأعوام 1958 – 1962، نجحت حملة (طفرة كبيرة للأمام) في إنشاء المزارع الجماعية، وهدفت إلى تحويل الصين إلى مجتمع صناعي. أما الثورة الثقافية التي انطلقت في العام 1966 فكان المؤمل منها ان تغرس القيم الشيوعية في جميع مناحي الحياة لأحداث تغييرات جذرية مماثلة.

بعد موت ماو تسي تونغ في العام 1976، حدث تغير ملحوظ في السياسة. فقدت الشيوعية تميزها المتطرف، وأصبحت مذهبا رسميا تكيّف مع الرأسمالية، على الرغم من احتفاظ مجموعة

تابعة للحزب الشيوعي بالسلطة. في الثمانينيات، دفع القائد الجديد دينج شياوبينج، باتجاه الليبرالية الاقتصادية، وتحديث الإجراءات. ان رفع التسعيرة، والسماح، بالمشاريع الخاصة وإعطاء الفلاحين حرية التصرف بفائض الإنتاج، وجذب الاستثمار الأجنبي كلها أحدثت طفرة اقتصادية كبرى ساعدتها وفرة الأسواق الأجنبية. لقد ارتفع الناتج القومي الإجمالي للصين بشكل كبير، خاصة في المناطق الساحلية، وجنوب البلاد. ان توفر اليد العاملة ساعد الصين على اكتساب فرص تصديرها مقارنة بالدول الأخرى، وهذه، بدورها، جذبت الاستثمار إلى داخل البلاد. مع ذلك تعاني الصين من اثمان باهظة مقابل هذا الازدهار، منها التدهور البيئي، والتباين الطبقي، والفساد المتزايد. في العام 2000 وصاعدا أصبحت الصين ثاني أكبر قوة إنتاج في العالم والأكبر على الإطلاق في العام 2010.

نهاية التسعينيات ركّز الحديث عن الهيمنة الاسيوية على الصين، بدلا من اليابان من ناحية تشكيلها تحديًا للولايات المتحدة. وأصبحت موضوعة (استعراض القوة) ثيمة أساسًا في رسم السياسة الصينية، وقد تعززت بالخطط الطموحة الموضوعة في خلال عقد الـ 2010، لتحقيق التوسع البحري، وإنشاء قواعد ما وراء البحار، مع اتباع سياستها (التوكيدية) في الشرق، وجنوب الصين. بقيت الصين دولة الحزب الواحد، وسعت إلى تقديم نموذج بديل للنموذج الأمريكي، وقد نجحت بشكل مميز في كسب الدعم خاصة في أفريقيا.

سياسات إصلاح الأراضي

في الكثير من البلدان كانت ملكية الأراضي ابعد ما تكون عن تحقيق المساواة بين الأفراد، وكانت متوارثة. تغيرت الأمور بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية، متخذة نسق الاتحاد السوفيتي الذي شاع في العشرينيات. لقد دفعت الأنظمة الشيوعية باتجاه (الإصلاح الزراعي) منْ أَجل بلورة سياسة اجتماعية جديدة وصفتها الجماعات بالرجعية. تم تجريد اصحاب الأراضي من ممتلكاتهم بينما تمت مكافأة الجماعات التقدمية – المزارعين الفقراء –. كان يعتقد ان هذه التغيرات ستؤدي إلى زيادة الإنتاجية الزراعية، لكن ما حصل كان العكس تماما بسبب إنتاجها نظاما وسطيا يفتقر إلى الكفاءة الادارية.

في الصين، تم إعادة توزيع الأراضي على المزارعين الفقراء بعد سحبها من المالكين تحت قانون الإصلاح الزراعي العام 1950. لكن في العام 1954 تم الدفع بشدة باتجاه إنشاء المزارع الجماعية ما اضاع أراضي المزارعين على يد حملة (طفرة كبيرة إلى الامام). أما في اليابان فقد بدأ نظام إصلاح الأراضي في أواخر الأربعينيات (على الرغم من ان هذه الخطوة كانت مفروضة من قبل القوات الأمريكية المحتلة). أما المكسيك فشهدت تغييرا مماثلا بعد ثورة العام 1910، والهند بعد الاستقلال في العام 1947، ما خلق، (ولو نظريا)، طبقة مرفهة من مزارعي الملكية الفردية.

الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب الباردة

في تسعينيات القرن الماضي، حققت الولايات المتحدة تقدما مرموقا. حصلت طفرة في نسبة الناتج المحلي الإجمالي لها، ما ساهم بتعزيز فجوة دخل الفرد بين الغرب، وبقية العالم. وقد ارتفعت صادرات الولايات المتحدة إلى ٪17.7 في العام 1999. في المقابل كانت المكسيك تعاني من أزمة مالية عامي 1994 – 95، أما روسيا الغارقة في الديون فلم تكن لها القدرة على التسديد في العام 1998. لقد كان الوضع مؤشرا واضحا على متاعب المرحلة، التي اتخذت شكل التقلبات المالية السريعة على مدى واسع. وسببها الاستثمار المبالغ فيه وتدفق السيولة، لكن في، الوقت ذاته، وبسبب المضي بهذه المرحلة، والنجاة من سلبياتها، دلّ، ذلك، على وجود نظام مالي اقوى مما كان عليه في ثلاثينيات االقرن الماضي. لعبت الولايات المتحدة دورا هاما في تخطي هذه المرحلة إِذ كانت سوقا لبقية الدول. وفي العام 2017، سجلت الولايات المتحدة رقما قياسيا في عجزها التجاري مقابل الصين بمقدار 375 مليار دولار.

ناطحات السحاب

وجدت وتطورت في الولايات المتحدة وتحديدا نيويورك، مثلت ناطحات السحاب تقدما تكنولوجيا وقيمة عليا للمعمار البري بمواصفات غير عادية مثل المصاعد فائقة السرعة. في المقابل، أصبحت ناطحات السحاب معلما مميزا لمراكز المدن المتقدمة التي

تجمع مكاتبها الحكومية والفنادق البارزة. أصبحت ناطحات السحاب تعكس موقع المدينة وترتيبها في سلم التطور، كمباني الشركات العملاقة المصرفية المصفّفة في هونغ كونغ وشانغهاي، ومصرف الصين ومصرف ستاندرد جارترد.

ظهور المستهلك الحديث

ان النمو الاقتصادي الذي تميز في مجالات شتى مُنذ أواسط القرن التاسع عشر، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ترك معظم سكان العالم (المتطور) في بحبوحة مادية، ورفاهية أكبر، ووقت لصرف الأموال، ما بلور انماطا مجتمعية تتفق مع ميولها الاستهلاكية. اتسعت الطبقة المتوسطة في العام 1973، بمقدار 82٪ عما كانت عليه في العام 1948. في ذلك الحين ازداد دخل العائلة الأمريكية متوسطة المعيشة بمقدار 3٪ سنويا. في حين ارتفعت إنتاجية الساعة الواحدة في قطاع الأعمال الأمريكي إلى أكثر من 3٪ في السنة. عبر الغرب استهلكت الأساسيات - غذاء، وسكن، وتدفئة - النسبة الاصغر من معدل الموازنة، وتم تشجيع ذلك، أيضًا، بزيادة أجور اليد العاملة التي تطلبتها نسبة النساء المتزوجات العالية بين القوة العاملة.

ان قدرة الناس على التعريف بأنفسهم من خلال الصرف ركزت على هيمنة اقتصاد المال الذي تفشى اصلا مع مساحة التمدن المتزايدة. ان الموضة، والتكلفة، ومعايير الاحترام ساعدت على تحديد الاختيارات، وهذه بدوره كانت نتاج التصاميم،

والإعلانات. انها صنعة الترويج لمنتجات بعينها على المستويين المحلي، والدولي.

تم تزويد الطرق التقليدية للدعاية، والإعلان مثل لوحات الإعلان العملاقة، وواجهات الحافلات، والمحلات، واللوحات الإعلانية المزدوجة بوسائل مبتكرة مضافة، منها التصوير الملون، والدعاية من خلال التلفزيون، ومُنذ التسعينيات انضم الإنترنت لوسائل الترويج التجاري. لقد أصبحت الدعاية تركز على جميع انحاء البلاد، ما عزز الخطاب الوطني بدلا من المحلي.

ظهر البعد الدولي المؤثر في عالم الترويج التجاري، وهذا بدوره شجع النمو الاقتصادي. ويُعزى نجاح البعد الدولي للبيع والإعلان إلى الميل للمنتجات الأجنبية، والمنتجات المحسنة باستمرار، وتنوعها الواسع، وما وفرته التكنولوجيا من إمكانيات لتطويرها كما في الألياف الاصطناعية على سبيل المثال.

فقد شاعت في المجتمعات المرفهة عملية استبدال المنتجات حَتَّى وان لم تتلف بعد. وكذلك استخدام المنتجات التي لا تبدو مناسبة مثل ارتداء البنطال الجينز المليء بالثقوب، كما ظهر في عقد 2010، وصاعدا. هذه الظاهرة، إضافة لغيرها، ظهرت بسبب زيادة المخلفات وهي كارثة بيئية ذات تهديد حقيقي خاصة مع ازدياد إنتاج البلاستيك الذي يحتاج إلى فترات زمنية طويلة جدا للتحلل البايولوجي. نتيجة لذلك ظهرت بقع النفايات البلاستيكية الشاسعة في المحيطات.

الثقافة الشعبية

مُنذ ستينيات القرن المنصرم بدأت الموضة، والملابس، والموسيقى الشعبية تشكل حياة الشباب، مع وجود تركيز على التفرد، فقد تدفع بالشاب، أو الشابة إلى صياغة عالمهما الخاص. عرضت الأغاني، والأفلام الاستقلال الجنسي. ركز مذهب اللذة على الإرادة الحرة، وتحقيق الذات، والاستهلاك.

أصبحت ثقافة الشباب، والمساواة بين الجنسين، والمخدرات، والتحرر الجنسي ثيمات عالمية، إضافة إلى استدعاء روايات النوع الاجتماعي، وطموحات الشباب، ودورهم، الكثيرَ من الانتباه.

في الوقت ذاته فإن الثقافات السائدة، والعادات الاجتماعية الموجودة اصلا ادت إلى ظهور استجابات مختلفة، ومتباينة إلى حد كبير، على المستويين الشعبي، والحكومي، حيال الطلاق والإجهاض، والمثلية الجنسية.

استمرت الابتكارات الفنية الخلاقة في إنتاج اشكال جديدة تعدت الحدود المعروفة متجاوزة بذلك التصنيفات التقليدية المتبعة. ساعدت التأثيرات الفكرية المتطرفة على إطلاق حالة من التغير المستمر. لقد عالجت البنيوية، الحركة التي مثّلها اختصاصيو الانثروبولوجي مثل كلاود ليفي ستراوس، والناقد الأدبي رولاند بارت، اللغةَ كمجموعة تقليدية من المحددات التي حالت دون الإرشاد إلى الحقيقية المضمّنة. لقد تطلعت هذه إلى ما بعد الحداثوية التي تفعلت بعد ثمانينيات القرن الماضي. أما الوجودية، حركة فلسفية عدمية ظهرت في أوروبا بعد الحرب

العالمية الثانية، والتصقت بمارتن هايدجر، وجان بول سارتر، غقد شدّدت على هشاشة الفرد في عالم عدائي، وعلى يده المفرغة من الخيارات.

فيما يخص أساليب المعيشة، كان التأثير الأكبر يحسب للثقافة الشعبية الأمريكية التي كرستها الأفلام، والبرامج، والمنتجات الأمريكية التي تُضخ إلى المجتمعات المستهلكة بالإضافة إلى سحر الغموض الذي يلف الأرض الأمريكية الغنية، وما رافق كل ذلك من حماسة وصلت ذروتها في خمسينيات القرن الماضي خاصة في غرب أوروبا، وأمريكا اللاتينية، واليابان. كان هنالك أيضًا نوع من الرضا يخص الثقافة الأمريكية الديمقراطية، وشعبيتها وإمكانية الوصول السهل إِليها. انتشرت هذه الثقافة عبر الأفلام الأمريكية، والتلفاز، وموسيقى ليونارد بيرنشتاين، وآرون كوبلاند، وأصبحت مضربا للأمثال الشعبية والكلاسيكية.

أما في الستينيات فقد ضربت، ان لم تكتسح، التغييرات الاجتماعية، والثقافية، والفكرية التابوات القديمة. ان عرض موانع الحمل الفموية، وسرعة انتشارها أواخر الخمسينيات على سبيل المثال، سهّلت، أكثر من أي وقت مضى، الفصل بين ممارسة الجنس، والتكاثر.

الموسيقى

ارتبطت اختيارات المستهلك بعدد من التطورات الاجتماعية، ومنها ظهور المستهلك الشاب. فقد انتشرت رغبة الشباب في

صناعة هوية ناضجة، وعدم إنتاج نسخ مكررة ممن يكبرونهم عمرا، ورفض آراء الوالدين. لوحظت هذه الحالات بشكل واضح مع الموسيقى (الشعبية)، وهي من اصناف الموسيقى التي تلاقي رواجا متصاعدا بين جيل الشباب. ففي الخمسينيات انتشرت موسيقى الروك اند رول، وفي الستينيات ظهرت موسيقى البوب. ولمع النجم الفيس بريسلي الأمريكي، وفرقة البيتلز البريطانية، وأصبحوا أيقونات زمنهم إذ تخطوا كل الخطوط المرسومة للموسيقى، والسلوكيات التقليدية انذاك. على الرغم من افتقار هذه الموسيقى إلى التعقيدات، والمهارات الفنية لكنها أعيرت إلى الآذان عن طريق تكنولوجيا الراديو الحديثة انذاك.

التلفزيون

في العام 1926، قدّم جون لويجي بايرد أول استعراض عام لتكنولوجيا التلفزيون، وفي العام 1936 بدأت أول خدمة بث تلفزيوني في بريطانيا. تأثر خط تطور التلفزيون بالحرب العالمية الثانية، لكن الرخاء الاقتصادي، وما تميز به الجهاز عزز انتشاره في الغرب، ومِنْ ثَمَّ شهد انطلاقة صاروخية. ففي بريطانيا 75٪ من السكان توفر لهم رؤية التلفزيون بيسر مع العام 1959. في العام 1986 كان هنالك ما يقارب 195 مليون جهاز عبر الولايات المتحدة وحدها، وأصبحت مركز الثقافة التلفزيونية فيما لو قوؤرنت بالبرازيل التي امتلكت 26 مليون جهاز، والهند، 10.5 مليون جهاز، وإندونيسيا 6.6 مليون جهاز. أما في التسعينيات فقد

انتشرت القنوات الفضائية إضافة إلى ما هو موجود من قنوات أرضية. تفوق التلفزيون على الراديو في جذب من يتمتع بالراحة والاسترخاء. تميز التلفزيون بأنه كان يشكّل الآراء، والموضة، ومصدر الحوارات، والسجالات، وفرصة لاجتماع العائلة، أو اختلافها، وقد أصبح عنصرا مهما في كل بيت. أصبح التلفزيون يشكل قوة للتغيير، وعنصرا هاما لصناعة المجتمع الاستهلاكي، وهو يمثل (نافذة على العالم) امتلكت حق الوصول إلى أي مكان، ونقل أي شيء. بمرور الوقت عكس التلفزيون الذوق العام.

بالمقابل، ضربت الفضائيات الأنظمة المحتكرة للمعلومات عابرة الحدود. واعتقد المتطرفون الإسلاميون، مثل نظام طاليبان، بأنه من المهم حجب الثقافة الغربية عن مجتمعاتهم، فمنعوا التلفزيون في أفغانستان.

إطعام العالم

ان الزيادة غير المسبوقة بالتعداد السكاني العالمي تعني أيضًا زيادة الطلب على الطعام. تمت تلبية هذه الحاجة عموما، مع ذلك حصلت إخفاقات سافرة في توفير الاغذية تمظهرت بالمجاعات، وكان معظمها من تبعات الحروب، والسياسات الزراعية المتطرفة في الاقتصاديات الموجهة، أو من جراء ظروف مناخية قاسية، وكذلك الاستهلاك العالي في البلدان المتطورة حَيْثُ صارت السمنة من القضايا الصحية الخطيرة ولم تتكرر بهذا الشكل في أماكن أُخَر من العالم.



الفيس بريسلي النجم الأيقونة لموسيقى الروك اند رول التي ظهرت في الخمسينيات

الثورة الخضراء

تركز النمو في الإنتاج الزراعي في أماكن كثيرة من العالم في النصف الثاني من القرن العشرين بفضل ما يعرف بـ (الثورة الخضراء)، وانتشار السلالات المحسنة من المحاصيل، وانتشار المبيدات الحشرية، والكيمياوية، إضافة إلى انتشار المكننة الزراعية، ومياه الري. ازدادت الإنتاجية الزراعية المخصصة للفرد الواحد من 135 كغم في العام 1961 إلى 161 في العام 1989.

في البرازيل ادت المكننة إلى زيادة الإنتاج الزراعي في العقود الأخيرة من القرن. لقد ساعدت التغيرات في القطاع الزراعي على تحول المزارع الصغيرة العائدة للعائلات الفلاحية، إلى مشاريع زراعية كبيرة خاصة في منطقة سيرادو في جنوب حوض الأمازون. استجابت الحقول الواسعة للمكننة، فتطورت عمليات إنتاج المحاصيل المطاوعة للحصاد الآلي، لكن هذا الازدهار قابله ثمن باهظ في البرازيل على مستوى الفلاحة التقليدية، ما ولّد أزمة في هذا المجال.

كانت التبعات البيئية للثورة الخضراء خطرة للغاية، فالزراعة الموحدة، أو زراعة النوع الواحد من المحاصيل قلّصت من التباين الحياتي للسلالات المزروعة إِذ اختيرت ذوات الإنتاجية العالية فحسب. بذلك تكرست آفات معينة بسبب محدودية المحاصيل المختارة. أما طبيعة العملية الزراعية فقد ادت إلى زيادة التعرية، وخسارة التربة الصالحة.

المزارع الصناعية

قاد الدخل المتزايد إلى زيادة الطلب على اللحوم والاسماك وإنتاجية اللحوم لوحدة الأرض. أدى ذلك إلى التوجه بعيدا عن تربية الأبقار في المراعي والميل إلى حشر الحيوانات التي تربى على المعالف في مزارع مغلقة طوال العام خاصة الخنازير والدجاج.

الطعام

ان العودة إلى الحياة المرفهة كانت تعني في الخمسينيات: زيادة استهلاك البروتينات، والكاربوهيدرات التي بقيت الطبق الأساس في قائمة الطعام الغربية. ارتفعت المعايير الغذائية في العالم المتقدم، واستهلاك السعرات لكل فرد، خاصة في أمريكا الشمالية، وغرب أوروبا، وأستراليا.

في الستينيات تأثر الطعام الوطني في هذه المناطق بإضافة مواد أخرى، واطباق قادمة من بلدان أجنبية. انتشرت المطاعم الإيطالية، والصينية، والهندية خارج مواطنها، بينما أصبحت سلسلة مطاعم الوجبات السريعة مثل مكدونالدز في كل مكان.

هنالك رغبة لتذوق الاطباق الجديدة، وتوفرت المعلومات حول كيفية تحضيرها. لم تعد البيوت تتقبل الاطباق الموروثة، أو كتاب طبخ محدد. عوضا عن ذلك أصبحت الأسر تقتني كتبًا عدّة، وتستأنس بالتكنولوجيا لتوفير المعلومات اللازمة. كما انتشرت برامج الطبخ في الكثير من القنوات التلفزيونية. ان توفر أجهزة التبريد (الثلاجات وما شابه) غيّر من طبيعة نمط

الاستهلاك بتوفير إمكانية الخزن. اختفت المحددات الموسمية لمن يريد توفر المحاصيل طوال أيام السنة. أصبح المستهلك مرتاحا بتوفير الغذاء بسبب انتشار المجمدات، والمايكروويف، فانفتحت سوق واسعة لاطباق جديدة.

على العكس من ذلك، بقي الاستهلاك اليومي للسعرات منخفضا في أفريقيا السوداء، وجنوب آسيا، واجزاء من أمريكا اللاتينية. ظهرت المجاعات كما في إثيوبيا. حافظت الطرق التقليدية في الحصول على الطعام، وتحضيره على أهميتها في هذه الارجاء. بالإضافة إلى الاختلافات الثقافية كالتابوهات الدينية التي تخص تناول لحم الخنزير، أو البقر، وقاومت التغيير.

حركة المحافظة على البيئة

مُنذ خمسينيات القرن الماضي، واجهت الفكرة القائلة بان العالم أرض متاحة للتشكيل حسب الحاجة، ومسخرة بكل خيراتها، فرضية انها ليست أكثر من محيط حياتي يعمل بشكل عضوي، وأدواته هي آليات العمل الطبيعية التي تعود عليه لإدامة دورة الحياة. العالم اليوم عبارة عن نظام بيئي دمره النشاط البشري، كما يتضح من تلوث الغلاف الجوي. أصبح من الممكن ملاحقة الملوثات المحمولة، وعرضها جوًا، أو بواسطة المياه. صدرت كتب تعنى بالموضوع، مثل الربيع الصامت في العام 1962 لعالمة البيئة الأمريكية راشيل كارسون، وقد سلطت الضوء فيه على التهديد البيئي للمبيدات الزراعية خاصة DDT.

لقد سلط النمو السكاني، والتطور الاقتصادي، والرفاهية المتزايدة ضغطاً على البيئة. فقد ازدادت انبعاثات ثاني أوكسيد الكاربون المتأتية من احتراق الغابات، والوقود العضوي خاصة الفحم، والترسبات الحامضية بسبب إنتاج عمليات التصنيع لمادتي الكبريت، والنتروجين. لقد اتلفت الامطار الحامضية أراضي الغابات، وطالت الأنهار، والبحيرات. تمكن التلوث من إصابة البيئات القاصية سواء في بلد المنشأ، خاصة في الأراضي المرتفعة، ام في البلدان الأخرى.

تباين التأثير السلبي للتلوث. لقد اثرت انبعاثات الرصاص من المركبات في نوعية الهواء. لقد ازدادت النفايات التي تنتجها المجتمعات المستهلكة ومعظمها غير قابلة للتحلل الحياتي، وقد تكون سامة. دخلت النفايات البلاستيكية في المحيطات إلى سلسلة غذاء الإنسان من خلال الطحالب، والاسماك.

إزالة الغابات

تسارعت عمليات إزالة الأشجار في القرن العشرين، واثبتت معلومات الاقمار الصناعية وجود مساحات كبيرة من الغابات التي تم ازالتها. بين عامي 1970 – 1995 فقدت الأرض 10٪ من غاباتها الطبيعية. ومن زاوية أخرى فبين العامين 1960 – 1990 فقدت الدول النامية 450 مليون هكتار من الغابات.

في المناطق المعتدلة مثل كندا، والدول الاسكندنافية اتسعت مساحات التشجير بشكل كبير، بينما في المناطق الاستوائية كان

هناك جوع عام لالتهام الغابات لصالح الحصول على الأراضي، واستغلال خيراتها.

في بروناي، تم إزالة مساحات واسعة من الغابات منْ أَجل زراعة زيت النخيل. على جزيرة جافا الاندونوسية، تجاوز التعداد السكاني إمكانية الإنتاج الزراعي بشكل كبير في خلال العقود الأربعة الأولى من القرن. أدى ذلك إلى قلة حيازة الأرض، إضافة إلى إزالة الغابات، وإنهاك التربة، وهذه الصورة تكررت في أماكن كثيرة من العالم.

السدود

نتيجة الأيديولوجيا والسياسة، كانت السدود تُعَدّ كمصادر للسيطرة على جريان الماء سواء أكان ذلك للاستهلاك البشري ام لتوليد الطاقة الكهربائية فمُنذ خمسينيات القرن الماضي ظهرت الأخيرة كطاقة بديلة آمنة للطاقة النووية التي مثلت حقبة ما بعد الوقود العضوي. من الممكن تطويع الطبيعة. حول العالم، أصبحت السدود ترسم مستقبل الكوكب. صدقت هذه المقولة على المشاريع الكبرى مثل سدود وادي نهر تينيسي في الجزء الغربي للولايات المتحدة ومن اهمها سد هوفر وسدود نهر دون في الاتحاد السوفيتي ومجمع سنوي ماوتنز في أستراليا وسد اسوان في مصر وسد كابورا باسا في موزمبيق وسد الممرات الثلاثة على نهر اليانغتسي في الصين. تستمر عمليات إنشاء السدود الكبرى، فإثيوبيا بصدد

إقامة سد عملاق على النيل الأزرق وهنالك نزاعات مع مصر والسودان حول كميات المياه المتسلّمة بعد اقامته.

التغير المناخي

مع ازدياد التعداد السكاني، وتحولات الأراضي المستخدمة، عجزت الغابات عن تصفية الجو من الكربون، بسبب تفاقم انبعاثات الاحتباس الحراري مُنذ الثورة الصناعية التي استهلكت الوقود العضوي، مثل الفحم، والنفط، بشكل انفجاري، وإطلاق عمليات الاحتراق لكميات متصلة من ثاني أوكسيد الكربون في الأجواء.

ان هذا التشبع للغلاف الجوي أضعف إلى حد كبير قابليته على تسريب الحرارة من الكوكب، ما ساعد على ذوبان الثلوج، وظهور تغيرات مدمرة أخرى للمناخ. ازدادت درجة حرارة الأرض بشكل متواتر مُنذ منتصف السبعينيات: من العام 1975 إلى نهاية القرن، ازدادت درجات الحرارة المسجلة نصف درجة مئوية.

اثار التغير المناخي القلق الكبير حيال التمدن، واتساع النشاطات الحضرية، ولوّح بملفات هامة جديدة للدبلوماسية العالمية. اتسعت خلافات الولايات المتحدة، والصين، والهند، والاتحاد الأوروبي حَتَّى بات من المستحيل إيجاد صيغة توافقية للتقليل من الانبعاثات الكربونية، أو تحديدها. تم رفض بروتوكول كيوتو العام 1997، من قبل الولايات المتحدة في العام 2001 إذ حاججت بأنه غير عادل من ناحية استفادة الدول النامية،

ورفضت أمريكا في العام 2017 اتفاقا يعالج موضوع التغير المناخي تم التوصل إِليه في باريس العام 2015.

التركيبة السكانية

الهجرة

في القرنين العشرين، والحادي والعشرين ارتفعت معدلات الهجرة استجابة للعوامل المختلفة بين جذب، وطرد. وتمثلت العوامل الجاذبة بالفرص الاقتصادية، وطرق النقل المحسنة، أما العوامل الطاردة للسكان فتمثلت بالنزاعات المسلحة، والاعتداءات السياسية، والاثنية، والدينية، وكذلك الفقر الناتج من النمو السكاني، والكوارث الطبيعية كالجفاف، والفيضانات. تميزت أنماط الهجرة بتنوعها، وتعقيداتها. الكثير منها كان ضمن البلد نفسه من الريف إلى المدينة، وإلى مناطق فرص المعيشة الأفضل، خاصة مدن الصين الساحلية، والمدن الكبرى في الهند، واليابان، والحزام الشمسي للولايات المتحدة. في اليابان انتقل السكان من مناطق الأطراف إلى طوكيو، واوساكا.

تصاعد الجدل حول الهجرة ما بين البلدان. مع ذلك كانت هجرة العمال من البرتغال للعمل في فرنسا، والأتراك إلى ألمانيا، والهنود إلى دول الخليج، اقل تعقيدا من استقبال المهاجرين المضطهدين الذين لا يستطيعون العودة إلى بلدانهم. المشاكل التي تفاقمت نتيجة الأسباب الحقيقية، أو الخوف من المهاجرين الذين جاءوا بثقافاتهم المختلفة، جعلت منهم موضوعا مثيرًا للجدل.

1500: 425 مليون
1804: مليار
1900: 1.6 مليار
1927: ملياران
1960: 3 مليارات
1999: 6 مليار
2017: 7.3 مليار
2030: 8.75 مليار (متوقع)
2100: 11.4 مليار (متوقع)

في العقد 2010، ارتفعت الهجرة المشحونة بالأسباب السياسية من أمريكا الوسطى إلى الولايات المتحدة، ومن الشرق الأوسط، وأفريقيا إلى أوروبا. طوّر بعض المحللين مقولة الانتماء تحت التهديد، وزاد الامر تعقيدًا الارتفاع الكبير بالتعداد السكاني. من المتوقع استمرار النمو السكاني على الرغم من تراجعه في اليابان، (وربما في الصين أيضًا بحلول العام 2030).

هنالك آمال بأن يستقر التعداد السكاني عند 9.5 مليار نسمة مع حلول العام 2050. يعود الفضل في ذلك إلى زيادة ثقافة النساء الخاصة بتحديد النسل، لكن الواقع اثبت خطأ الفرضية مع بقاء نسبة النمو السكاني في تصاعد مستمر في أكثر المناطق تديّنا في العالم. ما زال هذا الموضوع يُقلق المخططين الاقتصاديين في كل الدول.

مدينة المستقبل

في الوقت الذي تتوقع فيه الأمم المتحدة أنه مع حلول العام 2030 سيكون عدد سكان المدن 5 مليارات، فان ما تم تسجيله في العام 2012 يؤكد وجود أكثر من نصف سكان العالم في المدن وقد بلغوا 7 ملايين ساكن. هنالك توقع بان يشغل ثلاثة ارباع سكان العالم المدن مع عام 2050 مع حصول زيادة ملحوظة في آسيا وأفريقيا. للعالم اليوم 34 مدينة كبرى يفوق تعداد سكانها على عشرة ملايين نسمة. ومن بين المدن الكبرى العشرين في 2015، تقع المدن الرئيسية السبع أو الثماني في آسيا. ان الحاجة لمدن جديدة - الصين وحدها تحتاج إلى المئات لاستيعاب الهجرة عن أراضيها - هو عامل مهم في الأبحاث التي تهدف إلى تحقيق حلول مستدامة للتطور الحضري. ومن الحلول هو اعتماد العمران العمودي الواطئ التكلفة الذي يتطلب مساحات معقولة من الأرض. في شنغهاي، هنالك أكثر من ألف مبنى يربو على الثلاثين طابقًا. وهي من أبرز أمثلة تحول المراكز الإقليمية إلى مدن صاخبة ذات بعد عالمي. تعد شنغهاي نموذج القرن الحادي والعشرين للحداثة والتغير، كما كانت أمستردام في القرن السابع عشر. ولندن في القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر، حَيْثُ شهدت عمليات هدم واسعة للمدينة القديمة وإعادة تسكين إجباري لمئات الآلاف من السكان وهذه الممارسات تصدق أكثر على عمليات التحضر في الصين. يزداد تحدي العيش الحضري مع النمو السكاني المتصاعد وما يرافقه من ضغوطات بيئية.

العلم الحديث

الرعاية الصحية والدول النامية

شهدت الرعاية الصحية قفزة توعية في النصف الثاني من القرن الحالي بسبب توفر مخزون دوائي مُحسّن. ان المعرفة بآليات السيطرة على الأمراض، وانتشار الوعي الصحي عزز من فرص الرعاية الصحية، وتم رسم السياسات الخاصة لضمان وصول أكبر عدد إليها مع توفير برامج اللقاحات، وتغذية افضل للأطفال. قلّلت الثورة الخضراء في الصين، والهند من تأثير المجاعات بسبب كميات الغذاء الهائلة المنتجة.

أما بالنسبة لبرامج التحصين العالمية التي تبنتها منظمة الصحة العالمية التي أُسِّست في العام 1948، فقد ركزت على الوقاية من الحصبة، والسل الرئوي. في الفترة 1948 – 66، تبنت منظمة الصحة العالمية تلقيح 180 مليون شخص ضد السل الرئوي.

حصل تغير كبير لمتوسط عمر سكان الدول النامية مُنذ الخمسينيات بسبب انخفاض معدلات وفيات الأطفال. ومن اهم هذه الأرقام الانخفاض المتحقق في الصين، والهند. ومع حلول العام 1999، ارتفعت معدلات متوسط العمر إلى 70 و63 على التوالي. يمثل النمو السكاني السريع إحدى أبرز القوى المشكلة لتاريخ العالم في خلال الارباع الثلاثة الأخيرة من القرن.

زراعة الأعضاء

بدأت تجارب زراعة الأعضاء، فرع مهم من الجراحة، في القرن التاسع عشر. مع تطوير تقنيات ناجحة لزراعة القرنية. أما القرن العشرون فقد شهد زراعة الكلى (المجاري البولية) التي أخفقت بشكل متكرر حَتَّى الثلاثينيات عندما اكتشف ان سبب رفض الأعضاء الجديدة هو ان درجة تدهور صحة المريض لا تعينه على اجتياز العملية. تم التغلب على هذه المشاكل في الأربعينيات، فمن الممكن ان يبقى المريض على قيد الحياة بعد العملية بالمداومة على غسل الكلى وتأمين خلوها من الإصابات الميكروبية بتناول المضادات الحيوية. تمت أول عملية ناجحة لزراعة كلية في شيكاغو في 1950.

أصبحت عمليات الترقيع وزراعة القلب ممكنة في الستينيات مع زراعة أول قلب بشري في 1967 وأول زراعة مزدوجة للقلب والرئة في 1981. تحولت عمليات زراعة الأعضاء من تجارب قاتلة إلى عمليات روتينية بنسب نجاح عالية.

السيارات

في الدول النامية انتشرت صناعة السيارات مع زيادة ملحوظة بملكيتها. أما في العالم الحديث فقد ارتفعت نسب ملكية السيارات في الخمسينيات بعد انتهاء ظرف الحرب القاسي، وانتهاء الاحكام المرتبطة به، ومع دخول صناعة السيارات كعامل أساس في النمو الاقتصادي. فمُنذ الستينيات طورت اليابان أولاً، ومِنْ

ثَمَّ البرازيل خطوط إنتاج واسعة. ومع العام 1990 كان هنالك حوالي 600 مليون سيارة في العالم. وفي العقد التالي كان هنالك تحول مهم باتجاه الملكية في الصين. في جزر الايستر في المحيط الهادئ كانت هنالك سيارة جيب واحدة في العام 1956، أما في العام 2000 فقد قفز الرقم إلى 3000، وهو يعادل تعداد السكان فيها.

الطرق السريعة

ظهرت الطرق متعددة الممرات ذات المسافات الطويلة المصممة لتأمين حركة سير كفوءة للسيارات للمرة الأولى في ألمانيا مُنذ 1935. وانتشرت بعد الحرب العالمية الثانية. من اهم هذه الشبكات منظومة الطرق السريعة التي تصل الولايات المتحدة الأمريكية فيما بينها في الخمسينيات. عوضت هذه الشبكة عن خدمات القطار للمسافرين ووفرت شبكة وطنية مجانية جاهزة للاستخدام في أي وقت. افتتح أول خط سريع في بريطانيا في 1958 وتبعه بعد سنوات أربع، الخط السريع الرابط لأنحاء كندا.

أصبحت السيارات من المظاهر المميزة للحياة الحديثة. في الوقت ذاته فاقمت من مشكلة التلوث، ورداءة الهواء في بكين، والقاهرة، ودلهي، بينما أصوات (المنبهات، والمحركات) الواردة في قصيدة تي اس اليوت، الأرض اليباب، العام 1922، أصبحت من المظاهر اليومية. في العام 2017، قضى سائقو لوس

انجلس، المدينة الأكثر ازدحاما في العالم، معدل 102 ساعة سنويا في زحامات ساعة الذروة.

ان تزايد القدرة الشخصية على التنقل للغالبية العظمى، وليس للجميع على أي حال، أدى إلى نمط السكن قليل الكثافة، وساعدت على نشر الرفاهية. جاءت ملكية السيارات بإحساس، ان لم يكن وهم الحرية، وزيادة الفرص، والخيارات للكثيرين. ان تصنيف المجتمعات السكانية وفقًا لدرجة الغنى، والطموح، والفرص المتاحة، والعمر أصبح أكثر وضوحا. هنالك ارتباط بين الفقر، ومحدودية التنقل.

رقائق الكومبيوتر

ان التغير الكبير في حجم تجهيزات الكمبيوتر مكنته من الانتشار في المكاتب والبيوت في جميع انحاء العالم. ان تصغير المكونات الإلكترونية إلى حد كبير مكن من تثبيت عدد كبير من دوائر إلكترونية متكاملة على شريحة صغيرة من السيليكون، طريقة رخيصة وفاعلة لخزن المعلومات. تم ابتكار الدوائر المدمجة في 1958، وأول حاسبة ارقام تحمل باليد أنتجت في 1966. أنتج إنتل 4004 وهو المعالج المتناهي الصغر الأول في 1971. في 1965، تنبأ غوردون مور الشريك المؤسس لشركة انتل لرقاقات ومعالجات الكمبيوتر، بثورة كبيرة في إمكانيات الحاسوب نتيجة مضاعفة عدد الترانزستورات المدمجة في الدائرة الواحدة كل 12 – 24 شهرا. يعتبر صغر الحجم عموما من العوامل

المهمة في رواج المنتجات الاستهلاكية الجديدة كما هو واضح مع أجهزة الهاتف النقال وحاسبات اللابتوب وأنظمة الأقراص المصغرة إِذ أصبحت إمكانية حمل الأجهزة بيسر سببا أساسيا في انتشارها بين أفراد مجتمع أجهزة النقال الحديثة. تبعت هذه المرحلة إنتاج حواسيب محمولة خالية من لوحة المفاتيح. بعد ذلك دفعت حاجة الأعمال المتوسعة واقتناء الحواسيب الشخصية إلى ابتكار الإنترنت والبريد الإلكتروني. تطور العمل في مجال شبكات الحواسيب تحول من سيطرة الحاسوب المركزي إلى منظومة الأجهزة المتعددة لتنسيق نشاطها وأثبتت قدرة مجموعة كبيرة من الحاسبات على الانتظام بعمل عالي التنسيق. ظهرت مجموعة جديدة من خدمات التكنولوجيا مثل كابلات الألياف البصرية التي ضاعفت من قدرة تحمل وخزن أنظمة الكايبل ومستوى صوت التلفونات والرسائل الإلكترونية.

الروبوتات

مع نهاية العام 1999 انتشر استخدام 750 ألف روبوت في حقل الصناعة حول العالم. وأصبح استخدام الروبوت رائجًا في تصنيع السيارات، خاصة في اليابان، ومِنْ ثَمَّ في الولايات المتحدة، وألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا. لم تظهر أي دولة أفريقية، أو من أمريكا اللاتينية، أو جنوب آسيا على قائمة العشرين دولة الأكثر استخداما للروبوتات في العالم. وكما هو الحال مع

إنتاج الحواسيب، فان صناعة الروبوتات استفادت من التطور المستمر الذي مكنها من ان تصنع بتكلفة اقل وإنتاجية أعلى.

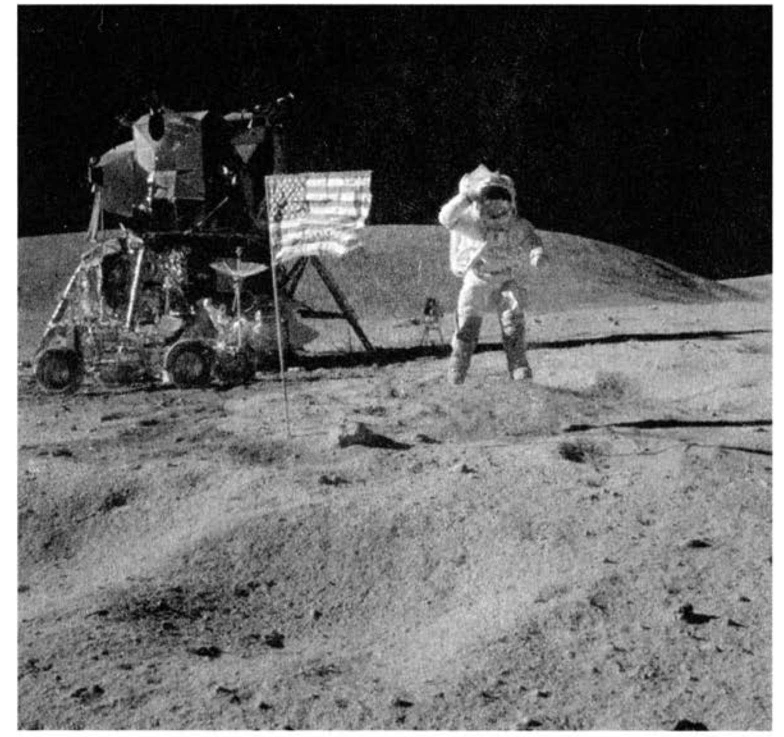
التنقل - الفضاء

تظهر الطفرة الكبيرة في تطور السفر عبر ما هو (أثقل من الهواء) مُنذ الأخوة ورايت في 1903، إلى صاروخ سبتنك الروسي في 1957، طبيعة التغيير المتسارعة. تبعت هذه الخطوة استكمال خارطة القمر بواسطة الأقمار الصناعية التي تدور حوله. في 20 تموز 1969 شهد القمر أول قدم بشرية تحط عليه كجزء من البعثة الأمريكية ابولو 11 التي أطلقت إلى الفضاء عن طريق صاروخ عملاق يدعى ساتورن 5. شاهد أكثر من 600 مليون شخص الهبوط على القمر كبث حي على التلفاز. أما في خلال بعثة ابولو 8 في كانون الأول السابق، فقد كانت المرة الأولى التي يشهد فيها الإنسان إشراق الأرض على القمر.

حَتَّى البعثات غير المسماة كانت لها أهميتها مثل مسباري الفايكنغ التي اطلقت في 1975، وهبطت على المريخ بحثا عن الحياة ولكن دون جدوى. فوياجير الأمريكية التي اطلقت في 1977 أرسلت صور الكواكب الخارجية إلى الأرض. وارسلت إشارات راديوية بسرعة الضوء حملت صورا مبهرة كتلك التي تخص كوكب نبتون في 1989. في 1990 اطلق تلسكوب هابل الفضائي، زود رواد الفضاء بصور أكثر وضوحا للمجرات

البعيدة. ان اكتشاف منظومة خارج المنظومة الشمسية في 1990 لحقتها اكتشافات مماثلة لآلاف أخرى.

ان القدرة المتزايدة للإنسان لمراقبة القمر والكواكب والنجوم لم تقده إلى ما كانت تتوقعه الأعمال السينمائية كما في اوديسا الفضاء 1968 والفضائي في 1979. ظهر الميل للتعامل مع الكائنات الفضائية من منظور بشري من خلال الأعمال التي لاقت رواجا كبيرا مثل حرب النجوم وستار تريك.



الهبوط على القمر في 1969/7/30 تم بثه مباشرة إلى ما يربو على 600 مليون مشاهد

فهم المادة

لو أخذنا بنظر الاعتبار سهولة خلق ظواهر تبدو كأنها حقيقية، على وفق درجة تطور التكنولوجيا الحالية، والمستقبلية، خاصة ما يتعلق بالواقع الافتراضي، فمن الممكن ان تزداد صعوبة التمييز بين الحقيقة، والخيال، وتذوب الفواصل التي تجعلنا متيقنين أين نقف من الحالين. أما الكون، والمادة فلهما منظور مختلف، فيما لو اعتمدنا البحث في طبيعتهما، بالتالي سيعالج الزمن في فضائه المكاني، والعكس. وهذه الدراسات تجمع حقولاً بحثية عدّة، منها علم الفضاء المتقدم، والمُسارِع النووي الكبير، ونظرية الكم. وتضمنت الأخيرة ان الجزيئات البعيدة من الممكن ان (تعرف) كيف كان يتصرف البقية. فتحت الفرضية آفاقًا أوسع لبناء منظومات معلوماتية معقدة. ومن بينها قد تكون الإشارات التي تتحرك أسرع من الضوء (التي كان يعتقد انها ضرب من المستحيل)، وبذلك فمن الممكن السفر إلى الماضي. مما تقدم، فان تطور النظريات ارتبط بفهمنا للكون الذي يمهد لفهم جديد لكل من المكان، والزمان. ومع تعالي الجدل، يبدو ان هذه الأفكار تربط الزمان، والمكان مجددا.

الخلاصة

يبدو ان مستقبل البشرية موجه من خلال قوتين: النمو السكاني السريع، وتأثير الإنسان في البيئة. فمعًا، خلقا ما يعرف اليوم بالانثروبوسين، وهو عهد النشاط البشري ذي التأثير

العالمي في الأنظمة الحياتية في الكوكب. انه تغّير عالمي: يُرى تلقائيا حول العالم، ويتأثر بعضه ببعضه الآخر.

دائما ما يسلّمنا الماضي للحاضر بعد أن يكون قد رسم السياق، والمتغيرات، واشارات الوصول إلى، أو الدخول في المستقبل. فما يُعَدّ حديثا لجيل ما، غالبا ما يحدث بسرعة. ان مصطلح الحداثة – ان يصبح شيء، أو امر حديثا – هو صلب الموضوع. والمصطلح فيه غبن لتنوع الماضي، وتعقيدات عمليات التغيير. ومن الممكن أن يكون الامر مخادعا لشدة تركيزه على الحاضر، فيفقد رؤيته الثاقبة. فالتاريخ الحالي للأديان، قد يعكس التهميش (كما في الصين، وأوروبا الغربية، وأستراليا)، أو المقاومة، والانقسامات كما في معظم دول العالم خاصة في أفريقيا، والأمريكتين. مقارنة مع العام 1900، أو أي قرن مضى، هل علينا التركيز على التدهور البيئي، والتراجع الأخلاقي، أو على سقوط اغلب الإمبراطوريات، وتحديات الممارسات الاجتماعية للمحافظين، خاصة فيما يتعلق بالنساء وتقدم الحريات السياسية، والدينية في الأقل في بعض البلدان؟

من الممكن ان تُحدّد ملامح الحداثة بالتغييرات الكبرى التي حصلت مثل انتشار التعليم، والتمدن. ان هذه المعالم المهمة التي ميزت القرنين التاسع عشر، والعشرين كانت لها مقدماتها الأساسية بظهور الطباعة في الحقبة الحديثة المبكرة في الغرب، لأنه على عكس الصين واليابان، استخدم الغرب الطباعة للتغيرات الدينية، وعمليات التسييس، والانتشار

الواسع للتطورات الفكرية، والعلمية. ولهذه الأسباب كلها بدأت الحقبة الحديثة في الغرب وتطورت سريعا في القرن التاسع عشر، خاصة التطور الصناعي الذي أدى إلى تمدن واسع النطاق، وأثر في معظم سكان العالم مع نهاية القرن العشرين. في جنوب آسيا، وأفريقيا السوداء، فدائما ما تكون الحداثة (قيد الإنجاز) مع وجود تناقضات صارخة. أما الهند، ذات النمو الاقتصادي المتسارع بشكل كبير، فما زالت تعاني من انتشار الامية، والمنظومات الاجتماعية المغلقة، والقساوة التي تعاني منها النساء إلى اليوم.

في القرن التاسع عشر، أصبح من الممكن عمل ما كان محصورا بالخيال العلمي كرحلات الفضاء. تستمر القصص بكشف ادلة هامة، لا تتعلق بالتوتر، والأزمات فحسب، وانما بطموحات العصر أيضًا. ان فكرة خلق اشكال حياتية جديدة، وصناعية أصبحت أكثر إلحاحًا. فبالإضافة إلى اشباه البشر الذين ظهروا في الأفلام مثل متروبولس في العام 1927، والفاني غي العام 1984، ظهرت الحواسيب خارقة الذكاء والمقلقة في الوقت ذاته، كما في العام 2001: اوديسا الفضاء العام 1968. في العقد 2010، اثار الذكاء الصناعي القلق الكبير، خاصة ما انتشر عنه في صفحات التواصل الاجتماعية من عدم استقراره، وفي النهاية من عدم الارتياح لاعتماد هذا الذكاء.

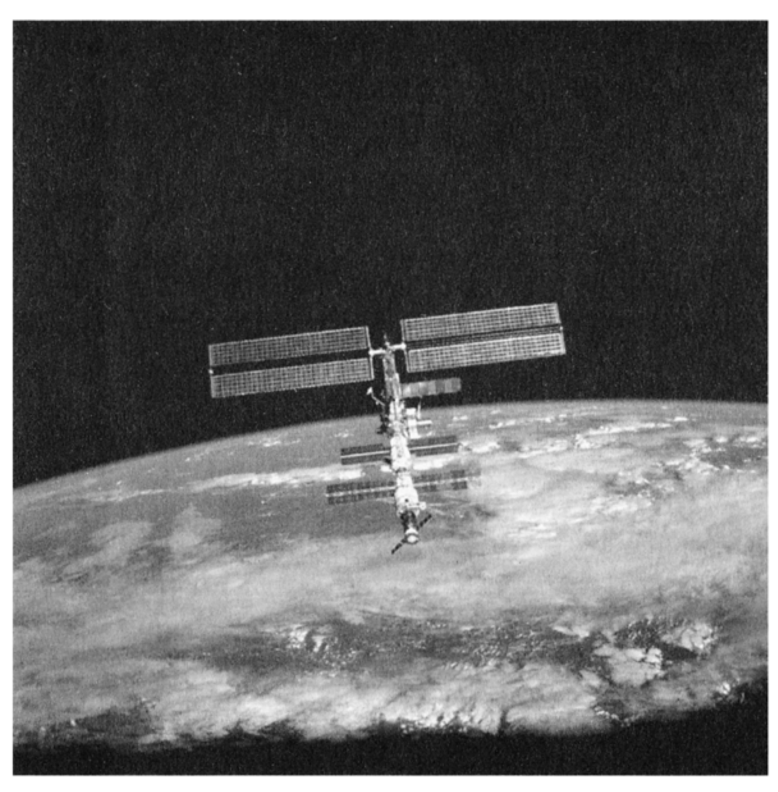
إشارة إلى أزمة سقوط الشيوعية في أوروبا الشرقية في العام 1989، يجادل رونالد ريغان: «ان التكنولوجيا ستجعل امر السيطرة على المعلومات التي تصل إلى الناس شاقًا جدا».

لكن بفضل تلك التطورات، أصبح بإمكان الولاءات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية المختلفة ان تتعايش معًا على الرغم من المتغيرات المتلاحقة، ومتطلباتها.

لو استطاع إنسان المستقبل تحقيق الإندماج، ربما من خلال زراعة الأعضاء، والهندسة الوراثية، أو مهارات متطورة أخرى، فقد تظهر قابليات أخرى كالمميزات الجسدية، وإمكانية معالجة قدر أكبر من المعلومات، رغم صعوبة ذلك، لكنه قد يتحقق بشكل يختلف عما اظهرته إمكانيات القرن العشرين. فالتغيرات العصبية أصبحت معروفة، مع تكيف الدماغ السريع مع العصر الإلكتروني، كما تمّ ذلك، سابقًا، للتكيف مع عصر الطباعة. ان التغيرات الحاصلة في البيئة الإنسانية، تأتي بفرص، وضغوطات جديدة. ان هذه التكيفات ضرورية، لان هذه الضغوطات سيزداد معها الطلب على الموارد، وما يرافق التعداد السكاني المتصاعد من تحديات إيجاد الفرص في اقل تقدير، إِذ سيكون هنالك تنوع في الفرص، والطلب حسب توزيعها الجيوسياسي المتنوع.

هذا هو الحال في انحاء العالم جميعها. الحال على مستوى الأفراد هو ذاته على مستوى المجتمع. ان توفير الموارد الكافية يمثل تحديًا حقيقيًا، لكنه ليس اصعب من إدارة النظام البيئي الحياتي كي لا تقضي البيئة على الحياة. ستحتاج إلى تحقيق التوازن ما بين أرضاء النفس والالتزام تجاه الجماعة. وهذه المعادلات لا يمكن وصفها ابدًا بالسهلة، أو اليسيرة. هنالك مشاكل تخص الادراك، واتخاذ القرارات، والتنفيذ. ومن المؤمل ان يمتلك

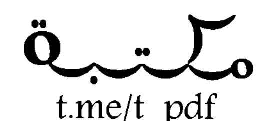
الإنسان رأس المال الفكري للتعامل مع القضايا الكبرى التي تنتظره بلا شك.

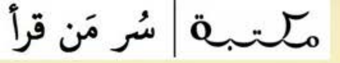


قد يمثل الفضاء الحدود القادمة للبشرية، فالقضايا الجارية مع تغير المناخ، والصراع السياسي واكتظاظ السكان قد يجعل الحلول الجديدة أكثر أهمية من أي وقت مضى

هنالك دلالات خجولة على حصول تعاون عالمي لحل هذه المشاكل. فالفترة التي تلت العام 1945 شهدت محاولات على المستويين العالمي، والإقليمي، للتعاون على حل المشاكل

في مجالات شتى لم تشهدها مرحلة سابقة. مع ذلك، بقيت بعيدة عن إيجاد الحلول المؤثرة. لا أحد يستطيع ان يجزر ان كان الامر سيتغير. تنوعت التوقعات، والامال. قد يتفوق النوع البشري على نفسه، وقد يفشل.





جيرمي بلاك

هو أستاذ التاريخ في جامعة إكستر، وهو محاضر وكاتب غزير الإنتاج، إذ ألف أكثر من ١٠٠ كتاب. معظمها في جوانب التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري للقرن الثامن عشر في بريطانيا وأوروبا وأميركا، لكنه نشر أيضاً عن تاريخ الصحافة ورسم الخرائط والحرب والثقافة وعن طبيعة واستخدامات التاريخ نفسه.



يجوب البروفيسور جيريمي بلاك في كتابه هذا جميع أنحاء العالم من حقبة ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث، في جولة عاصفة لماضينا، دون أن يترك حجراً واحداً من غير أن يقلبه وهو يبعث إلى الحياة التاريخ الرائع للحضارة الإنسانية، بما حققت من نجاحات وإخفاقات بدءاً من اكتشاف الزراعة والكتابة وحتى زمن الحروب الباردة المدمرة والتسابق لغزو الفضاء، وبما تحمله كل تلك الحقب من تجارب ومآسي إنسانية على مدى آلاف السنين.



